



مَسْكُوٰتُ الْعِلْمِ



الْمُسْتَوْبُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

الْمُسْتَوْبُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

شِخْرَةِ مُجْعَنِ طَوْبَقَانِي



مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ
بِكَالَّجِيَّةِ وَالْقِوْنَى وَالْمَهْدَى وَالْمَسْعَى



المصحف الشهقي

المنسوب إلى عثمان بن عفان

نسخة متحف طوب قابي سراي

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور راتب فوزي

تقديم
الأستاذ الدكتور دميان ديفني

سلسلة نصوص محققة ٤
ISBN 978-92-9063-167-5

منظمة المؤتمر الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بـاستانبول

Organisation of the Islamic Conference
Research Centre for Islamic History, Art and Culture (IRCICA)

Barbaros Bulvarı, Yıldız Sarayı, Seyir Köşkü
34349 Beşiktaş, İstanbul, Türkiye

Phone: +90 212 259 17 42

Fax: +90 212 258 43 65

ircica@ircica.org

www.ircica.org

© 2007 IRCICA

الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

مطبعة نهونه بـاستانبول

فهرسة وتصنيف مكتبة إرسيكا

القرآن الكريم. بالعربية

المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) : نسخة متحف طوب قابي سراي / دراسة وتحقيق طيار آلتني قوله؛ ترجمة إلى العربية صالح سعداوي وإلى الإنجليزية سمير امس جاوش أوغلي؛ تقديم أكمل الدين إحسان أوغلي؛ تصدر حلال أورن. — طبعة محققة. — استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٧ م.

[٦٦، ١١٧، ١١٩، ٨٢٠، ١٠٩، ٦٦]، ص. ٢٩—٣٠. — (سلسلة نصوص محققة ٤)

يحتوي موسماً.

ببليوغرافيا: ص. ١١٥—١١٧.

العنوان: النص العربي والدراسة بالعربية والإنجليزية.

ISBN 978-92-9063-167-5

١. القرآن الكريم. بالعربية. ٢. القرآن الكريم—تاريخ. ٣. القرآن الكريم—دراسة وتحقيق. آ. آلتني قوله، طيار. ب. إحسان أوغلي، أكمل الدين. ج. سعداوي، صالح. د. جاوش أوغلي، سمير امس. ه. أورن، خالد. و. العنوان. ز. السلسلة. 297.1224

شُكْر وَتَنْوِيهٌ

تقدير للإمام العزيز الحبيب وفقهاء التبلية في خدمة الثقافة الإسلامية

وعرفنا بجهوده الدائمة ودعمه لشيخ الأنشطة التركية

يسرى الله تعالى لسمى إيات الشكر والعرفان

للشخصية الإسلامية المتميزة سمو الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو مجلس الأعلى / حاكم الشارقة

لأداء رسالته البارزة

وأن نفع هنا بيان هذا المصحف ضميم على فقيه الخاصة

فهرس المحتويات

١	جدول الاختصارات
٢	تصدير الدكتور خالد أرن
٥	تقديم أكمل الدين إحسان أوغلي
دراسة وتحقيق الدكتور مطران النبي تولاج	
٢١	المقدمة
٢٥	الفصل الأول الكتابة العربية
٢٧	أولاً: نبذة حول نشأة الكتابة العربية ومراحل تطورها
٣٠	ثانياً: الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام
٣٥	ثالثاً: الرعم باد خط المصحف ورسمه توقيفي
٤١	الفصل الثاني المصحف والرسم العثماني
٤٢	أولاً: مصاحف سيدنا عثمان
٤٤	ثانياً: حكم التوافق مع الرسم العثماني في كتابة المصاحف
٤٦	ثالثاً: الرعم باد مصاحف عثمان تحتوي خطاء إيمائية ونحوية
٤٧	رابعاً: نظرتنا إلى الجدل حول الرسم العثماني
٥٩	الفصل الثالث ما هي الإملاء اللازم اتباعها في كتابة المصاحف وطبعتها
٦٤	أولاً: هل يمكن أن يظل الرسم العثماني على هذا إلى الأبد؟
٦٥	ثانياً: اقتراح نظامين للإملاء في كتابة وطباعة المصحف
٦٦	ثالثاً: منهج هيئة تدقيق المصاحف في تركيا ورأيها فيه
٧١	الفصل الرابع نسخ المصاحف موضوع الدراسة
٧٩	أولاً: مصحف طشقند
٩١	ثانياً: مصحف طوبقابي
٩٣	ثالثاً: مصحف الملك فهد
٩٩	للتنهج الذي اتبناه أثناء العمل على النص
١٠١	نهرس السور
١١٥	لوحات حول بعض المصاحف
(٨٢٠-٢) ... (١ ١٠٩)	قائمة المصادر
	عن المصحف الشريف
	الدراسة والتقدم بالتركية

جدول الاختصارات

a.e.	نفس المصدر
a.g.e	المصدر السابق
a.mlf.	نفس المؤلف
aş.bk	انظر فيما يلي
blk.	انظر
DİA	الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركية
İA	دائرة المعارف الإسلامية
krş.	قارن
Ktp.	مكتبة
nr.	رقم
nşr.	الإعداد للنشر، التحقيق
ö.	وفاة
s.	صحيفة
str.	سطر
sy.	عدد
TDV	وقف الديانة التركية
TİEM	متاحف الآثار التركية والإسلامية
trc.	ترجمة
ts.	بدون تاريخ
vd.	وما بعدها
vr.	ورق
y.y.	بدون محل نشر

تصدير

الدكتور خالد أرن
مدير عام إرسيكا

كان هدف إرسيكا منذ نشاته – ولا يزال – عرض الحضارة الإسلامية والتعريف بها على مدى التاريخ الإسلامي وخلال تطورها في العصر الحاضر بالشكل الأمثل والأصدق، وكان من الغايات الأساسية التي ينشدتها على هذا السبيل هو الارتقاء بمستوى البحوث التي تجري على أمهات مصادر الحضارة الإسلامية، ثم المشاركة بعد ذلك في تقديم كل هذا في صورة منشورات وأبحاث علمية إلى كافة المعنيين والإنسانية جماء. وهذا الكتاب الذي بين أيديكم إنما يضيف حلقة ذهبية جديدة في سلسلة الخدمات التي اضطلع بها إرسيكا منذ قيامه عام ١٩٨٠ م: إذ تقدم اليوم طبعة طبق الأصل مصحوبة بتحقيق دقيق للمصحف الشريف المشهور بمصحف سيدنا عثمان والمحفوظ في متحف سراي طوب قابي، وتنضع بين يدي القارئ نسخة أخرى من القرآن الكريم الذي هو عمود الدين الإسلامي ووثيقة التصديق على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسيط الهدایة للمؤمنين والكتاب الذي أنزل للناس جميعاً يهديهم إلى الصراط المستقيم، وكتاب الكائنات المعجز الذي لا نظير له في ألفاظه ومعانيه.

وقد قام بالتحقيق العلمي لهذا المصحف وتولى إعداده للنشر الدكتور طيار آلتى قولاج أحد كبار الخبراء في علوم القرآن في تركيا والرئيس الأسبق لجمعية الشؤون الدينية والنائب في مجلس الأمة عن دائرة استانبول. وهذا العمل هو ثمرة البحث الذي قام به بمنهج علمي سليم معتمداً على علمه وخبرته، ونحن على ثقة أنه سوف يتثير الاهتمام في الأوساط الأكاديمية ويضيف إسهاماً مهماً إلى البحوث في هذا المجال.

ومن الطبيعي في إطار الأعمال التي يقوم بها إرسيكا عن المصادر الأساسية في الحضارة الإسلامية أن يحظى القرآن الكريم بموقع الصدارة. فقد كان أول مشروع أقدمنا عليه هو «بليوغرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم»، وصدر الجزء الأول منه في مجلد كبير عام ١٩٨٦ م بعنوان (البليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم — الترجمات المطبوعة ١٩٨٠-١٥١٥ م). وعن الترجمات المخطوطة فقد أصدرنا (البليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة — الجزء الأول / استانبول ٢٠٠٠ م)، ويضم الترجمات المخطوطة في ثماني وخمسين لغة عدا اللغات: الفارسية والأوردية والتركية التي تمثل أكثر اللغات احتضاناً لترجمات القرآن.

ولسوف تظهر بإذن الله ببليوغرافيا الترجمات الأوردية خلال المدة القريبة القادمة، أما الترجمات المخطوطة بالتركية والفارسية فلا يزال العمل جارياً لإعدادها. والجدير بالذكر هنا أن أحد الاجتماعات الدولية الأولى التي عقدها إرسيكا كان ندوة نظمت في سنة ١٩٨٦م في استانبول بعنوان «ترجمة القرآن الكريم».

وفي السياق ذاته قام إرسيكا أيضاً بطبعاعة مصحفيين تاريخيين مختلفين، أولهما صورة طبق الأصل مصححة من المصحف المحفوظ في مكتبة غازي خسرو بك في سراي بوسنة، والذي كتب برسم طغروف بك السلطان السلجوقي في سنة ١١٨٦هـ / ٥٥٨٢م، ثم عُرف فيما بعد باسم مصحف فاضل باشا (٢٠٠٢م). أما الثاني وهو أيضاً صورة طبق الأصل فقد صدر عام ٢٠٠٥م بعد التصحح لمصحف عُرف بأنه أول مصحف جرت طباعته على صعيد العالم الإسلامي في مدينة قازان عاصمة تatarستان عام ١٨٠٣م.

وإذ ينشر إرسيكا اليوم مصحف سيدنا عثمان المحفوظ في سراي طويقابي ويقدمه لعالم الثقافة باعتباره وثيقة تاريخية مهمة ومصدراً أساسياً في حضارتنا الإسلامية فإننا نشعر بسعادة غامرة ونحن نرى أنفسنا وقد أدينا عملاً مهماً في منظومة أعمالنا التي تعتبرها واجباً من الواجبات الملقة على عاتقنا. والمصحف المذكور هو المسجل حالياً في متحف سراي طويقابي تحت رقم (H.s.32)، والمعروف باسم «مصحف سيدنا عثمان» أو «مصحف طويقابي»، وهو على حد علمنا واحد من أقدم المصاحف الشريفة التي وصلتنا.

وقد قام الدكتور طيار آلتى قولادج ببحث تاريخ هذا المصحف، وذكر المنهج الذي جرى عليه في إعداده للنشر، وشرح كل ما ساق من معلومات بالشكل الذي يرضي القراء من كل المستويات. وهنا أعدّ لنا بحثاً ممتازاً تناول الموضوع من زوايا مختلفة، أهمها كتابة المصحف والقراءات المعروفة للقرآن الكريم وغير ذلك.

ومما لا شك فيه أن لمصحف طويقابي مكانة متميزة وأهمية خاصة بين نسخ المصاحف القديمة الأخرى؛ فهو مع نقص ورقين فقط منه (٢٣ آية قرآنية) يكون المصحف الأقرب إلى التمام بين المصاحف التاريخية الموجودة. وتحتوي هذه النسخة أيضاً على مواضع هنا وهناك تصعب قراءتها كما سنرى من خلال الأمثلة والتفاصيل التي وردت في دراسة الدكتور طيار آلتى قولادج. وهذه المواضع قد تمت قراءتها بكل الدقة والاهتمام والمثابرة من خلال القرائن والأمارات المختلفة، حتى تم الوصول إلى نص يتفق والنص الأصلي الأول.

وقد سررنا غاية السرور لأن يصبح هذا العمل الهام واحداً من بين منشورات إرسيكا. وأنتهز هذه الفرصة لكي أعرب عن جزيل شكري للدكتور طيار آلتى قولادج، كما أشكر بوجه خاص وزارة الثقافة والسياحة التركية التي سمحَت لنا بالنشر، وكذلك إدارة متحف طويقابي التي لم تدخل بدعمها الذي لولاه لما خرج هذا العمل إلى النور. كما يطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بشكري الخاص إلى الرجل الذي تحمل نفقات طباعة هذا المصحف، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. ويطيب لي في هذا السياق أن أتقدم بأسمى آيات الشكر إلى الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، فهو الذي كان بتشد طبع مصحف سيدنا عثمان منذ السنوات الأولى من عمل المركز، فلما علم بقيام الدكتور طيار آلتى قولادج بإعداد هذا المصحف للنشر سعى لتوفير الدعم المالي الذي سبق ذكره، حتى يكون ذلك العمل واحداً من منشورات إرسيكا.

تقديم

ملاحظات تاريخية وකودکوجیة على مصحف طوب قاپی النسب إلى الخليفة عثمان بن عفان

أكمل الدين إحسان أوغلي*

يتشرف مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) بطباعة ونشر هذا المصحف الذي اشتهر على مر السنين بأنه مصحف سيدنا عثمان، وظل محفوظاً لأمد طويل في قصر طوب قاپی مقر السلاطين والخلفاء من آل عثمان، ثم صار في حوزة خزائن القصر بعد أن أصبح متاحاً مفتوحاً لكل الفاقدين من محبي الآثار والفنون الإسلامية من مختلف أنحاء العالم.

وفي نفس الوقت فقد دأب إرسيكا منذ يواكيم نشاطه في عام ١٩٨٠ ، الذي صادف الاحتفالات الدولية بقدوم القرن الخامس عشر الهجري، أن يكون القرآن الكريم في بورة عنائه أثناء الاحتفال بهذه المناسبة. وقام بالعديد من الفعاليات والإصدارات العلمية التي تتصل بتراث الإسلام الحضاري، وجعل نصب أعينه الاعتناء بالقرآن الكريم مصدر حضارة الإسلام وينمو عنها الذي لا ينضب. فعمل في عدة مجالات منها نشر المصادر ذات الأهمية التاريخية أو الفنية^(١)، وكذلك إعداد دراسات عن ترجمات القرآن وانتشاره في لغات شعوب الأرض^(٢). وكان المصحف المنسب إلى سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) هو أحد الأهداف الكبيرة لخطة النشر؛ وظل اهتماماً به منذ أول يوم حتى وفقنا الله بعد جهد كبير إلى نشره، وخاصة بعد أن اتضحت لنا منهجهية النشر وتوفرت لذلك الإمكانيات.

* المدير العام المؤسس لإرميكا (١٩٨٠ - ٢٠٠٤) والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حالياً.

^١ نشر المركز نادجاً عديدة من صفحات المصادر التاريخية ذات القيمة الفنية الرفيعة التي تتميز بخطوط وزخارف بد菊花 في كتاب «فن الخط» الذي أعدد تحت إشرافنا، وقد صدر هذا الكتاب في عدة لغات بالعربية (١٩٩٠)، والتركية (١٩٩٢)، والإندونيسية (١٩٩٨)، والإنجليزية (١٩٩٦)، والبرازيلية (١٩٩٦)، ولغة البهاسا (الملايو) (٢٠٠٠).

تم قام المركز بنشر المصاحف، التالية:

- المصحف الذي كتبه المرحوم أشرف فوقات شاهنشاه بعد استقلال البوسنة والهرسك (قرآن كريم، استانبول ١٩٩٧م).

- المصحف التاريخي المؤرخ في ١٢٦٥هـ الموجود في مكتبة الغازى حسرو بك في سراي بوسنة (٢٠٠٢).

- المصحف المطبع سنة ١٨٠٣م في قازان عاصمة حஸنوريه تشارستان لأول مرة في الإسلام (١٩٩٢م - ٢٠٠٥م).

^٢ قام المركز بإعداد بيلويغرافيات لترجمات معاني القرآن الكريم تحت إشرافنا، وبدأ نشرها عام ١٩٨٦:

- البيلويغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المطبوعة ١٥١٥ - ١٩٨٠م (استانبول ١٩٨٦م).

- البيلويغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة، الجزء الأول (٢٠٠٠م).

وهو يصدق استكمال هذه البيلويغرافيات حيث متتصدر هذا العام بيلويغرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة بالأوردية.

وقد سبق للمركز أن نشر من خزائنه متحف قصر طوب قابي عدة كتب تعتبر من أهم مصادر الفنون الإسلامية. حيث قام بنشر كتاب عن مفاتيح الكعبة وأقالاتها تحت عنوان «الكتيبة المشترفة: دراسة أثرية لمجموعة أقالالها ومفاتيحيها المحفوظة في متحف طوب قابي باسطنبول» (إسطنبول ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م)، ثم أعقب ذلك بنشر كتاب أستار الكعبة المشترفة (إسطنبول ١٩٩٦ م)، كما نشر كتاب السيف الإسلامية (بالعربية والإنجليزية / إسطنبول ٢٠٠٠ - ٢٠٠٢). واستعان في غضون ذلك بخبراء المتحف وأساتذة تاريخ الفنون الإسلامية من أجل إعداد هذه الدراسات.

وقد بدأ مشروع نشر المصحف المنسوب لسيدهنا عثمان في عام ١٩٩١ حيث كُتُبَ قد خاطبت إدارة المتحف ووزارة الثقافة التركية التي يتبعها المتحف من أجل ذلك. ووافقت الوزارة مشكورة، وتم عقد اتفاق في سنة ١٩٩٩ بين المركز والمتحف ينظم أسلوب التعاون وحقوق النشر^(٣).

كانت أمنيتي أن تقوم بنشر هذا المصحف الذي ذاعت شهرته في الآفاق والذي لم يسبق أن نشر منه غير صور معدودة لبعض صفحاته. ولم يكن الأمر سيراً، لأن نشره كان ينبغي أن يكون مصحوباً بدراسة له تبيّن حقيقة أمره وموقعه في تاريخ المصاحف القرآنية. وكانت بداية تحقيق هذه الأمنية أن أظهر الأستاذ الدكتور طيار قواچ، الرئيس الأسبق للشؤون الدينية بجمهورية تركيا وأحد علماء القراءات البارزين في زماننا، اهتمامه في عام ٢٠٠٢ بدراسة هذا المصحف^(٤).

وقد قام مشكورة بإعداد هذا المصحف للنشر وقرأه وغَارَضَه بما استقر عليه المصحف العثماني في يومنا هذا مستخدماً نسخة المصحف المطبوعة في مطبعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وقدّم له بدراسة ضافية عن مسألة رسم المصحف، وهل هو توقيفي أم غير ذلك. وبهذه المناسبة بين الدكتور طيار وهو الخبير بعلم القراءات رأيه في الكيفية التي يمكن للمصحف أن يكتب بها في يومنا هذا. وقارن بين هذا المصحف ومصحف طشقند الذي نسب هو الآخر إلى سيدنا عثمان، وأنبع ذلك بجدول يبين الفروق الإملائية بين المصاحف العثمانية. كما عرّفها المصادر المبكرة وبين مصافي طشقند وطوب قابي.

^٣ بدأت الاتصالات الرسمية بين إرسيكا ووزارة الثقافة في الجمهورية التركية في ٢٠ سبتمبر ١٩٩١ بعد أن قام المركز وخبراؤه بدراسة الموضوع. وهنا أجد من الواجب الادعى أن أذكر بالخير والرحمة الأستاذ أحمد متى مدير المتحف آنذاك، إذ كان الفضل لوقته الإيجابي في أن يبدأ المشروع رسميًا، وكذلك الشكر الدكتورة فايزة جاغان رئيسة قسم الخطوط بالمتاحف، ومديرته لاحقاً التي ركزت كثيراً من الصعاب في المرحلة الثانية من المشروع، سراء كان فيما يتعلق بالتصوير الدقيق للخطوط أو اتخاذ كافة الإجراءات الفنية. كما يسعدني هنا أن أوجه الشكر إلى مسئولي وزارة الثقافة الذين لم يدخروا جهداً في تخطي كل العقبات التي صادفت المشروع، وأخص بالذكر الوزير استياخان طالاي (١٩٩٧ - ٢٠٠٢).

^٤ ولد الدكتور طيار قواچ في إحدى قرى ولاية قسطموني في عام ١٩٣٨، واتّم حفظه للقرآن الكريم في التاسعة من عمره، وتلقى مبادئ العلوم الدينية في بلدة دور كاني من أعمال ولاية قسطموني ثم انتقل إلى إسطنبول حيث تم دراسته المتوسطة والثانوية بمهد الآئمة والخطباء، وواصل تعليمه العالي بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية في عام ١٩٦٣. وبعد تخرجه عمل في التدريس بالمدارس الدينية والثانوية، ثم التحق بجامعة بغداد (١٩٦٧ - ١٩٦٨) حيث تخصص في اللغة العربية وأدبها. وحصل على درجة الدكتوراه في علم التقسيم.

وقد عمل نائباً لرئيس الشؤون الدينية في الفترة من ١٩٧٦ - ١٩٧١، ثم مديرأً عاماً لتعليم الديني بوزارة المعارف (١٩٧٧ - ١٩٧٦)، ثم رئيساً للشؤون الدينية (١٩٧٨ - ١٩٨٦). وله فضل كبير في إلواء نشاطات و المؤسسات الدينية في تركيا وبين المسلمين الآراك المهاجرين إلى أوروبا. وهو كذلك صاحب الفضل الكبير في تأسيس وقف الديانة التركي وكذلك مركز الدراسات الإسلامية ISAM ودائرة المعارف الإسلامية التي صدر منها حتى الآن اثنا عشر مجلداً، وشارك هو نفسه في تحرير العديد من موادها. وما زال مستمراً في عمله في الخدمة العامة عضواً في البرلمان التركي، حيث برأس المجلة البرلمانية لتعليم والثقافة. وقد سجل للصحف، المرتّل بصوته لأول مرة في تركيا، ونشر العديد من كتب القراءات في علم القراءات، مثل:

- أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز إلى علوم تعلق بالكتاب العزيز، بيروت: دار صادر ١٩٧٥ م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله: معودة القراء الكبير على الطبقات والأقارب، إسطنبول: وقف المدينة ١٩٩٥ م.

وله من الأعمال في خدمة العالم الإسلامي «دعوة للمؤتمر الشهير لتوحيد التقويم الهجري» في سنة ١٩٧٨ بـإسطنبول.

والجدير بالتنويه هنا أن تحقيق الأمنية لم يكتمل إلا بالدعم السخي الذي قدمه حضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، والذي عُودنا في إرمسيكا على كرمه في رعايته للأعمال الثقافية الجادة التي تخدم التراث الإسلامي والذي لم يدخل، حفظه الله، وسعاً في تحقيق آمال جسام لم يكن بالوسع القيام بها دون دعمه الخير.

* * *

إن هذا المصحف الشريف الذي يحفظ أصله في متحف قصر طوب قابي كان قد أهدي للسلطان العثماني محمود الثاني في عام ١٢٢٦هـ (١٨١١م) من طرف والي مصر محمد علي باشا^(٥).

وقد وضعت على بداية المصحف (في الورقة 3b) فقرة باللغة العثمانية محررة في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٢٦هـ (١٢٢٦ حزيران ١٨١١م) تبيّن بشكل واضح كيفية انتقال هذا المصحف الشريف إلى قصر طوب قابي والصورة التي حفظ بها في دائرة الأمانات المقدسة المعروفة باسم «خرقهء سعادت أوطه سى»، أي القسم الخاص بالقصر الذي أنشأ أيام السلطان سليم الأول، والذي حفظت به البردة الشريفة وكل ما يتعلق بآثار الرسول الكريم وصحابته رضوان الله عليهم.

وتخبرنا العبارات المسطرة بخط الرقاع الجميل والمنسقة بالأسلوب العثماني بديع أن هذا المصحف المكتوب بخط كوفي من «الظاهر والجل» هو من خط الخليفة عثمان وقلمه، وأن هذا معلوم لدى «الصغار والكبار»، وأنه كان محفوظاً في خزانة «قاهرة مصر»، وأنه كان مصدر «يمن وبركات» لمدة مديدة، وأنه كان محل زيارات وتكريم وقراءة «الأركان والأعيان» و«الساكنين بها والزائرين» لها. وأن الوالي محمد علي أراد إهداءه إلى السلطان محمود الثاني المعروف بالسلطان محمود العدل في سنة ١٢٢٦هـ باعتباره «تحفة كريمة» و«هدية بهية» «لأزمة التعظيم» وأنه بهذا قد «أرجعه إلى أصله» حيث أن السلطان العثماني هو وارث «الدين والدولة المحمدية»، وأنه لذلك قد وضع في دائرة الأمانات المقدسة وأن وصوله إلى يد السلطان هو «فأل خير» و«باعت للفيض والبركة»، وأنه بوضعه في هذا المكان سيكون محلـاً لـ«التعظيم والتكريم».

وقد حفظت هذه النسخة النادرة في القصر منذ عام ١٨١١م حتى يومنا هذا، وظللت كما جاء في هذه السطور، محل تعظيم الخلفاء من آل عثمان الذين جاءوا بعد السلطان محمود الثاني وكل من كان معهم من رجال الدين والدولة إلى نهاية عهد الخلافة العثمانية. ولما تحول القصر في عام ١٩٢٨م إلى متحف مفتوح أمام عامة الزوار ظل المصحف الذي اشتهر بأنه أحد مصاحف سيدنا عثمان محل رعاية واهتمام إدارة المتحف، كما غدا مزاراً لكل المسلمين والمهتمين بالفنون والآثار الإسلامية.

إن الحادثة التاريخية التي أشرنا إليها فيما سبق كانت هي السبب الذي أدى إلى اشتهر هذا المصحف الكوفي بأنه أحد المصاحف العثمانية، أي التي كتبت وانتشرت بأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان وأرسلت إلى الأمصار المختلفة.

^٥ حفظ هذا المصحف في مكتبة المخطوطات النادرة بقصر طوب قابي تحت رقم 194 H.S ومن ثم ظهر في فهرس المخطوطات العربية لمكتبة القصر الذي صنفه المرحوم بهي الدين فراتطي، وهكذا ورد ذكره في بعض الإشارات وأهمها ما كتبه الاستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه: دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٥. وقد تغير رقم المصحف فيما بعد إلى 22 H.S، ثم أعيد ترقيمته سجراً إلى ٤٤ / ٢٢.

وكانت المصاحف الكوفية المبكرة—المكتوبة على الرق وذات الأحجام الكبيرة التي كانت تحفظ في الجواجم—قد اشتهرت بين الناس بأنها مصاحف عثمان بن عفان. وهناك نماذج لهذه المصاحف في العاصم القديمة وإن لم تصلنا كاملاً. ويدرك المقريزى في خططه ثلاثة من هذه المصاحف منها اثنان كانا في جامع عمرو بن العاص، وأحد هما تم نقله إلى المدرسة الفاضلية^٦. وقد انتقل المصحف المحفوظ في المدرسة الفاضلية في نهاية المطاف (في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) إلى المسجد الحسيني بالقاهرة حسب رواية أحمد تيمور باشا^٧.

ولعل المصحف الذي أهداه محمد علي باشا إلى الخليفة العثمانى هو أحد المصحفىن الآخرين اللذين ذكرهما المقريزى. إذ يروى المقريزى أن عبد العزيز بن مروان والي مصر من طرف أخيه عبد الملك بن مروان لما لم يكتفى بالمصحف الذى أرسله إليه الحاج أمير أن يكتب له مصحفًا عُرِفَ فيما بعد بمصحف أسماء (بنت أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان)، ووضع في المسجد الجامع (جامع عمرو بن العاص) للقراءة فيه حتى أتى رجل إلى مصر من أهل العراق وأحضر مصحفًا ذكر أنه مصحف عثمان وأنه الذى كان بين يديه يوم الدار وفيه أثر الدم. وكان إمام الجامع المذكور يقرأ فيه يوماً وفي مصحف أسماء يوماً حتى اقتصر على القراءة في مصحف أسماء، وذلك في ٥ محرم سنة ٣٧٨هـ (٢٦ إبريل ٩٨٨). وقد نقل مصحف عثمان هذا أو المصحف الإمام فيما بعد إلى المدرسة الفاضلية، ومنها إلى أماكن أخرى حتى وصل إلى المشهد الحسيني سنة ١٤٠٥هـ / ١٨٨٨م كما سبق أن ذكرنا.

ومما لا شك فيه أن نشر هذا المصحف سواء صحت نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان أو لم تصح — كما يتضح من الدراسة — يُعتبر عملاً علمياً ذو أهمية متعددة الجوانب. فنشره سوف يشكل حلقة هامة في السلسلة الذهبية لدراسة القرآن الكريم التي لها تقاليدها الراسخة في الأدبيات الإسلامية، كما أنه يفتح آفاقاً في الدراسات الحديثة لتاريخ القرآن الكريم. وهذا النشر سوف يكون مصدراً للمقارنة بما يثبت من نصوص أقدم من مصحف طوب قايي، ونصوص كتبت بعده. وسوف يساعد على بيان خصائص الكتابات السابقة له واللاحقة عليه، ويضعها في منظور زمني. ومن أهم خصائص هذا المصحف أنه كامل باستثناء ورقتين — مما يضفي عليه أهمية خاصة بالمقارنة مع المصاحف الكاملة المؤرخة التي يرجع أقدمها إلى القرن الهجري الثالث (التاسع الميلادى)، وسوف ييسر نشره النظر في تاريخ المصاحف والنص القرآني بصورة ترتيبية تاريخية (كرونولوجية)، وهو كذلك سوف يتبع إمكانيات واسعة لدارسي علم المخطوطات (الكونوكولوجي) أي العناصر المادية للمخطوطات الإسلامية، وكذلك لدارسي تاريخ الكتابة العربية (الباليوغرافي).

ويقع هذا المصحف في ٤٠٨ ورقات من الرق بمقاس ٤٦٤١ (٤٠٣٢) سم، وسمك ١١ سم. ويلاحظ الناظر في عموم هذا المصحف اختلاف سمك الأقلام والمخطوطات التي كتبت به، وهذا أمر جدير بالدراسة المتعمقة. ولكن يمكننا هنا أن نسوق على سبيل المثال لا الحصر الاختلاف الملحوظ بين المخطوطات التي كتبت به الصفحات من (1a) إلى (6b) وتلك الصفحات المرقمة من (7a) إلى (10b). كما يلاحظ أن عدد أسطر الصحيفة الواحدة في الأعم الأغلب ثمانية عشر سطراً. كما أن هناك عدداً من الصفحات التي تحتوي على ستة عشر أو سبعة عشر سطراً. بينما نجد أن أول وأخر صحيفتين من المصحف تحتويان كل منهما على أربعة عشر سطراً. وأن الصفحة

٦ خطط المقريزى، المجلد الرابع، ١، ص. ٣٣-٣٠، المجلد الرابع، ٢، ص. ٤٦٢، طبع دار الفرقان، تحقيق ابن فؤاد سيد، لندن ١٤٢٤/٥٢٠٠٣.

٧ أحمد تيمور، الآثار النبوية، القاهرة ١٩٥١، ص. ٤٢-٣٨. وهذا المصحف محفوظ الآن في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف، بالقاهرة.

الأولى بها إضافات متأخرة بالمداد الأحمر في بداية كل من الفاتحة وسورة البقرة. ويمكن لنا أن نتصور أن بعض صفحات هذا المصحف قد غيرت لسبب أو آخر (لعلها أو فقدانها) ثم أعيدت كتابتها وضُمت إلى نفس المصحف. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن هذا قد تم في أوقات متقاربة.

ولسوف يرى الدارس لمصحف طوب قا بي الذي نحن بقصد التقديم له أن خطه الكوفي مكتوب بشكل متافق بلغت فيه الحروف مرحلة من التطور تبتعد به عن خطوط المرحلة الأولى التي كُتبت فيها المصاحف المنسوبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه (خلافته: ٢٣ - ٦٤٤ هـ / ٦٥٦ م)، والتي عُرفت بالمصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمان خلافته، والتي كُتبت على الرق، وكانت تتميز بالزوايا القائمة وبخلوها من علامات التمييز بين الحروف المشابهة ومن علامات الإعراب والإعجام وكذلك من العلامات الفاصلة بين الآيات أو المميزة للأعشار والأخماس والأجزاء^(٨). بينما يرى الدارس لمصحف طوب قا بي هذا، أنه التزم بخط الحروف على طريقة أبي الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩ هـ / ٦٨٩ م)، وهي الطريقة التي ابتكرت بعد وفاة الخليفة عثمان، إذ يلاحظ أن أسلوب كتابة الحروف متتطور عن أسلوب الخطوط الكوفية الأولى من حيث تنااسب أشكالها والتزام علامات الإعراب.

وتتميز طريقة أبي الأسود الدؤلي في الإعراب بوضع النقط بمداد مختلف اللون عن المداد الذي كُتب به الحروف والتي تتلخص في قوله «خُذ المصحف، وخذ صبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتين فانقطع واحدة فوق الحرف، وإذا ضمتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا ابعت شيئاً من هذه الحركات «غنة فانقطع نقطتين»^(٩). ونرى في مصحف طوب قا بي التزاماً بهذه طريقة أبي الأسود الدؤلي في وضع علامات الإعراب بشكل دقيق، وذلك بوضع نقاط حمراء فوق وجانب وأسفل الحروف ونقطتين إذا كان هناك تنوين حسب القاعدة.

وفيما يتعلق بإعجام الحروف فقد كان الحجاج بن يوسف الشقفي (ت ٩٥ هـ / ٧١٤ م) بعد تفسي ظاهرة التصحيف في قراءة القرآن الكريم قد أمر في أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) تلميذ أبي الأسود الدؤلي بوضع إشارات على الحروف المشابهة لمنع اللبس في نطقها، وهي المرحلة التالية على نطق الإعراب، وتقصد بإهمال بعض الحروف المشابهة وإعجام بعضها بنقاط أو خطوط صغيرة مائلة. وفي هذا المصحف الذي نحن بقصد نشره أمثلة غير مطردة على هذا الإعجم سوف نتناولها بالدراسة.

أما الإصلاح الذي آتى به الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩٧ م)، والذي وضع فيه ثمانية علامات للشكل عُرِفتُ بشَكْلِ الشِّعْرِ، وهي الفتحة والضممة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة، فلا نجد لها أثراً هنا، كما هو الحال في سائر المصاحف الكوفية المتقدمة. ولعل ما قاله الداني في هذا الصدد يوضح الحرج الذي لا يُسْتَخدَم الشكل على طريقة الخليل والاكتفاء بالنقط على طريقة أبي الأسود

^٨ حول تطور الكتابة العربية، انظر القسم الأول من المقدمة التاريخية التي كتبها العالم الكبير المرحوم نهاد جنين لكتابنا عن الخط الذي سبق الإشارة إليه والمعروفة «مولد فن الخط وتطوره حتى ظهور المدرسة العثمانية» (ص ١٤ - ٢٩ من الطبعة العربية). وكذلك كتاب الاستاذ صلاح الدين المسجد: دراسات في تاريخ الخط العربي. وانظر أيضاً ابراهيم شيوخ: بعض ملاحظات على المزارات العربية المصرية المبكرة ومدى تأثيرها على حركات إصلاح الكتبة العربية، ابحاث الدولة الدولية ل بتاريخ القاهرة ١٩٦٩ م، (مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ م)، ج ١، ص ١٥ - ٢٠.

^٩ الداني (أبو عمرو): الحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦٠ م، ص ٤ - ٧، وانظر له أيضاً: كتاب النقط والشكل، تحقيق أحمد دهمان، دمشق ١٩٤٠ م، ص ١٢٤ - ١٢٥.

الدؤلي الأمر الذي استمر في بعض المصاحف إلى نهاية القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين». وترك استعمال شكل الشعر، وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق، اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين واتبعاً للأئمة السالفين^(١٠).

وقد تعددت أشكال إشارات الإعجمام بين نقط مجرد وخطوط صغيرة مائلة. أما النقط فهو المشهور، وهو يشبه نقط الإعراب، وهو ما يوجد في كثير من النماذج المورخة^(١١). أما نقط الإعجمام الذي على هيئة خطوط مائلة، فقد اتخدت كصفة مميزة لـإعجمام المصاحف الكبيرة. وقد ظهرت ظاهرة الإعجمام بالخطوط المائلة في كثير من النماذج للمصاحف المبكرة مثل مصاحف صناع، وتتكرر هذه الخطوط المائلة على الحروف، فخط واحد تحت حرف الباء وخطان مائلان على حرف التاء وثلاثة على حرف الثاء.. وكذا على الحروف المتشابهة الأخرى. وقد اتخدت هذه الخطوط المائلة نفس لون المداد الذي كتب به المصحف - أي مداد المتن - وبخط رفيع لتفرقها عن نقط الشكل الذي يكون دوراً ويمداد بلون آخر^(١٢).

وباستعراض علامات الإعجمام المستخدمة في هذا المصحف ومدى اطرادها يمكن لنا القول إن الخطوط القصيرة المائلة المكتوبة بخط رفيع جداً وبمداد أسود هي التي استخدمت كما جرى عليه العرف في المصاحف الكبيرة، وإن كان استخدامها ليس مطرداً عبر صفحات هذا المصحف.

كما تميزت حروف الباء والتاء والثاء عن بعضها البعض بوضع حركة واحدة (أي خط قصير مائل) تحت الحرف في الباء وحركتين فوق الحرف في التاء وثلاث حركات فوق الثاء. ونرى أن شكل كتابة حرف النون والياء يشبه الحروف الثلاثة السابقة، إلا أن حرف النون تميز بإعجمامه بحركة واحدة فوقه والياء بحركاتين أسفله. وفي هذه المجموعة المتشابهة نجد أن إعجم الثاء بحركاتها أقل اطراداً من بقية الحروف.

أما في حروف الجيم والحاء والخاء، فقد أعمجمت الجيم بحركة أسفل الحرف والخاء بحركة أعلى، أما الحاء فقد أهملت. وإذا نظرنا إلى أزواج الحروف التالية [د، ذ؛ ر، ز؛ س، ش؛ ط، ظ؛ ع، غ] فلا نجد هناك إعجماماً لأي منها، إذ ظل الأمر كما كان قبل استخدام علامات الإعجمام. وفي نفس الوقت، نرى حرف الصاد والضاد قد تم التفريق بيتهما بإهمال الأول وإعجمان الثاني بوضع حركة أعلى. أما في حرفي الفاء والكاف فقد أعمجم الأول بحركة من أعلى والثاني من أسفله.

والملاحظة العامة التي يمكن لنا أن نثبتها هنا هي أن حركات الإعجمام هذه لم تتكرر بصورة منتظمة من أول المصحف إلى آخره، حتى إننا نرى أحياناً عدم اطراد هذه العلامات في الصحيفة الواحدة، على عكس ما نراه من اطراد يكاد يكون كاملاً في علامات الإعراب، أي النقاط الحمراء.

والآن لنتظر بعد عنصر الكتابة إلى جوانب أخرى هامة في الدراسة الكودكولوجية لهذا المصحف، ألا وهي أبعاده وأسلوب الزخرفة فيه.

^{١٠} الداني (أبو عمرو)، الحكم في نقط المصاحف، ص ٢٢.

^{١١} انظر نماذج من الفتوش المبكرة والكتابات المتشابهة من حجر وورق بردى إلى المسكوكات والكتابات الموجودة في قبة الصخرة بالقدس الشريف (عبد الله بن محمد بن عبد الله المنيف، دراسة ذرية لمصحف مبكر، الرياض، ١٩٩٨، ص ١٣٤ - ١٤٤).

^{١٢} نفسه، ص ١٤٧ - ١٤٨.

إذ نرى أن مصحف طوب قابي ينتمي إلى مرحلة لاحقة للمرحلة التي كتبت فيها المصاحف التي أمر بها الخليفة عثمان بن عفان وتلك التي كتبت على نموذجها مباشرة. فلقد خلت النماذج المبكرة للمصاحف من عناصر الزخرفة لاعتمادها نموذج المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار والتي صارت مرجعاً لكتابه المصاحف وشكلت الأساس للمرحلة الأولى. وفي المرحلة التالية بدأ إدخال عناصر الزخرفة الهندسية والنباتية في شكل فواصل سور الآيات. وبدأ رسم فواصل سور بشرطط فيما بينها، وفواصل الآيات بدواير صغيرة كل منها يحمل عناصر زخرفية معينة ملونة بألوان متعددة.

وقد مكّتنا أوراق المصاحف التي تم اكتشافها في السنوات الأخيرة في سقف الجامع الكبير بصنعاء من تكوين فكرة واضحة عن المصاحف المبكرة، وخاصة المصاحف المكتوبة في العهد الأموي (٤١ - ٦٦١ هـ / ٧٥٠ م). وتبين من العديد من صفحات المصاحف التي جرت دراستها أن مصاحف العهد الأموي كانت ذات طابع رأسى (vertical) على عكس المصاحف العباسية ذات الطابع الأفقي (horizontal). كما تبين من الدراسة لبقايا بعض المصاحف الأموية أنها مزخرفة بطريقة فخمة، وأن زخارفها تشبه الزخارف الموجودة في قبة الصخرة بالقدس الشريف والجامع الأموي بدمشق والعديد من الآثار الأموية الأخرى^{١٣}.

فإذا نظرنا إلى مصحف طوب قابي وأيعاده لرأينا أنه ينتمي إلى مصاحف المجموعة الأولى، أي مصاحف العهد الأموي. كما نلاحظ تشابهاً كبيراً بين أسلوب زخرفته وأسلوب زخرفة نموذج مصحف صنعاء (في اللوحة رقم ١).

والدارس لزخرفة فواصل سور الآيات في مصحف طوب قابي يمكن له اعتبارها نماذج مبكرة تحتوي العناصر الزخرفية الإسلامية في نسائتها الأولى. وبالنظر إلى الأمثلة المختلفة التي يقدمها لنا هذا المصحف يلاحظ وجود تأثيرات للفن البيزنطي المتقدم زمنياً على ظهور عناصر الفن الإسلامي لزخرفة وذلك من استخدام الخطوط المتقطعة والعنابر الزخرفية القديمة الأخرى التي تركت مكانها في مرحلة تالية للعناصر الزخرفية ذات الطابع الإسلامي البحث. وهذه العناصر الزخرفية المبكرة تعتبر مادة بحثية نادرة لدارسي تاريخ الفن الإسلامي وتطوره وتأثيره في طور النشأة بفنون الأمم المتقدمة على الإسلام بعد أن انتشر في أراضيها، وتأثير المسلمين بتراثها وتمثلوه وأبدعوا على أرضيته تراثهم الرائع.

أما فواصل الآيات في مصحف طوب قابي (بعد كل آية، وخمس آيات، وعشرين آيات) فإنها مرسومة على شكل دواير صغيرة تحظى على زخارف هندسية ونباتية متعددة. ويلاحظ أن أغلبها مرسوم بالمداد الأسود فقط، بينما جاء بعضها ملوناً، كما يلاحظ عدم تناسب بعض هذه العلامات من ناحية الشكل والحجم، فمنها ما ضئل ومنها ما كبر (2a- 6b) (انظر المجموعة ١/اللوحة ٢). كما يلاحظ أيضاً أنه أثناء كتابة المصحف لم يكن هناك اتساق دائماً في ترك فراغات مناسبة بين الآيات لوضع هذه العلامات فاضطر واضعها إلى تصغيرها تارة أو تكبيرها تارة أخرى أو وضعها فوق السطر.

ونرى من فواصل الآيات بوجه عام أنها رسمت على شكل دواير صغيرة، ويبدو من انتظام محيط الدائرة أنها كانت تطبع بقالب ثابت ثم ترسم الزخارف المختلفة في داخلها سواء كانت على شكل هندسي (انظر المجموعة

^{١٣} انظر: R. Ettinghausen, Oleg Grabar, Marilyn Jenkins-Madina, *Islamic Art and Architecture (650-1250)*, Yale University Pres, 2001.
وانظر أيضاً نوذجاً من مصحف صنعاء الأموية في اللوحة رقم ١ ولاحظ التشابه بين زخارفه ور-Zخارف مصحف طوب قابي . p.74

II / اللوحة ٢) أو على شكل نبات النفل (الوريقات الأربع) (انظر المجموعة III / اللوحة ٢). ونرى بوضوح تأثر هذه الأشكال الهندسية بالفن البيزنطي ، ومحاولات التخلص اللاحقة من تقاطعات الخطوط المستقيمة للبعد بها عن شكل الصليب (انظر المجموعة III / اللوحة ٢)، وإن كنا نرى في بعض الأحيان نماذج واضحة للتقطيع وتتأثيرات أخرى للعهد السابق على الإسلام .

كما نلاحظ وجود مجموعة مختلفة من فواصل الآيات في الأوراق (ab. 6b. 11ab) (انظر المجموعة I / اللوحة ٢)، حيث تأتي على شكل مجموعات من الدوائر وأنصاف الدوائر المتراكمة أو المتداخلة والتي رسمت باليد باستخدام اللون الأحمر بالإضافة إلى المداد الأسود . وهذه الإشارات موجودة فقط في الأوراق التي أشرنا إليها أعلاه (انظر أشكال المجموعة الأولى) . وإذا أخذنا في الاعتبار ما أبديناه من ملاحظة على اختلاف الخط في هذه الأوراق عن بقية المصحف وكما ذكرنا من قبل لا مكمنا القول إن هناك عمليات وضع أوراق جديدة ربما حدثت بدلاً من تلك التي عطبت أو ضاعت .

ويلاحظ هنا أن هذا المصحف يتميز بوضع فواصل دائيرية ذات حجم أكبر بعد كل خمس أو عشر آيات ، وكذلك فاصله مستطيلة الشكل بعد كل مائة آية . وقد لونت هذه الفواصل بألوان مختلفة عن بقية الفواصل . كما نرى أن العديد من الفواصل المستطيلة – وإن لم تكن كلها – قد احتوت في داخلها على الكلمة " معة " . كما نلاحظ وجود فاصلة مستديرة أخرى بعد كل مائتي آية كتب في وسطها لفظ " معتين " (انظر اللوحة ٣) . وهذا يتكرر في سورة البقرة^(١٤) وأآل عمران والشعراء . أما سورة آل عمران التي تنتهي بآية مائتين فلم ترد فيها هذه الفاصلة .

وقد رسمت فواصل السور متعددة أفقياً على هيئة مستطيل عريض ينتهي طرفه أحياناً بتقوير مشع . وقسمت الفواصل في داخلها إلى مثلثات ومربعات صغيرة غير متطابقة لونت بالأحمر والأخضر والأصفر والأسود (انظر اللوحة ٤) . ويلاحظ أن فواصل السور لم تأخذ شكلاً نمطياً ، ومن الواضح أن من قام بالزخرفة كان يملأ الفراغات الموجودة بين السور كما راق له الأمر . ونلاحظ في كثير من الأحوال أن المزخرف كان يتتجنب طمس الحروف بالألوان فيعرّج الخطوط الزخرفية لظهور الحروف واضحة . كما أن المعوذتين في آخر المصحف (408a) كتبتا ضمن دائرة زخرفية محددة بخطين متوازيين بالحبر الأحمر ، ويلاحظ وجود آثار زخارف أخرى خارجهما ، ويبدو أن هذه الزخارف تأثرت من ظروف الجو كالحرارة والرطوبة وغيرها .

وإذا قارنا مصحف طوب قاي بمصاحف القиروان المكتوبة على الرق لوجدنا بينها ملامح مشتركة . والدراسة المقارنة بين هذه النسخ من ناحية الخطوط التي كتبت بها والزخارف التي زينتها تبيّن أن صناعة المصاحف في تلك المرحلة قد قطعت شوطاً معيناً ، وأن القواسم المشتركة أصبحت موجودة^(١٥) . ومن بين النسخ التي توجد في متحف القيروان ، فقد أمكننا الاطلاع بفضل الاستاذ إبراهيم شبور على بعض صور لثلاث نسخ منها [رقم ٩ ، ٢٢ ، ٣٣] ، ورأينا أن أقرب النسخ شبهاً بمصحف طوب قاي هي النسخة المحفوظة تحت رقم ٢٢ على عكس

١٤ الآية ٢٠٠ من سورة البقرة في مصحف طوب قاي تقابل الآية ٢٠٢ في المصحف الطبع في المدينة المنورة . وهناك بعض الفروق الطفيفة من مثل هذا في مواضع أخرى من مصحف طوب قاي .

١٥ اتجه بالشكر إلى العالم الجليل خبير الخطوطات الاستاذ إبراهيم شبور لتفضله بإرسال نماذج من هذه المصاحف كماأشكر له ملاحظاته القيمة حول الموضوع . وفيما يخص هذه المصاحف التي كانت محفوظة في مكتبة القيروان ، انظر إبراهيم شبور: السجل القديم لمكتبة القيروان ، مجلة مهندس المعلومات العربية ، المجلد الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

المتوقع بأن تكون النسخة رقم ٩ والتي عرفت هي أيضاً بأنها أحد مصاحف عثمان. ففي نسخة القبروان رقم ٢٢^(١٦) رسمت علامات الإعراب على شكل نقاط باللون الأحمر على طريقة أبي الأسود الذهلي، وعلامات الإعجام بالخطوط المائلة الدقيقة (المكتوبة بالمداد الأسود) كما هو الحال في نسخة طوب قاپي، بينما نجد أن إشارات الإعراب في النسخة رقم ٩ كانت بالخطوط المائلة الدقيقة المكتوبة باللون الأحمر^(١٧). إلا أن هذه النسخة تتميز بوجود فوائل السور والآيات، وأسلوب زخرفة هذه الفوائل يجعل هذا المصحف أقرب النسخ الثلاث ظهراً إلى مصحف طوب قاپي.

إن هذه العناصر الخطية وكذلك العناصر الزخرفية التي سبقت الإشارة إليها في اختصار تدل على أن هذا المصحف لا يعود إلى عهد المصاحف الأولى التي عُرفت باسم المصاحف الأئمة التي ذكر المؤرخون أن الخليفة عثمان أمر بكتابتها وإرسالها إلى الأمصار. وهنا تجدر الإشارة إلى ما قاله ابن خلدون (٧٣٢ - ١٣٢٢ هـ / ١٤٠٦ - ١٤٠٦ م) في مقدمته من أن الخط العربي لأول الإسلام كان غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسيط، لمكان العرب من البداوة والتلوّح وبعدهم عن الصنائع. ويبين ابن خلدون هذا بقوله إن الكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلقاً، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العمran والتعاون عليه لأجل دلاته على ما في النفوس^(١٨).

ثم يشير ابن خلدون إلى تطور فن الخط عند العرب بقوله إنه لما جاء الملك للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك وزرعوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبو صناعته وتعلّموه وتدارلوه، فترقى الإجاده فيه، واستحقّكم، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، إلا أنها كانت دون الغاية. والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد.

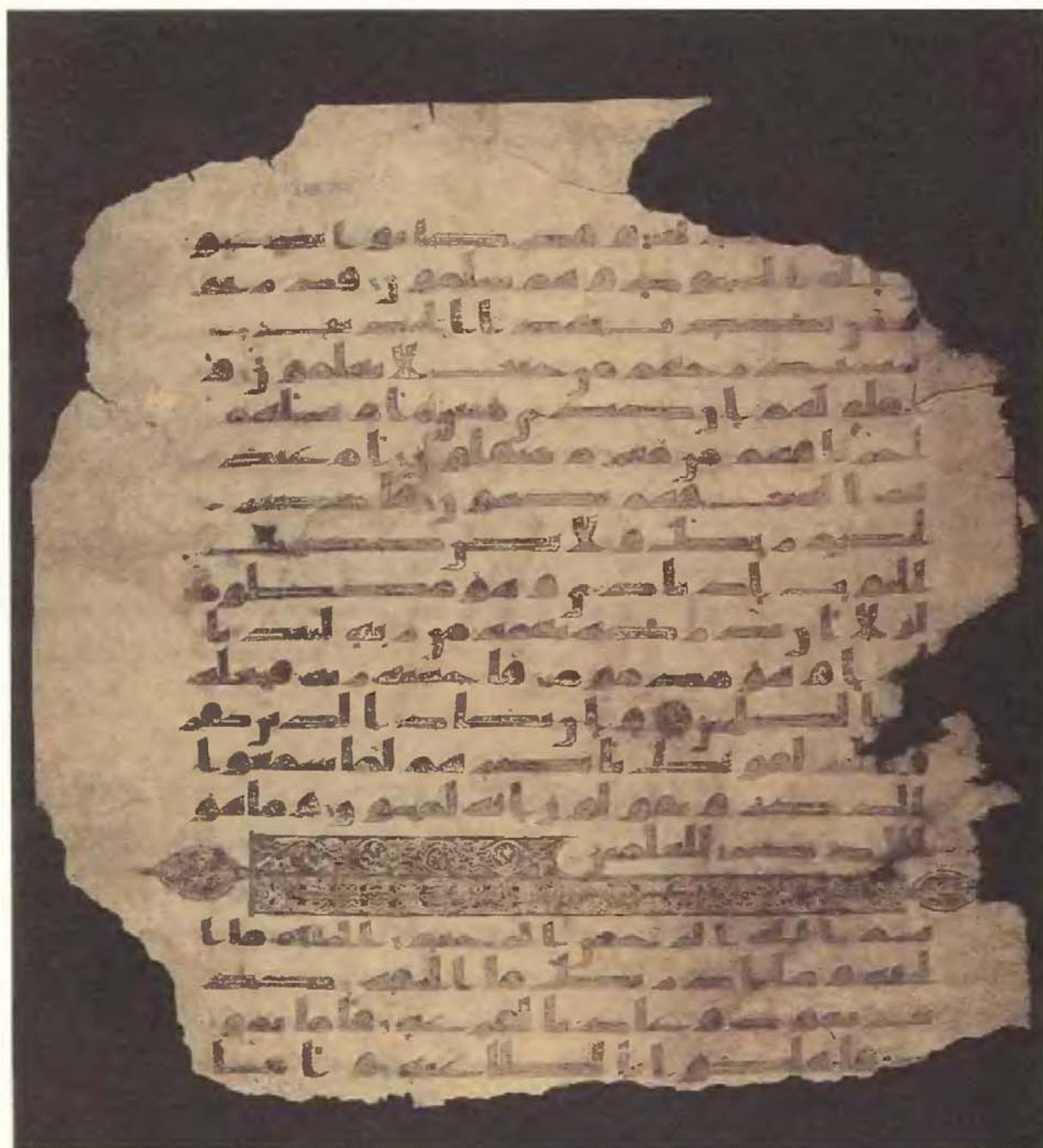
والمحفظ الذي نتشرف اليوم بنشره ينتم - كما نرى - عن تطور ملحوظ في فن الخط والكتابية وطريقة صرف الكلمات على سطر مستقيم مستمر، وتناسب في الحروف إلى حد كبير، وجود علامات الإعراب على شكل نقاط بالمداد الأحمر وعلامات الإعجام على شكل خطوط مائلة دقيقة ب بنفس المداد الأسود الذي كتب به المتن، بالإضافة إلى العناصر الزخرفية الأخرى التي يحتويها؛ ومن ثم فهو لا يمثل المرحلة الأولى للمصاحف. وإذا أخذنا في نظر الاعتبار أبعاده وأسلوب زخرفته فإن أغلبظن أنه من نتاج العصر الأموي. ولا شك أن المصحف، بصفاته تلك يعتبر واحداً من أقدم المصاحف الكاملة التي حفظها لنا التاريخ (باستثناء ورقتين ضاعتتا خلال مسيرة المصحف التاريخية) ويتم نشره اليوم. وهو يمثل حلقة نادرة في السلسلة الذهبية المباركة للقرآن الكريم منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، وبه يتجلّى المعنى الكريم في قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحفظهون) ^(١٩).

^{٦٦} انظر اللوحة رقم ٥ في آخر هذه الدراسة.

٦٧ انظر اللوحة رقم ٦.

^{١٨} ابن خلدون، فصل الخط والكتابة في المقدمة، مراجعة وتعليق عبد الباقى حريف، سيلدار تونس ٢٠٠٦، ص ٦٢٠.

١٩ قرآن کریم، سورہ الحجر آیۃ ۹.



لوحة ١
زخارف نسخة صنعاء

I: 2a-6b, 11a-11b

فراصل الآيات



أعشار



II: 7a-10b, 12a-115a, 376b-383b, 394a-408a

فراصل الآيات



أخماس



أعشار



III: 115b-376a, 384a-393b

فراصل الآيات



أخماس



أعشار



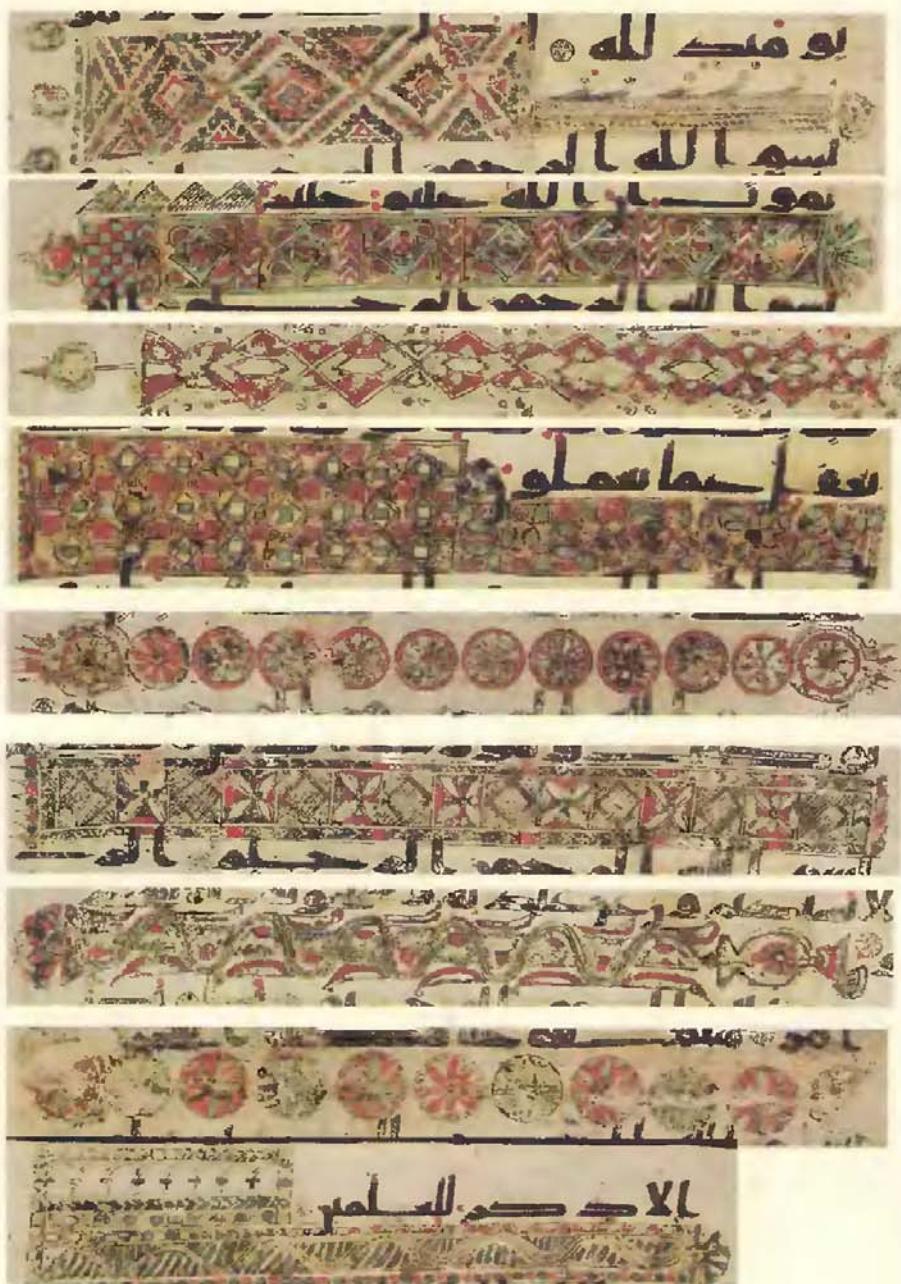
فوائل المائة آية (مائة)



فوائل المائة آية (مئتين)



فواصل السور



لوحة ٤

ه يطاجعه سله فعنده حساماً سهنه
أو سلطاحه ما ينكره فما
عنه فما لا يقدر به ما وحشة
لهم ما ينكره سهنه لما يعوذه
لله ما قوله إلا لشيء لا يعلمه
صيوا فدنه [لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُوَ]
يد [لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] سو لا طول ما علمه
لله مهلاً [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]
مع ما يعلمه ما الطلاق من
اللهم إلهي ما تلوي و مرتلي
ما لله و بجل طلابه على مرتلي
نه من ينكرها [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ]
د ط [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] حلو سه
سو بـ و مـ [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] كـ طـ
لـ [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] سـ رـ اـ سـ لـ مـ
لـ [لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ] دـ مـ دـ رـ

خـ

مَا سَادَ سَدَ وَهُدَى هَادِي
 وَارْمَادَ مَاءَ سَطَرَ الْحَدِيدَ
 هَدَى هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي
 وَسَطَرَ الْمَاءَ نَوْصَفَتَهَا الْحَلَقَةَ
 عَلَى الْأَدَمِ سَعَاهَا مِنْ مَاطِلَةِ هَادِي هَادِي
 لَهُ هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي
 الْمَاءَ وَهُدَى هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي
 فِيهِمْ فَلَهُ الْمَاءُ هَادِي هَادِي هَادِي
 طَرَصَرَ وَسَلَمَ الْمَاءُ لَهُ عَرَمَ الْمَاءُ
 وَهُوَ رَبُّ الْمَاءِ وَهُوَ رَبُّ الْمَاءِ
 سَلَامَلَكَهُ مَا لَهُ سَهَّلَهُ لَهُ هَادِي هَادِي
 وَهُدَى هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي هَادِي

سَمَّا لَهُ الْمَاءُ حَمْرَ الْمَاءُ حَمْرَ الْمَاءُ
 أَهْلَهُ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ حَمْرَ الْمَاءُ
 لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ
 حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ
 لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ لَهُ حَمْرَ الْمَاءُ

سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَنَّهَا مُحَمَّدًا
كَوْنَاتُ الْمُحَمَّدَ مَوْلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ
وَلَمْ يَكُنْ لِلَّهِ شَارِعٌ لِلْأَرْضِ مُحَمَّدٌ بِأَنَّهَا مُحَمَّدًا
لَا يَكُونُ لِلَّهِ شَارِعٌ لِلْأَرْضِ مُحَمَّدٌ بِأَنَّهَا مُحَمَّدًا
كَوْنَاتُ مُحَمَّدًا كَوْنَاتُ الْمُحَمَّدَ مُحَمَّدٌ بِأَنَّهَا مُحَمَّدًا

دراسة وتحقيق

الدكتور طيار آتى فولادج

تمهيد

لاريب أن أقدم كتاب جرى تدوينه بالعربية ووصلنا سالماً هو كتاب الله العزيز، القرآن الكريم الذي أرسل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. وكان نزوله بلغة العرب هو لأن النبي محمدًا المرسل لتبلیغه ظهر في قوم يتحدثون العربية، وهو أمر يتلقى والبيان الإلهي في قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...»^(١).

وقد نزلت الآية الكريمة «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»^(٢)، لتكون عهداً من الله على أن هذا النص المقدس سوف يظل محفوظاً من التحرير الذي تعرضت له الكتب السماوية الأخرى. والشاهد على ذلك كما يتبيّن من هذه الدراسة أن نص القرآن الكريم قرئ بالشكل الذي كتبه به كتاب الوحي وظل محفوظاً بهذا الشكل، حتى وصلنا دون أن يتعرض لأي تحرير.

وابتداءً من صدر الإسلام وجدنا في البداية عدة معاشر من الناس كانوا يستظهرون القرآن، ثم زاد العدد وتضاعف مع مر السنين حتى بلغ الآلاف وعشرات الآلاف؛ ووضعت مؤلفات لا حصر لها في لغته وأسلوبه وإملائه (رسمه) وتاريخه وانعدام القدرة على تقليله أي إعجازه وغير ذلك من الموضوعات، كما وضعت له تفاسير تزخر بها مكتبات الدنيا.

ولا ريب أن النسخة التي تقدمها اليوم مع هذه الدراسة لنظر الباحثين والدارسين، والمكتوبة قبل نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان هي واحدة من أقدم وأهم عدة وثائق مدونة تؤكد لنا ذلك «العهد بالمحافظة». ويوجد اليوم انضباط تام بين المصاحف التي يقرأها المسلمون في كافة أنحاء الدنيا وقد طبعت بإمكانيات التقنية الحديثة. ويفظهر هذا الانضباط بالشكل الذي يبعث الفرحة في نفوسنا جميعاً بعد دراستنا لهذا النص الأصلي الذي تقدمه لاستفادة الجميع لأول مرة بهذا العمل بعد أن ظل حبيس المكتبات قروناً طويلاً. وكان مصحف طشقند – الذي هو واحد من أقدم عدة نسخ في العالم ووجده الفرصة لدراستها من خلال هذا العمل – قد جرى طبعه طبق الأصل قبل سنوات في خمسين نسخة، كما جرى نشره بمقدمة قصيرة على يدي المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حميد

١ سورة إبراهيم ٤/١٤
٢ سورة الحجر ٩/١٥

الله، إلا أن نقصه بمقدار الثلثين تقريباً يدفعنا - وهو أمر طبيعي - إلى عدم قبوله كوثيقة مدونة ترقى إلى مستوى الكفاية التي تبرهن على حفظ النص المقدس^(٣).

وهناك حقيقة هامة أخرى، هي أنه لا يوجد على وجه الأرض كتاب آخر توجد منه نسخ مخطوطة أو مطبوعة، أو كتاب يقرأ وتوضع حوله البحوث والدراسات بقدر القرآن الكريم. فلا مجال إذا قلنا إنه لا توجد عائلة مسلمة لا تحتفظ في بيتها بنسخة من المصحف، وتضعه في ركن ركين من أركان ذلك البيت. وكم من الناس - وهم بمئات الآلاف في كل مرحلة من مراحل التاريخ - جثوا أمام معلم كي يتلذموا على يديه تلاوة القرآن الكريم رغم عدم علمهم بمعانيه، وكم طابت نفوسهم وهم يستمعون بكل الوجد لمقرئ حسن الصوت يتلو آياته ويجيد تلاوته.

ولا شك أن أهم الموضوعات في تاريخ القرآن الكريم هو العجائب الذي يعني بمسألة الصفاء والنقاء التي فاض بها ينبوع الوحي هل حافظت على وجودها أم لا، أو بتعبير آخر مسألة الحفاظ أو عدم الحفاظ على القرآن الكريم. فإذا كان هناك حفاظ على القرآن حقاً فإنه يشكل المصدر الأهم لسعادة الإنسان المسلم؛ وإنما كانت النتيجة أن حِرَّ المسلمين لحالة من عدم الإطمئنان كما هو الحال في عقول الشعوب غير المسلمة التي تفك وتقلب الأمر في ذلك؛ وتضعهم في موضع الكتل التي تشعر بنفسها في فراغ متخبطة في البحث والتحرى.

إن الهدف الذي نسعى إليه ونحوه نقدم للباحثين والقراء ثمرة دراسة النسخة التي كتبت قبل نحو ثلاثة عشر قرناً وعرفت باسم «مصحف سيدنا عثمان» أو «مصحف طويقابي» ليس تناول هذا الموضوع الهام في تاريخ القرآن بكل تفرعاته، وإنما هو توجيهه أنظار القراء إلى الإسهام المهم الذي ستوفره هذه النسخة النادرة لهذا القسم من تاريخ القرآن الكريم، وتعريف الباحثين خصوصاً والطلاب عموماً بتلك الثروة الثقافية النقيضة المحفوظة على رفوف المكتبة ولا تُعرض على الرؤاً لرؤيتها إلا في شهر رمضان داخل «متحف طويقابي سرائي».

وكنا قد رأينا ونحن نقوم بذلك أنه سوف يكون من المفيد أن نقارن بين هذه النسخة وبين «مصحف طشقند» أقدم المصاحف التي وصلتنا وقيل إنها النسخة التي كان عثمان بن عفان رض يقرأها عندما وقع عليه الاعتداء واستشهاده. وقد فعلنا ذلك من خلال السور والأيات التي احتوتها أوراق المصحف الموجودة. ولكننا رأينا بعد تدقيقه من أوله لآخره والإطلاع على عدة كتب ومقالات في هذا الخصوص أنه لا يمثل إلا ثلث القرآن الكريم، وظهر لنا - كما سنوضح أثناء التعريف به فيما بعد - وقوع بعض التحريرات حتى وإن كانت بغير قصد عندما قام المستشرق الروسي بيسارييف بتمرير قلم الحبر على حروفه قبل طبعه صورة طبق الأصل سنة ١٩٠٥م. ومن هنا رأينا أن المقارنة بين مصحف طويقابي الذي نرى فيه نسخة كاملة (إلا ورفقين فقط) ولم يقع عليه أي تدخل من أحد وبين هذا المصحف الذي لا يضم إلا الثلث من النص القرآني الكريم لن تسفر عن نتيجة صحيحة، فقمنا باستخراج واستبعاد فروق الإملاء الخاصة بمصحف طشقند من هوماش البحث. ولكننا بدلاً من استبعاد تلك النسخة خارج نطاق البحث تماماً حاولنا التعرف عليها قدر الإمكان وأفسحنا المجال للجدل الدائر حول صحة أو عدم صحة نسبتها إلى سيدنا عثمان رض ووجه نظرنا تحن في ذلك. بل وأفسحنا المجال أيضاً لجدول أعدادنا وأدرجناه في نهاية هذه الدراسة حول التلفظ والحرروف أو الألفاظ الناقصة أو الزائدة فيما بين مصاحف سيدنا عثمان رض نفسها، ثم بينها وبين مصحف طويقابي، ثم مصحف طشقند من خلال الأوراق الموجودة منه.

وسعياً للوصول إلى رأي جازم حول مدى توافق مصحف طويقابي مع الرسم العثماني ومساعدة الباحثين في هذا الموضوع فقد رأينا من المفيد أن نقارن بين هذا المصحف وبين المصحف الذي تجري طباعته برعاية الملك فهد بن عبد العزيز منذ عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ - ١٩٨٥) تحت اسم «مصحف المدينة النبوية» في المدينة المنورة ويوزع بالمجان على الحجاج كل سنة تمثيلاً للمصاحف التي تجري اليوم طباعتها في دول العالم الإسلامي المهمة إيماناً بأن إملاءه متواقة مع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمان رض، وأن تعمل على إبراز الفروق الإملائية الموجودة بين المصحفين، ولأجل هذا أطلقنا على المصحف الثاني اختصاراً اسم «مصحف الملك فهد».

وعلى الرغم من أننا رأينا أن نضع في الاعتبار ضمن هذه المقارنة المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية باستانبول تحت رقم ٤٥٧ ويتضمن عبارة في الورقة الأخيرة منه تفيد أنه كتب على يدي سيدنا عثمان رض في سنة ٦٥١هـ (١٩٣٠) إلا أننا صرفاً النظر عن هذه الفكرة لما رأينا أن هذه النسخة المذكورة تحوز من الأهمية ما يجعلها جديرة بدراسة خاصة ونشر مستقل. وعلى الرغم من أنها نسخة قديمة أكثر قليلاً بالنظر إلى مصحف طويقابي^(٤) فقد آثرنا أن نعطي أسبقيّة العمل لمصحف طويقابي الذي نعلم أنه كامل ولم ندرك إلا بعد التقدم في دراستنا أن الذي ينقصه ورقتين فقط. ونحن نتطلع بكل الأمل أن يتم نشر تلك النسخة المحفوظة في متحف الآثار التركية والإسلامية في أقرب الآجال، ثم تقديمها لاستفادة الباحثين^(٥).

ولكي تجري عملية تقويم صحيحة لمصحف طويقابي الذي بين أيديكم والذي هو موضوع دراستنا ونسخ مصاحف المدينة المطبوعة وتقويم إملاء المصاحف الأخرى على السواء كان لا بد من التعرض بإيجاز لمسائل تاريخ القرآن ولا سيما ما يتعلق برسم المصحف، وإلقاء نظرة عامة على المناهج المتّبعة في إملاء المصاحف في بعض الأقطار الإسلامية.

وخلال دراسة النص وعمل المقارنة بين النسخ، وهو عمل شاق يقتضي الكثير من الدقة، يكون من الممكن جداً أن تقع بعض الأخطاء وتسلو العين عن بعض الأمور. فلم يكن من السهل أبداً القيام بتشخيص صحيح للنص الأصلي بكل تفاصيله وقراءاته حرفاً حرفاً. ونعتقد أن الباحثين سوف يقومون، حتى ولو كان بشكل متقطع، بدراسات أكثر دقة وعناية على ذلك النص المقدس الذي نقدمه لاستفادتهم. ولا شك أن الكشف عن الأخطاء التي قد تظهر في ثنايا البحث وإبلاغنا بها سوف يساعدنا على تداركها وتلافيها فيطبعات القادمة.

وكم تمنينا أن يكون تقديمنا لهذا النص المقدس الموجود بين أيديكم مقروناً باسم «مصحف سيدنا عثمان رض»؛ إلا أننا وجدنا في نهاية البحث أنه لم يكن مصحف سيدنا عثمان الخاص، ولم يكن أيضاً واحداً من المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار. ولهذا رأينا من الأنسب أن يكون نشرنا له تحت عنوان «المصحف الشريف المنسوب لسيدنا عثمان رض» (نسخة متحف سراي طويقابي). أما النسخة المحفوظة من المصحف الشريف في

^٤ ذكر صلاح الدين للشجاع عن هذا المصحف عبارة «إنه أقدم المصاحف التي رأيناها»، وقال إنه يرجع إلى أواخر القرن الهجري الأول («دراسات في تاريخ الخط العربي»، ص ٢٠٠).

^٥ لقد بذلنا دراستنا على هذا المصحف بإذن خاص من عالي وزير الثقافة والساحة السيد / آتيلاؤج. وقد تم تصوير المصحف بكاميرا رقمية، وفي اللحظات التي نكتب فيها هذه السطور (٢٠٠٦/٢) تكون قد فرغنا أيضاً من كتابة النص بالكمبيوتر بنفس الإملاء، ونفس نظام الصفحات والأسطر. وكان خوفنا أن يكون النصون كبيراً في الأوراق، لكننا وجدنا أن النافذ هو ست عشرة ورقة فقط من أماكن متباينة، وأن تلك الأوراق النافذة قد جرى استكمالها في مكة سنة ١٤٤١هـ (١٤٣٧-١٤٣٨م) بواسطة قلم آخر مختلف، وأذ بعض الأوراق الأخرى قد تغير مكانها. وتوصل العميل الآن في دراسة هذا المصحف دون توقف.

متحف الآثار التركية والإسلامية والذي نعتقد أنها استنسخت في عهد أقرب إلى عهد سيدنا عثمان رض، فإننا نشكر في جعله - ولنفس السبب - تحت عنوان «المصحف الشريف المنسوب لسيدنا عثمان رض» (نسخة متحف الآثار التركية والإسلامية). فقد توصلنا - ومن الآن مع الأسف - إلى أن تلك النسخة ليست هي الأخرى من مصاحف سيدنا عثمان رض كما سنوضح فيما بعد عند نشرها.

ويسعدني بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر العميق إلى معالي السيد استميمخان طالاي وزير الثقافة في ذلك العهد، إذ وافق على دراسة مصحف طوپقاپى، وإلى الدكتور مصطفى آلتون داغ والبروفسور بكر طوبال أوغلى اللذين لم يبخلا بنصائحهما وتوجيهاتهما وقاما بقراءة نص هذه الدراسة من أوله لآخره، وإلى الأستاذ الدكتور محي الدين سرین الذي قام بفحص أساليب الخط والكتابة في مصحف طوپقاپى وتقاسم مع فرائنا خبرته في هذا المجال، وإلى البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلى مدير عام إرسيكا السابق والأمين العام الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي شملنا دائمًا برعايته وأحاطنا بتشجيعه أثناء الدراسة، وقدّم للقراء ملاحظاته التاريخية والකودکولجيية على مصحف طوپقاپى. كما أشكر الدكتور خالد أرن مدير عام المركز الذي بذل قصارى جهده حتى يخرج للنور هذا النص المبارك ويطلع عليه الباحثون والمعنيون بشؤون المصحف الشريف.

آلتوني زاده - اوسکدار / استانبول

٢٠٠٦/٢/٥

الفصل الأول

الكتابة العربية

أولاً: نبذة حول نشأة الكتابة العربية ومراحل تطورها:

هناك آراء متباينة حول نشأة الكتابة العربية؛ ومن هذه الآراء أن الكتابة العربية الحالية إنما ترتكز على الأبجدية السريانية، بينما يقول رأي آخر إن أصل الكتابة المذكورة يرجع إلى الأنبار، ثم انتقل منها إلى الحيرة (النجف)، ومنها إلى الأراضي الحجازية. بينما يرى رأي ثالث أن العرب استعملوا خطأً ثم طوّروه أولاً في جنوب الجزيرة العربية وعرف باسم «المسندي»، وأن الكتابة العربية الحالية قد تطورت متأثرة بهذا الخط. وتدلنا آخر البحوث والدراسات التي أجريت على أن الكتابة العربية لم تتأثر بأي شكل من الأشكال بالكتابة السريانية. وحتى ولو ظهر للوهلة الأولى منطقية القول القائل بأن أسس الكتابة العربية هي الأنبار في الشمال نظراً لأن الحيرة كانت مركزاً حضارياً مهماً، فإن استعمال الأهالي الأبجدية السريانية هناك هو أمر يدلنا على عدم إمكانية ربط نشأة الكتابة العربية بتلك المنطقة. أضف إلى ذلك أنه لا توجد اليوم في أيدينا نصوص بلغتنا عن الأنبار والحيرة حتى يمكن من خلالها تصديق ذلك الرأي وعمل المقارنات اللازمة. أما الخط الذي عُرف بالمسندي فلا توجد أوجه للتشبه بينه وبين الكتابة العربية، لا من حيث شكل الحروف ولا من حيث تركيب الكلمات.

وتدلنا البحوث المعاصرة على أن النظر بعين التقدير والاعتبار للأراء المذكورة أمر لا يمكن تحقيقه^(١)؛ إذ تذهب تلك البحوث إلى أن منشأ الخط العربي الحالي هو الخط النبطي. والدليل على ذلك أن دراسة بعض كتابات ترجع إلى ما قبل الإسلام وإلى صدر الإسلام تؤكد هذا الرأي؛ وتثبت أن الكتابة العربية إنما هي شكل متتطور من الكتابة النبطية^(٢). والمعروف أن الأنباط قوم من العرب كانوا يقطنون في جنوب منطقة الشام وفلسطين في العصور الوسطى^(٣)، وكانوا يسيطرؤن في القرن الرابع قبل الميلاد على النشاط التجاري القائم على خط البحر الأبيض المتوسط وجنوب بلاد العرب ثم خط الشام مصر، وكانت القوافل التجارية تؤدي الضريبة للحكم النبطي.

١. المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ١٢ - ١٣.

٢. انظر: Nihad Çetin, "Arap", *DIA*, III, ٢٧٦.

٣. انظر: E. Honigmann, «Nabatîler», *IA*, IX, I، وصلاح الدين المنجد، نفس المصدر، ص ١٣.

وبسبب تلك الحركة التجارية المنتعشة اضطر الأنبياء لتعلم الخط والكتابة، فاستعملوا الخط الآرامي في البداية، ثم طوروه وحسّنه مع مرور الوقت حتى تولد عنه الخط النبطي. ومع مرور الزمن راح يبتعد رويداً رويداً عن الخط الآرامي حتى تحول إلى الخط العربي في العهد الجاهلي. وكان من نتاج الانتعاش التجاري المذكور أنّ وقع الاتصال بين العرب الحجازيين والعرب الأنبياء، وتآثر العرب الحجازيون بالأنبياء الأرقع ثقافة منهم، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التأثير أن ظهرت بينهم قيمٌ - بل وعتقدات - مشتركة. وتبثت لنا أقدم النقوش الخاصة بما قبل الإسلام وبعده وكذلك المعلومات المتوفّرة حول خصائص الخط النبطي في المصادر أن الكتابة العربية الحالية إنما ولدت من الخط النبطي، بل وإنها الشكل المستطور منها^(٤).

وقيل إن أول من حمل الخط إلى مكة هو بشر بن عبد الملك بعد أن تعلمه من أهل الأنبار، وإن بشراً المسيحي جاء مكة، وتزوج الصهباء ابنة حرب بن أمية^(٥)، وإن سفيان بن حرب بن أمية وأبا قيس بن عبد مناف شهداه وهو يكتب الخط فطلبها منه أن يعلمهم الكتابة، وإنه لم يلبِ لها هذا الطلب. وبعد ذلك ذهب هؤلاء الثلاثة إلى الطائف قاصدين التجارة، وهناك أخذوا الكتابة منهم غيلان بن سلمة الشفقي، ثم انفصل بشر عن رفيقه وتوجه إلى ديار مصر، ثم انتقل منها إلى الشام، وهناك قام بتعليم الكتابة لعدد من الناس^(٦). أما الرواية التي نقلها ابن أبي داود (ت ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م) فتقول إن بشراً عَلِمَ الكتابة لسفيان بن حرب، كما تذكر الرواية أن عمر بن الخطاب قال: «تعلم القرشيون في مكة الكتابة من حرب بن أمية والد سفيان بن حرب». ويدرك ابن أبي داود من التفاصيل أن معاوية بن أبي سفيان، حفيد حرب، تعلم الكتابة من عمّه سفيان بن حرب^(٧). كما جاء فيما أورده ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) أن بشراً عَلِمَ الكتابة لحميّة حرب بن أمية وشقيق زوجته سفيان بن حرب، كما تعلمها عمر بن الخطاب أيضاً من حرب. ونشهد بين ملحوظات ابن كثير أيضاً تلك المعلومة التي تقول إن معاوية بن أبي سفيان تعلم الكتابة من عمّه سفيان بن حرب^(٨). وهناك رواية أوردها أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م) تقول إن حرب بن أمية تعلم الكتابة من عبد الله بن جدعان، وتعلمتها عبد الله من أهل الأنبار، وتعلمتها أهل الأنبار من رجل قادم من اليمن، وتعلمتها هذا من جلجان بن موهم كاتب الوحي عند سيدنا هود (عليه السلام)^(٩).

ويتبين من تلخيص الروايات أن عائلة حرب بن أمية كانت بمثابة المعبر لدخول الكتابة العربية إلى مكة وانتشارها، وقادت بخدمة جليلة في هذا الصدد بصرف النظر عن اختلاف الأسماء التي أورتها الروايات في أمر الرجل الذي جاء إلى مكة بالكتابية العربية.

ورغم الافتقار إلى وثيقة عن المرحلة التاريخية التي تربط بين العصر الجاهلي وعهد ظهور الإسلام إلا أن الواضح من المعلومات المتاحة حول دخول الخط والكتابة إلى مكة هو انتقاء الشك حول وجود بعض الشخصيات التي

^٤ انظر: Nihat Çetin, «Arap», *DİA*, III, 276; Mustafa Altundağ, *Hata İddiaları Çerçeveşinde Kur'an'ın Dil ve Yazım Özellikleri*, s.28-29
والمنجد، ص ١٩ - ٢٢، وأبو الفتوح، ابن خلدون ورسم لصحف العثماني، ص ١٣ - ١٥.

^٥ ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٤.

^٦ البلاذري، *فتور الشيشان*، ص ٤٥٧.

^٧ ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٤ - ٥.

^٨ ابن كثير، *فضائل القرآن*، ص ٢٦. وقد استخدم محمد حميد الله نفس المصادر ولكنه قال: إن حرباً هو أول من جاء بالخط إلى سكة، بينما غفل عن ذكر بشر تماماً (*Kur'an-ı Kerim Tarihi*, s. 51).

^٩ الداني، *الحكم*، ص ٢٦.

عاشت تلك المرحلة وكانت تعرف القراءة والكتابة. ويدرك ابن النديم أن مكتبة الخليفة المأمون كانت تحفظ بوثيقة مكتوبة بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ^{١٠}. وهذه الوثيقة التي يبدو أنها كانت صكًا لدين إنما تثبت لنا أن هناك بعض الشخصيات كانوا يعروفون القراءة والكتابة داخل المجتمع العربي آنذاك حتى وإن كانوا قلة، وأن الناس كانوا يستخدمون الكتابة ولا سيما في الأعمال التجارية. ويقدم لنا البلاذري اسم سبعة عشر رجلاً من هؤلاء، كما تحدث أيضًا عن سبع نساء تعلمن القراءة وكان بعضهن يعرف الكتابة في الوقت نفسه^{١١}. ولكن الذي لا شك فيه عند النظر إلى المجتمع العربي على عمومه آنذاك أنه كان مجتمعاً أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة. بل وتجدر الإشارة إلى صحة هذا الوصف حتى بالنسبة لعهد الصحابة في صدر الإسلام. والشاهد على ذلك أن الرسول ﷺ كان وهو يحكى لاصحابه بأسلوب بسيط شكل اثبات بداية ونهاية شهر رمضان عقب فريضة الصوم^{١٢} يقول لهم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهير...»^{١٣}، ويدركنا الرسول الكريم بهذا البيان أن صفة الأمية الموجودة في عموم المجتمع بعد نحو خمسة عشر عاماً من ظهور الإسلام كانت ما تزال جارية مستمرة.

ثانياً: الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام

مما لا شك فيه أن حركة تعلم الكتابة قد زادت وتيرتها مع ظهور الإسلام؛ لأن القرآن الكريم بدأ رسالته الإلهية بقول «إقرأ»، وأشار إلى أن القراءة تحذب العلم والمعرفة، وأن العلم والمعرفة هما السبيل إلى الاستئنارة^{١٤}. أما الضرورة المترتبة على ذلك والتي لا جدال فيها، فهي تعلم الكتابة التي كانت أوثق واسطة للحصول على المعلومة والتحقق منها في ظروف تلك الأيام. كما تجدر الإشارة أيضاً أن كتابة الوحي النازل على الرسول ﷺ وتعلمها كانت أمراً لا حياد عنه. ولأجل هذا كان السعي دؤوباً للاستفادة من الصحابة ذوي العدد المحدود ومن يعرفون القراءة والكتابة من ناحية، والعمل من ناحية أخرى على زيادة أعداد هؤلاء وتوسيع دائرة الاستئنارة والمعرفة بين الناس. كما أن الاستعانة بأسرى الحرب كانت من سبل تعليم القراءة والكتابة، إذ تقرر بعد غزوة بدر أن يُطلق سراح الأسير الذي يعرف القراءة والكتابة بعد قيامه بتعليم عشرة أولاد من أبناء المسلمين^{١٥}.

وكان النبي ﷺ يأمر كتاب الوحي بكتابته ما ينزل عليه من ربه، وهم رجال اختارهم خصيصاً لهذه المهمة وكلفهم للقيام بها. وكان يأمرهم بعد الكتابة بقراءة ما كتبوا عليه ليتأكد من صحته؛ فإن وجد فيه نقصاً أو خطأً أشار عليهم بتصحيحه في الحال^{١٦}. وكان من الرجال الذين كلفوا بهذا العمل ذي المسئولية الكبيرة علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن ربيع، ويزيد

^{١٠} انظر: ابن النديم، *الЛенинوس*، ص ١٣ - ١٤.

^{١١} بلاذري، *فتح البلدان*، ص ٤٥٧ - ٤٥٨ و المسعد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٢٢.

^{١٢} فرض الصوم على المسلمين في المدينة في شهر شعبان بعد عام ونصف من هجرة الرسول ﷺ إليها.

^{١٣} صحيح البخاري، ٢/ ٢٣٠ (الصوم، ١٣)؛ وصحيف مسلم، ٢/ ٧٦١ (الصوم، ١٥).

^{١٤} سورة العلق ١/٩٦ - ٥.

^{١٥} ابن سعد، *الطبقات*، ٢/ ٢٠ واحمد بن حنبل، *المسندة*، ١/ ٢٤٧ و أبو عبيد قاسم بن سلام، *كتاب الأمان*، ص ١١٦.

^{١٦} القمي، *ذب الكتاب*، ص ١٦٥.

بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت^{١٧}). كما كان العارفون بالقراءة والكتابة من الصحابة الآخرين يقومون بكتابية الآيات النازلة واستظهارها، وأصبح لكل واحد منهم مجموعة خاصة. كما كان كتاب الوحي يفعلون الشيء نفسه، فيصنع كل واحد منهم لنفسه نسخة خاصة. والشاهد على ذلك أنتا نشهد في المصادر معلومات حول المصاحف الخاصة ببعض هؤلاء وأخرى خاصة ببعض الصحابة الآخرين^{١٨}.

ويبدو أن عملية كتابة الوحي النازل كانت قد انتشرت بين الصحابة وإن كان بقدر محدود؛ حتى إن النبي ﷺ شعر بضرورة تنبيه الصحابة كي لا يقع الخلط بين آيات القرآن الكريم والنصوص الأخرى، فكان يقول لهم لا تكتموا عنـي شيئاً غير القرآن، ومن كتب عنـي شيئاً غير القرآن فليحـمه^{١٩}، فكأنـما أراد بهذه المناسبة أن يجتمع الكل بعد حفظ الآيات على تسجيلها وتدوينها بالكتابة. ومن المفيد هنا الإشارة إلى واحدة من روایـين مختلفـين حول اعتناق عمر بن الخطاب الإسلام. فالمعروف أن عمر لما علم أن أخته وزوجها دخلـا في دين الإسلام غضـب وتوجهـ إلى دارهما، وهناك وجدـ أنهـما كانوا يقرـآن سورة طـهـ من صحـيفـة مدونـة لـديـهمـا^{٢٠}.

ويبـدـواـ تصلـ إـلـيـناـ كـلـ هـذـهـ الـمـعـلـومـاتـ بـصـورـةـ مـكـثـفـةـ يـذـهـبـ بـرـوـكـلـمانـ إـلـىـ القـولـ إـنـ «ـأـغـلـبـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ تـرـتـكـرـ عـلـىـ الـرـوـاـيـاتـ الـمـسـتـظـهـرـ بـطـرـيقـ الـحـفـظـ وـحـدـهـ، وـقـدـ يـكـوـنـ جـرـىـ الـاستـفـادـةـ فـيـ إـيـاثـ قـسـمـ مـنـهـاـ مـنـ الـنـصـوصـ الـمـدـوـنـةـ»ـ، وـهـوـ زـعـمـ لـاـيـسـقـيمـ مـعـ الـحـقـائـقـ الـتـارـيـخـيـةـ.ـ والـشـاهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ أـنـ بـرـوـكـلـمانـ فـورـ طـرـحـهـ لـهـذـاـ الرـأـيـ يـقـولـ إـنـ بـعـضـ الصـحـابـةـ كـانـ لـهـمـ نـسـخـ خـاصـةـ،ـ وـيـذـكـرـ مـنـ بـيـنـ هـؤـلـاءـ أـبـيـ بنـ كـعبـ وـمـقـدـادـ بنـ عـمـرـ وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـعـودـ وـأـبـاـ مـوسـىـ الـأـشـعـريـ^{٢١}.

ولـمـ تـكـنـ طـرـيـقـةـ الـإـمـلـاءـ الـتـيـ اـسـتـخـدـمـهـاـ كـتـابـ الـوـحـيـ تـخـتـلـفـ فـيـ شـيـءـ عـنـ طـرـيـقـةـ الـإـمـلـاءـ الـمـعـرـوـفـ وـالـمـسـتـخـدـمـةـ عـنـ الـعـرـبـ آـنـذـاكـ.ـ وـالـشـاهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ أـنـ اـبـنـ قـتـيبةـ وـهـوـ يـتـحـدـثـ عـنـ الـأـلـفـ فـيـ كـلـمـاتـ:ـ (ـالـصـلـوةـ،ـ الـزـكـوـرـ،ـ الـحـيـوـةـ)ـ وـتـحـولـهـاـ إـلـىـ حـرـفـ الـوـاـوـ قـدـ ذـكـرـ أـنـ كـتـابـ تـلـكـ الـكـلـمـاتـ بـالـأـلـفـ سـتـكـونـ أـحـسـنـ لـوـلـاـ عـادـةـ الـعـارـفـينـ بـالـكـتـابـةـ فـيـ الـعـهـدـ الـذـيـ كـتـبـتـ فـيـ الـمـصـاحـفـ الـأـوـلـىـ فـيـ رـسـمـهـاـ بـالـوـاـوـ^{٢٢}.ـ وـفـيـ مـجـتمـعـ لـاـ يـمـلـكـ مـادـةـ كـتـابـيـةـ كـافـيـةـ فـيـ الـكـمـ وـالـكـيـفـ وـلـاـ يـمـلـكـ أـيـ وـاحـدـ مـنـهـمـ تـقـرـيـباـ نـصـاـ مـدـوـنـاـ يـمـكـنـ مـطـالـعـتـهـ يـكـوـنـ مـنـ الـبـدـيـهـيـ عـدـمـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ نـظـامـ اـسـتـقـرـيـ فـيـ الـكـتـابـ وـالـإـمـلـاءـ.ـ وـلـكـنـ لـمـ يـتـمـ الـاـكـتـفـاءـ بـأـنـ يـقـولـ كـتـابـ الـوـحـيـ بـكـتـابـةـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ بـالـخـلـطـ وـالـرـسـمـ الـمـسـتـعـمـلـ لـدـيـ الـعـرـبـ آـنـذـاكـ،ـ وـإـنـمـاـ كـانـوـاـ وـهـمـ يـفـعـلـونـ ذـلـكـ بـعـنـيـةـ وـاـهـتـامـ يـسـعـونـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـآـخـرـ وـحـرـصـاـ مـنـهـمـ عـلـىـ حـفـظـ الـوـحـيـ النـازـلـ لـاـسـتـظـهـارـ ذـلـكـ الـأـيـاتـ بـسـرـعـةـ وـفـرـحـةـ عـظـيـمةـ،ـ وـمـنـ ثـمـ جـرـىـ اـسـتـخـدـمـ طـرـيـقـيـنـ

^{١٧} المسجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٢٣. ولـمـ تـعـرـفـ عـلـىـ سـيرـ وـقـائـمـةـ أـسـمـاءـ الصـحـابةـ (٦١)ـ مـنـ كـانـوـاـ يـعـمـلـونـ كـتـابـاـعـنـدـ النـبـيـ ﷺـ فـيـ كـتـابـ الـوـحـيـ وـالـمـوـضـعـاتـ الـأـخـرـىـ انـظـرـ:ـ الـأـعـظـمـيـ،ـ كـتـابـ الـنـبـيـ،ـ صـ ٣٠ـ ١١٢ـ.

^{١٨} انـظـرـ:ـ عـلـىـ سـيـلـ المـثالـ:ـ اـبـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ،ـ كـتـابـ الـصـاحـفـ،ـ صـ ٥٠ـ ٨٨ـ.ـ إـذـ يـحـرـيـ الـخـدـيـثـ فـيـ الـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ تـوـرـدـهـاـ اـبـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ عـنـ قـرـاءـاتـ بـعـضـ الـصـحـابـةـ فـيـ الـغـالـبـ،ـ وـإـذـاـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ ذـكـرـ وـاسـعـ لـكـلـسـةـ (ـمـصـحـفـ)ـ عـنـ دـعـمـهـ فـيـ كـلـ الـذـينـ وـرـدـتـ أـسـمـاؤـهـمـ فـيـ ذـلـكـ الـرـوـاـيـاتـ بـوـجـهـ خـاصـ كـانـ لـهـمـ بـلـاشـكـ مـصـاحـفـ خـاصـةـ بـهـمـ.ـ وـفـيـ رـوـاـيـاتـ تـعـلـقـ بـعـضـهـمـ تـرـدـ ذـلـكـ الـكـلـسـةـ بـصـراـحةـ (ـانـظـرـ:ـ صـ ٥٣ـ ٧٤ـ ٨٣ـ).ـ وـيـقـرـئـ مـنـ تـاـحـيـةـ أـخـرـىـ أـنـهـ كـانـ هـنـاكـ آـخـرـونـ اـسـتـكـنـوـاـ غـيرـهـمـ مـصـاحـفـ لـهـمـ وـبـاـ لـأـنـهـمـ لـمـ يـكـنـوـاـ يـعـرـفـونـ الـكـتـابـ أـوـ الـأـيـاتـ كـانـوـاـ يـعـرـفـونـهـاـ وـلـكـنـ خـطـوـهـمـ لـمـ تـكـنـ حـسـنةـ وـالـشـاهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ رـوـاـيـاتـ ذـكـرـهـاـ اـبـيـ دـاـوـدـ فـيـ نـسـخـ الـكـتـابـ (ـصـ ٨٥ـ ٨٨ـ).ـ تـحـدـدـتـ عـنـ أـنـ أـمـ سـلـمـةـ رـعـائـشـةـ مـنـ رـوـجـاتـ الرـسـوـلـ ﷺـ كـانـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ مـصـحـفـ كـتـبـهـ آـخـرـونـ لـهـاـ.

^{١٩} صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩ - ٢٢٩٨ (الزهد، ٧٢).

^{٢٠} ابن سعد، الطبقات ٣/٢٤٨ وابن هشام، السيرة، ١/٣٦٦ - ٣٧١.

^{٢١} بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/١٩٦ - ١٩٧.

^{٢٢} ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ١٧٧.

مختلفين يدعم أحدهما الآخر في آن واحد لتعلم القرآن، أحدهما الكتابة، وثانيهما الحفظ والاستظهار.

وكان أمر القراءة والكتابة في عهد المدينة المنورة قد أصبح نظاماً مؤسساً، والمثال على ذلك أن عبد الله بن سعيد بن العاص كان واحداً من المكلفين من قبل النبي ﷺ بتعليم الكتابة في المدينة^{٢٣}. كما جعل من واجبات من يعرفون قراءة القرآن أن يعلموها لغيرائهم وأصبح ذلك من فروض الجميرة^{٢٤}. أما المعلومة التي تقول إن عبد الله بن أم مكتوم عندما هاجر إلى المدينة سكن في دار القراء^{٢٥} فهي تدلنا إذن على أنه أصبح هناك أناس متخصصون في قراءة القرآن وإقرائه. كما أن إرسال المعلمين إلى بعض الأماكن خارج المدينة ولنفس الغرض كان يشكل وبسرعة بعد آخر في برنامج الاستئنار^{٢٦}.

والجدير بالذكر عند النظر إلى تلك الجهود والأعمال أنه كانت توجد في أيدي الصحابة كميات كبيرة من نصوص الوحي المدونة بشكل مجتمع أو متفرق، وذلك عدا النصوص الرسمية التي كتبها كتاب الوحي في حياة الرسول ﷺ. كما أن استظهار بعض الصحابة القرآن الكريم وحفظهم له كاملاً وحفظ الغالبية أيضاً لسور متفرقة منه هو بلا شك أمر ينطوي هو الآخر على أهمية كبيرة في مسألة «المحافظة» على القرآن الكريم. ولسوف يُفهم بوضوح من الحيوية المشار إليها أن مسألة القراءة والكتابة راحت تنتشر بسرعة بالغة بين المسلمين في جو من الفرحة والنشوة الروحية، وواصلت الكتابة العربية أيضاً خلال تلك المسيرة يحركتها نحو التغيير والتطور.

ومما لا ريب فيه أن الرسم الذي استخدمه كتاب سيدنا عثمان^{٢٧} بعد استنساخ عدد من المصاحف لإرسالها إلى الحواضر المهمة (الأمسار) كان يشكل مثالاً يحتذى به المسلمين. ولا بد أن الغالبية العظمى من الصحابة حاولوا هم أيضاً التمسك بذلك الرسم في كتاباتهم الأخرى مثلما فعلوا مع كتابات المصحف. ثم جاء جيل التابعين من بعد هؤلاء، ثم تبعهم آخرون واستخدمو ذلك الرسم مدة طويلة.

وتزامناً مع قواعد النحو والصرف التي طورها النحاة في العهود التالية ظهرت أيضاً بعض القواعد من أجل الخط والكتابة؛ ففي الكتابات الأخرى عدا المستخدمة في المصحف أخذ الرسم المعروف بالرسم (الخط) القياسي أو الرسم (الخط) الاصطلاحى مكان الرسم العثماني^{٢٨}. ورغم التمسك بالرسم العثماني في كتابة المصاحف فقد يبدو أن الجدل دار منذ عهود مبكرة حول جواز أو عدم جواز كتابة المصحف بالرسم القياسي، وسئل الإمام مالك (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) عن رأيه في الموضوع فذكر أنه لا يرى جوازاً له في كتابة المصحف لمخالفته الرسم العثماني (انظر الصفحات التالية).

وبذكر المفسر والمؤرخ ابن كثير (ت ١٣٧٤ هـ / ١٢٧٣ م) أن السلف استخدمو خطًا يشبه الخط الكوفي، ثم يقول ابن مقلة (ت ١٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) أحد الوزراء العباسيين الذي عُرف بإجادته الخط والكتابة قام بإعادة تنظيم ذلك الخط من جديد، ثم تناوله من بعده ابن البواب علي بن هلال (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) فخطا في

^{٢٣} ابن الأثير، أسد العابدة، ٣/٢٦٢.

^{٢٤} الكتани، التراجم الإدارية، ١/٤٠ - ٤١.

^{٢٥} انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/٢٥٩ - ٢٦٠.

^{٢٦} للتعرف على بعض الروايات الأخرى في هذا الموضوع انظر: الكتاني، التراجم الإدارية، ١/٤١ - ٤٧.

^{٢٧} انظر: عام قدربي حمد، رسم المصحف، ص ١٩٨.

تطويره خطوات أبعد^(٢٨). ورأى ابن كثير أن طريقة ابن الباب في الكتابة كانت واضحة حسنة، ولهذا لقيت استحساناً وقبولاً، وأن الأشخاص المذكورين قاموا بهذا العمل بسبب عدم امتلاك الخط العربي لبناء سليم. ولعل الاختلافات في رسم بعض الكلمات في المصاحف ظهرت بسبب هذا الضعف وإن لم تؤثر في المعنى^(٢٩).

ويتبين مما ذكره ابن كثير أن الخط العربي إذا كان يجري الحديث عن ضعفه وعدم كفايته في العهد الممتد إلى ابن مقلة بل وإلى ابن الباب، فالواضح أنه لم يكن قد استكمل تطوره بالقطع في عهد الصحابة، أي خلال الفترة الزمنية التي دخل فيها الخط والكتابة حدثاً إلى مكة. ولكنه ظل مستخدماً بقدر الإمكان من أجل تدوين ما يتزل به الوحي والعمل على نشر وإذاعة تلك النصوص المدونة، وأدى وظيفته المأمولة منه مدعوماً بطريقه الحفظ والاستظهار.

ثالثاً: الرعم بأن خط المصحف ورسمه توقيفي

هناك عدداً ما أسلفنا روايات وآراء مختلفة أخرى حول ظهور الخط العربي وتطوره. وأطرافها وأكثرها جدلاً هو الرأي القائل إنها توقيفية، أي أنها ترتكز على أساس إلهي.

١- يذهب أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٥٣٩ هـ / ١٠٠٥ م) إلى أن اللغة العربية وقبل الكتابة العربية نفسها توقيفية، لأن «الله علم آدم الأسماء كلها»^(٣٠). ورغم تعدد الآراء في تفسير تلك الآية فإن النظرة التي يرجحها ابن فارس هي أن الله علم آدم (عليه السلام) عدداً من الأسماء بقدر حاجته حتى يمكنه التفاهم مع الآخرين، وواصل بنفس الشكل هذه التعاليم بالقدر الذي شاء مع الأنبياء الآخرين من العرب أيضاً، حتى بلغ ذلك التعليم في النهاية أنسج أشكاله في عهد النبي محمد ﷺ. ولأن اللغة العربية توقيفية فقد بلغت درجة كمالها مع النبي محمد ﷺ، وهي تُفضل كافة اللغات الأخرى وتتفوقها ثراءً^(٣١).

فالذي يراه ابن فارس هو أن الكتابة العربية توقيفية مثلها في ذلك مثل اللغة العربية، واللغة العربية واللغة السريانية وكل أنواع الكتابات الأخرى ترجع إلى سيدنا آدم (عليه السلام). فقد جاء في إحدى الروايات المتعلقة بهذا الموضوع أن آدم (عليه السلام) كتب كل نماذج الخطوط على ألواح من طين قبل وفاته بنحو ثلاثة مائة سنة، ثم قام بشوي تلك ألواح؛ ولكن عندما غمرت المياه سطح الأرض توزعت الخطوط وانتشرت فأخذ كل قوم ما وصل إليه منها، وكان الخط العربي آنذاك من نصيب اسماعيل (عليه السلام). وتقول تلك الرواية إن الخط العربي يرجع إلى آدم مروراً باسماعيل (عليهما السلام)، كما ذكر أن عبد الله بن عباس أيضاً قال «إن أول من وضع الخط العربي سيدنا إسماعيل»^(٣٢).

^{٢٨} للتعرف على سيرة ابن مقلة وابن الباب وأعمالهما في الخط العربي انظر:

Abdülkerim Özaydin, «İbn Mukle», *DIA*, XX, 211-212; Muhittin Serin, "İbnü'l-Bevvâb", *DIA*, XX, 534-535.

^{٢٩} ابن كثير، «ضلال القراءات»، ص ٢٧.

^{٣٠} سورة البقرة، ٢/٣١.

^{٣١} ابن فارس، الصاحب في شفه اللغة، ص ٣١ - ٣٣، ٤٠.

^{٣٢} نفس المصدر، ص ٣٦ وانظر: أيضاً البروكشي، البرهاد ١، ٣٧٧.

والامر المراد تأسيسه بتلك الروايات وغيرها واضح وجلٍ، وهو القول إن الكتابة العربية توقيفية، أي أنها ليست من صنع البشر وإنما هي وهي من عند الله. وعند النظر في آيات القرآن الكريم التي تقول: «اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم»^(٣٣)، «ان والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمه ربك بمحنون»^(٣٤) سوف يتبيّن أن الكتابة الموجودة في المصاحف توقيفية هي الأخرى. وعلى ذلك فإن إملاء المصحف الأول الذي كتبه زيد بن ثابت بتتكليف من الخليفة أبي بكر الصديق، وكذلك إملاء نسخ المصاحف التي استنسختها الخليفة عثمان بن عقان^(٣٥) بعد ذلك إنما جاءت بالوحى؛ ولا يجوز الخروج على أيٍّ من عناصرها.

وفي رواية نقلها أبو عمرو الداني (ت ١٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م) عن محمد بن سحنون أن العرب كانوا يستخدمون نفس الخط في الجاهلية، وأن هذا الخط يرجع إلى الأنبار؛ أما السلسلة التي تحمل الخط إلى أهل الأنبار فهي تنتهي عند جلجان بن موهم كاتب الوحى عند سيدنا هود^(٣٦). وهذه السلسلة في نظر ابن فارس قد تمتد حتى سيدنا آدم بحيث تشمل الأنبياء كافة^(٣٧).

٢- وهناك أيضاً أبو العباس أحمد بن عثمان بن المراكشي (ت ١٣٢١ هـ / ١٧٢١ م)، وهو أحد الكتاب الذاهبين إلى معنى «التوقيف» في رسم المصحف. والمراكشي المعروف بكتبه في الرياضيات والفلك أكثر من غيرها وصاحب التصانيف في الموضوعات الدينية^(٣٨)، قد ذهب في كتابه «عنوان الدليل من موسوم خط التنزيل» إلى أن كل وضع خاص وكل اختلاف في إملاء المصحف الأولى له علاقة بالمعنى؛ وتناول الأمثلة الواردة وطرح أدلة وبراهين طريقة وشروحًا لذلك. وعليه فإنه لا يوجد شيءٌ قط في إملاء المصحف الأولى جاء صدفةً، ولا يتعلق الأمر هنا بأيٍّ تصرف من تقدير الكتاب^(٣٩).

وهاهي عدة أمثلة من الشروح الطريقة للمراكشي:

أ) في قوله تعالى: «لا عذبته عذاباً شديداً أو لا أذبنته» نلاحظ وجود ألف زائدة في (لا أذبنته)^(٤٠).
والسبب في ذلك هو أن الذبح عقاب يفوق التعذيب، والألف الزائدة تشير إلى ذلك^(٤١).

ب) «والذين سَوْءُ في ايتنا...»^(٤٢) يلاحظ في هذه الآية الكريمة وردود الكلمة (سَوْءٌ) وهو فعل لم يقترن مثل غيره بآلف الجماعة، والسبب في ذلك هو أن السعي لدرجة السياق هنا باطل، وسقوط الآلف من السعي تصوير لبطلان ذلك التسابق^(٤٣).

^{٣٣} سورة العلق ٣/٩٦ - ٥.

^{٣٤} سورة القلم ١/٦٨ - ٢.

^{٣٥} الداني، الخ skim، ص ٢٦.

^{٣٦} ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٤٤ - ٣٥.

^{٣٧} İhsan Fazlıoğlu, «İbnü'l-Bennâ el-Merrâkûşî», *DIA*, XX, 530-534.

^{٣٨} المراكشي، عنوان الدليل، ص ٣٠ وما بعدها والمركيشي، البرهان، ١/ ٣٨٠ وما بعدها.

^{٣٩} سورة السحل ٢١/٢٧.

^{٤٠} المراكشي، المصدر السابق، ص ٥٦.

^{٤١} سورة سبأ ٥/٣٤.

^{٤٢} المراكشي، المصدر السابق، ص ٦٥ والمركيشي، المصدر السابق، ١/ ٣٨٢.

ج) «الليل» وقد سقط حرف اللام الذي هو حرف التعريف. والعلة في ذلك هو أن الكلمة تعني الليل. ولأن الليل يعني الظلمة فإنه يخفى كل شيء، وأخفى هنا حرف التعريف^(٤٣).

د) «الذى والتي» وسقوط حرف اللام الذي هو حرف التعريف في تشتيتهما وجمعهما، لأن هناك إيهاماً في معنى هاتين الكلمتين. وبسبب هذا الإبهام استتر حرف اللام كما هو الحال في الأمثلة السابقة^(٤٤).

٣- وهناك أيضاً أحمد المبارك (ت ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م) الذي ذهب نفس المذهب؛ فقد حاول في كتابه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الذي أدرج فيه قسماً مما سمعه عن أستاذه وشيخه في التصوف عبد العزيز بن مسعود الدباغ (ت ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م) أن يتناول مفهوم «التوقيف» بمنهج باطني. وبعد أن نقل رأي الباقلاني (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م) حول «جواز كتابة المصحف بإملاء متغيرة متطرفة» ثم ذكر الأدلة والأفكار التي عرضها حول الموضوع؛ قال إنه لا توجد صلاحية تصرُّف من أي نوع في هذا الموضوع للكتابة ولا لمن جاء بعدهم؛ ثم قال إن «التوقيف» أمر وارد في كتابة المصحف، فقد كان كل شيء متوطناً بأمر الرسول ﷺ، وبالتالي كان معتمداً على الوحي. وبعض الحروف التي قد تبدو ناقصة أو زائدة في هذا الخط إنما تخفي وراءها من الأسرار ما يعجز العقل عن الإحاطة به، وإن هذا الأمر يختص به القرآن الكريم دون سائر كتب الأديان السماوية. ويدرك ابن المبارك إلى أن كلمة (عَنْ) مثلاً قد وردت في أربع آيات من القرآن الكريم، وفي ثلاثة منها بالآلف؛ أما في سورة الفرقان (٢١ / ٢٥) فقد كُتبت بغير الآلف، وفي ذلك بعض الأسرار الإلهية وبعض المسوغات التبوية المخفية عن الناس. ويضم القرآن الكريم العديد من الأمثلة على ذلك. وينسحب الأمر نفسه على الحروف المسممة بالمقطعة التي تتصدر بعض سور القرآن^(٤٥).

٤- وقد تعرض محمد عادل عبد السلام هو الآخر، وهو أحد الكتاب المعاصرین لمعنى التوقيف. ويمكن إيجاز نظرته إلى الأمر في عبارة «بما أن هذه المصاحف قد كتبت من قبل الصحابة وصدق النبي على كل ما جاء فيها حتى مسألة الإملاء فلا بد أن يكون الإملاء والخط فيها توقيفياً، بل إن النبي هو الذي وضع بنفسه قواعد الإملاء في تلك المصاحف». وحججة أخرى ساقها محمد عادل للتصديق على ذلك هي وجود إجماع على تلك الإملاء من صحابة للرسول يبلغ عددهم اثنى عشر ألفاً وجيئ التابعين ومن تبعهم من المجتهدین. كما يجب أن لا ننسى أن الرسول إذا كان قد أمر بشيء أو صدق عليه فإن اتباعه واجب علينا؛ لأن الله يقول في كتابه الكريم «فل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»^(٤٦)، كما روي عن النبي أنه قال: «... فعليكم بيمني وسُنة الخلفاء الراشدين المهدىين...». ويدرك المؤلف – وهو يطرح رأيه بهذا الموضوع – إلى أن رأى الجمهور أيضاً في هذا الاتجاه^(٤٧).

ومن الأدلة التي يسوقها المدافعون عموماً عن توقيفية الإملاء في المصاحف الأولى ويتفقون عليها هي

^{٤٣} المراكشي، المصدر السابق، ص ١٣٦ والزركشي، المصدر السابق، ٤٢٨ / ١.

^{٤٤} نفس المصدر والموضع.

^{٤٥} ابن المبارك، الإبريز، ص ١٠١ وما بعدها.

^{٤٦} سورة آل عمران ٢١ / ٣.

^{٤٧} محمد عادل عبد السلام، كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإسلامية، ص ٢ / ٧ وللحديث انظر: أبو داود، السنن، ٤ / ٢٠١ (ال二字)، ٦ (والسنة)، ٦ / ١٦ (القدمة)، ٦.

تلك الرواية التي نقلها الديلمي (ت ١١٥ هـ / ١٠٥ م) ، وتقول إن النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي ذات مرة نادى معاوية بن أبي سفيان أحد كتبة الوحي حتى يكتبه، وطلب منه إعداد الدواة والقلم؛ ثم نبه عليه بما يجب أتباعه عند كتابة الحروف: (ب، س، م) عند كتابة الفاظ (الله، الرحمن، الرحيم)^{٤٨} . وهذا التنبية وغيره من الأمور المشابهة إنما يثبت في رأي الآخذين بفكرة التوقيف أن الكتابة لم يكونوا أحراراً في كتابة الوحي، وأن التوجيه في الكتابة كان يرتكز على أساس من الوحي نفسه.

وسوف نعرض في نهاية الفصل الثاني آراءنا حول مسألة التوقيف في كتابة المصحف.

^{٤٨} الديلمي، الفروع بخاتم الخطاب، ٥/٣٩٤ و القسطبي، الخامع، ١٣/٣٥٣ (ذكر القرطبي أيضاً رأي القاضي عياض فيما يتعلق بعدم صحة هذه الروايات). والسيوطبي، الدر المنشور، ١/٢٨ . أورد الديلمي في كتابه هدا عشرة الآف حديث بغير سند ولكن قيل إن أغلبها ضعيف وموضوع انظر: Mucitebâ Uğur, «Deylemî, Şüûye b. Şehredâr», *Dâ*, IX, 266

الفصل الثاني

الصحف والرسم العثماني

أُطلقت كلمة «الصحف» على صفحات القرآن بعد تحويلها إلى كتاب، والجمع (مصاحف). وعُرف ابن منظور المصحف بقوله: «إنه الشئ الذي يضم صفحات مكتوبة بين دفتيره»^١. والمعروف أن صحف القرآن جمعت لأول مرة بين دفتين في عهد الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق، وأخذت شكل المصحف آنذاك. وليس هناك شك أنهم استخدموها لأجل هذا الكتاب الذي احتوى جميع آيات القرآن الكريم مصطلح المصحف ابتداءً من عهد الصحابة، لأن يزيد بن أبي عبيد وهو خادم الصحابي سلمة بن عمرو بن الأكوع استخدم عبارة «يقيم الصلاة بجانب العمود الذي يوجد عنده المصحف» عندما سأله عن الموضع الذي يصلّي فيه سيده في المسجد^٢. وفي رواية منقطعة الإسناد نقلها السيوطي أن الصحابة تشاوروا فيما بينهم لوضع اسم لهذا الكتاب بعد أن ضم آيات القرآن الكريم بين دفتيره، فأشار بعضهم بأن يكون اسمه «السفر»، ولكن هذا الرأي لم يلق قبولًا بدعوى أن اليهود يستخدمونه، وهناك جرى التذكرة بأن كلمة «صحف» استخدمت في بلاد الحبش، فاقتصر حكمها البعض ولقيت استحساناً^٣.

ورغم أن الرأي الشائع هو ذلك، إلا أن هناك رواية نقلها الطبراني والبيهقي تقول إن الرسول نفسه ﷺ استخدم هذا اللفظ، لما أشار إلى أن تلاوة القرآن بالنظر إلى المصحف أفضل من تلاوته استظهاراً^٤. ولكن أحد الرواية في السند الذي بلغنا تالك الرواية عن النبي ﷺ هو أبو سعيد بن عوض (عون، عوض) المكتب، ووصفه يحيى بن معين أحد علماء الجرح والتعديل فقال فيه مرة إنه «لا ضرر منه»؛ بينما تقول معلومات قادمة من نفس العالم أنه وصفه بالراوي «الضعيف». وقد تعرض الذهبي أيضًا لنفس الرواية وهو يسرد سيرة أبي سعيد، ووصفه بالضعف، ووافقه ابن حجر ذلك الرأي وكرر قوله^٥. وفي هذه الحالة فإن هذه الرواية المستندة إلى النبي ﷺ ليست صحيحة، ويجب علينا وصفها بالخبر الضعيف.

^١ لسان العرب، مادة صحف.

^٢ صحيح البخاري ١٢٧ (الصلة، ٩٥) وصحیح مسلم ١/٣٦٤ - ٣٦٥ (الصلة، ٢٦٤).

^٣ السيوطي، الإنعام ١٦٦ / ١٦٦ ولبيب السعید، الطبع الصوتی، ص ٨٣ وانظر: أيضًا أبو شامة، المرشد الوجيز، ص ٤٤.

^٤ انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ١، ٢٢١، رقم ٦٠١ والبيهقي، شعب الإعان، ٢، ٤٠٧، رقم ٢٢١٧.

^٥ انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤ / ٥٣٠ وابن حجر، لسان الميزان، ٧ / ٦٦٥ - ٦٦٤، رقم ١٠٠٢٣.

أما عن الأمر المراد التعبير عنه بعبارة الرسم العثماني فإن المقصود منه هو الإملاء المستخدمة في المصاحف التي استنسختها سيدنا عثمان بن عفان رض بقصد الرجوع إليها عند حل الخلافات التي قد تظهر حول نص القرآن وإرسال عدد منها إلى مراكز (أوصار) معينة. ولأن هذه المصاحف جرى استنساخها بأمر من سيدنا عثمان رض وعلى أيدي هيئة هو الذي شَكَلَها فقد عُرفت بهذا المصطلح.

أولاً: مصاحف سيدنا عثمان رض

يكون من المفيد هنا أن نعرض - ولو بإنجاز - لمصاحف الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رض والتي كانت نقطة البداية في كافة مراحل النقاش والجدل الذي أثير حول إملاء المصاحف. ولأن الكثيرين تناولوا المصاحف المذكورة، سواء أكان في المصادر القديمة الخاصة بتاريخ القرآن وعلم القراءات، أم كان في البحوث المعاصرة، فإننا سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى الموضوع بالقدر الذي يخدم مصحف طوبيقابي الذي نقدمهاليوم للقراء.

فالمعروف لكل المهتمين بأمر المصاحف الأولى أن مصحف طوبيقابي واحد من مصاحف سيدنا عثمان رض، بل وكان هناك زعم حتى السنوات الأخيرة أنه النسخة التي استشهد الخليفة عندما كان يقرأ فيها. حتى إن هناك من ذهب إلى أن النص الذي تحدث عن نقل ذلك المصحف من مصر إلى استانبول وجاء قبل سورة الفاتحة فقال بالتركية إن هذه النسخة «هي كلام الله الذي خطه قلم الفصاحة المبارك وارتسم فوق صحائف الإملاء...» لسيدنا عثمان رض، أي أنه قلم سيدنا عثمان بن عفان رض نفسه. وبسبب ذلك الزعم وتلك القناعة الدائعة يتلقاه الناس بهذه المشاعر وذلك الاعتقاد عندما يقومون كل عام بزيارته بمناسبة عرضه في شهر رمضان داخل متحف سراي طوبيقابي. وهناك مصحف قديم آخر في طشقند يقال إنه من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان رض؛ وقد نهض اسماعيل مخدوم نائب رئيس الإدارة الدينية ل المسلمين آسيا الوسطى وقراخستان لإثبات ذلك المدعى، فوضع كتاباً بعنوان «تاريخ المصحف العثماني في طشقند» (انظر قائمة المصادر). وهذا الزعم نفسه يقال أيضاً لمصحف في استانبول محفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية تحت رقم ٤٥٧، وكتب في آخر ذلك المصحف أنه مكتوب بخط سيدنا عثمان بن عفان رض في سنة ٣٠٦٥١ هـ (١٩٥٠ م). وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب سوف نتعرض لموضوع هذه المصاحف، هل هي من مصاحف سيدنا عثمان رض أم لا.

ومما أجمعنا عليه أقدم المصادر أن خلافاً وقع بسبب الفروق في قراءة القرآن بين الجنود المسلمين من أهل الشام والعراق أثناء فتحهم لأراضي آذربيجان وأرمانيا. ولما شعر حذيفة بن اليمان بالقلق من أن يؤدي ذلك إلى فتنة توجّه إلى الخليفة وأفصح له عن مخاوفه، فنهض عثمان وأمر بإحضار النسخة التي كانت قد وضعت بين دفتين قبل ذلك في زمن الخليفة أبي بكر الصديق، وبقيت آنذاك لدى السيدة حفصة إحدى زوجات النبي الكريم، ثم قرر أن يستنسخ عدداً من المصاحف الجديدة جاعلاً تلك النسخة أساساً لها؛ وكلف لهذا الأمر هيئة تتالف من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٦). وقامت تلك الهيئة بإنجاز المهمة على أحسن وجه؛ وبهذا العمل الرسمي تكاثر عدد النسخ الأولى التي تضم الآيات التي وضعها أبو بكر الصديق بين دفتين.

^(٦) صحيح البخاري، ٦/١٧٢ (فضائل القرآن)، ونكي بن أبي طالب، الإلائمة، ص ٢٨ - ٢٩ والسيرطي، الإنفاق، ١٦٩/١.

وهناك روايات متباعدة حول عدد تلك النسخ، إذ تترواح بين أربع إلى ثمانى نسخ؛ ومع اختلاف تلك الروايات تبأنت أيضاً آراء الباحثين المعاصرین^(٧). ورغم أن موضوعنا ليس مناقشة ذلك العدد، ولكن يجدر بنا القول إنها لا تقل عن ست نسخ، لأن المصادر قد أجمعـت على النسخ المرسلـة إلى مكة والمكوفة والبصرة والشام، كذلك فإن من مرتـكـزـات القراءـة أيضاً الأئمـة السـبعـة المشـهـورـين فـيـهـا، فـهـم رـجـال ظـهـرـوا فـيـ تـلـكـ الحـوـاصـرـ وـقـرـأـوا تـلـكـ المـصـاحـفـ وـنـشـأـوا عـلـيـهـاـ. وـعـنـدـما يـشـارـ فـيـ المـصـادـرـ الـخـاصـةـ بـعـلـمـ القرـاءـاتـ وـفـيـ بـعـضـ كـتـبـ التـقـسـيرـ إـلـىـ بـعـضـ الفـروـقـ فـيـ قـرـاءـاتـ هـؤـلـاءـ الـأـئـمـةـ يـشـارـ أـيـضاـ إـلـىـ عـلـاقـةـ تـلـكـ الفـروـقـ بـالـمـصـاحـفـ الـمـرـسـلـ إـلـىـ تـلـكـ الجـهـةـ^(٨).

وتجمع المصادر أيضاً على أنهم – وهم يرسلون تلك المصاحف إلى تلك الحواضر أو الامصار – قد أبقوا على نسخة منها في المدينة، وتُنقل أن طريقة قراءة المدينة في تلاوة القرآن قد ارتبطت بذلك المصحف، وذلك هو الأمر الطبيعي. إذ لا يعقل وهم يرسلون المصاحف إلى الحواضر المختلفة أن يتركوا المدينة دون مصحف وهي عاصمة الخلافة. وهناك رواية نقلها البخاري ومسلم بقصد الحديث عن الموضوع الذي كان يصلّي فيه سلمة بن عمرو بن الأكوع، أحد الصحابة في مسجد المدينة، إذ تقول إنه «العمود الذي يوجد عنده المصحف»، مما يدل حقيقةً على أنه كان يوجد مصحف في مسجد المدينة على أيام الصحابة، وهذا المصحف كان له مكان معلوم داخل المسجد^(٩). وعلى ذلك فإن عدد المصاحف لا يقل عن خمسة؛ والمعلومات الخاصة بفروع الإملاء والخط في كل واحد من تلك المصاحف الخمسة بما فيها مصحف المدينة نشهدها في المصادر التيتناولت المصاحف الأولى، وانعكست فروع الإملاء في تلك المصاحف الخمسة بلا استثناء على أساليب القراءة عند أئمة القراءات المشهورين؛ أي أن المصادر المعنية بالموضوع تتحدث كلها تقريباً عن الفروق بين مصاحف مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام^(١٠).

ورغم ما نعرفه من أن كل نسخة من تلك المصاحف كانت تُعرف باسم «المصحف الإمام» في الحاضرة والجهة التي ذهبت إليها إلا أن هناك مصحفاً إماماً آخر هو إمام تلك المصاحف كلها وهو المقصود الأصلي عند ذكر المصحف الإمام، لا وهو المصحف الذي جرى استنساخه من أجل الخليفة عثمان بن عفان رض. وقد تحدثت المصادر أيضاً عن فروق الإملاء والخط التي تميّز بها تلك النسخة عن النسخ الأخرى^{١١}. وهذه النسخة إذا أضفتها إلى العدد السابق ارتفع عدد المصاحف التي استنساخها سيدنا عثمان بن عفان رض إلى ستة. وهناك من يتحدثون عن نسخ أخرى أرسلت إلى البحرين واليمن، ويدلّبون إلى أن عدد المصاحف التي استنساخها عثمان ثمانية^{١٢}، ومع ذلك فإننا لا نصادف لهاتين النسختين أثراً في المصادر ولا حديثاً عن خصائصهما الخطية والإملائية، كما لا توجد معلومات تتعلق بربطهما بأسلوب قراءة معين لا يُميّز من آئمّة القراءات.

^٧ حول إلزاميات المخالفة في المعايير القيمية انتقد ابن تيمية، داود، كتاب نصائح، ص ٤٣ وسكي بي أبي صالح، الإيادى، ص ٢٩ وبين الجوزى، الشوّر، ٧/١.

^٨ على سبيل المثال انظر: ابن الجزري، النثرو، ١/٢٠٣-٢٠٤، ٢٥٩-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠.

^٩ صحيح البخاري، ١٢٧ (الصلوة)، ٩٥ (الصلوة)، صحيح مسلم، ١/ ٣٦٤-٣٦٥ (الصلوة)، ٢٦٤ (الصلوة).

١٠ للتعرف على فروق التلفظ وبقية الكلمات أو نصوص المخطوطة وريادتها بين هذه المصاحف المسماة وبصحفى طرقاً وطبعاً. انظر: المدخل المحق في نهاية هذه الدراسة.

^{١٩} انظر: علي سهل المثال: ابن أبي داود، كتاب المصاطب، ج ٢٧-٣٩.

١٤ نظر: ابن الماجي، الشهـ، ١/٧.

ونعتقد أن السؤال حول المكان الذي توجد فيه اليوم مصاحف سيدنا عثمان^{رض}، أو على الأقل ما هو الذي وصلنا منها، هو لا شك أحد الأسئلة المهمة المطروحة في تاريخ القرآن الكريم، ولكن المؤسف أن الإجابة عليه تأتي بالسلب. وحتى لو عثينا على بعض المعلومات في المصادر القديمة حول الأماكن التي وجدت فيها كل نسخة على مدى القرون الماضية فإننا لا نستطيع اليوم أن نقول «إن النسخة الفلاحية من تلك النسخ موجودة في المكتبة الفلاحية». فعلى الرغم من أن بعض الكتاب المعاصرين حاولوا افتقاء آثارها في المصادر القديمة وإلقاء الضوء على تاريخ تلك النسخ، إلا أنهم في كل رحلة من الرحلات التي انتطقو فيها كانت الآثار التي تعقبوها بعد التقدم سبعة أو ثمانية قرون على الأكثري تحول في أماكن هنا أو هناك إلى الغموض، ثم لا تثبت أن تلاشى بعد مدة^(١٣). والأمر المؤسف أنه لا سبيل إلى قول جازم حول تلك المصاحف التي يعتقد أنها ضاعت أو فقدت خلال الحروب والحرائق وغيرها من التكبات والأحداث. والذي نراه أن هذا الوضع هو واحد من أكبر نقاط الضعف في العالم الإسلامي على مدى تاريخه. ولكن من ناحية «العهد بالحفظ» على القرآن فلا قيمة لبيته لهذه العاقبة. فالقرآن في كل عهد من عهوده قد حفظه الآلاف واستظهروه في كافة المجتمعات الإسلامية، وجرى استنساخ العشرات والمئات الآلاف من نسخه تلبية لحاجة كل عهد ومجتمع.

ولعل بعض أقدم المصاحف المحفوظة اليوم في المكتبات قد جرى استنساخها من تلك النسخ الأولى، أو على الأقل من نسخ نُسخت عنها. وبصرف النظر عن آراء بعض المستشرقين وأحكامهم المسيبة في أغلب الأحيان، فإن المسلمين ليس لديهم أدلى شك في «محفوظية» القرآن. ولكن الذي لا شك فيه أن امتلاك نسخ المصحف الأولى —التي هي أعظم أمانة تركها سيدنا عثمان بن عفان^{رض} للMuslimين— أمر كان يبعث على الفرحة في أعلى درجاتها عند المسلمين كلما ذكروه. والمؤسف اليوم أن الحسرة على تلك النسخة غطت على تلك الفرحة؛ ورغم أن الواقع هو هذا فيما يتعلق بعاقبة المصاحف الأصلية إلا أن هناك مزاعم موجودة عن بعض المصاحف القديمة المنسوخة بالخط الكوفي في بعض الدول بأنها من مصاحف سيدنا عثمان^{رض}، بل بأنها المصحف الذي كان يتلو القرآن فيه عند استشهاده.

وسوف نحاول في هذه الدراسة الوقوف عند اثنين من تلك المصاحف والتعرif بها وإيضاح أنهما ليسا من مصاحف سيدنا عثمان^{رض}؛ وأحدهما هو المحفوظ في متحف الآثار الإسلامية القديمة بمدينة طشقند، والثاني محفوظ في مكتبة متحف طوپقاپی باسطنبول^(١٤)، لأن المصحف التي اشتهرت باعتبارها مصاحف سيدنا عثمان بن عفان^{رض} بين تلك المصاحف القديمة الموجودة إنما هي تلك المصحف.

^{١٣} يقول ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٢٦) إنه شهد نسخة الشام في جامع دمشق. وحول عاقبة تلك النسخة والنسيان الأخرى انظر: صلاح الدين المجد، «وسائل في تاريخ الحفظ العربي»، ص ٤٥ وما بعدها، وحمد، « وسلم المصحف»، ص ١٨٨ - ١٩٥ - واسمعائيل مخدوم، «تاريخ المصحف العثماني في ملتفتنة»، ص ١٩ وما بعدها، وانظر أيضًا: ٥٨-٦٦، «Mustafa Altundağ, İstanbula Topkapı Hizmeti'nde Osman'a mi aittir?», Marife, 2002/1, ٦.

^{١٤} ترى من المفيد هنا الإشارة إلى مصطفى ليسا ضمن موضوع الدراسة التي تقوم بها، وأنهما المصحف المحفوظ في المتحف المصري بالقاهرة والذي يقال إنه واحد من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان، وتاريخها المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية باسطنبول تحت رقم ٤٥٧ وكتست في نهايتها عبارة تقول: «كتبه عثمان بن عفان في سنة ثانية». وقد قبل إن نسخة القاهرة ليست من مصاحف المليئة عثمان، وإن الذي أمر بكتابتها أنه يكون هو والي مصر عبد العزيز بن مروان (ت ١٨٥٤) (انظر: صلاح الدين المجد ص ٥٢)، إلا أن السندي في الخروج بهما الرأي لم تذكر. ومع اتفاقنا في الرأي حول أن هذه النسخة ليست من مصاحف سيدنا عثمان فإننا نعود القول إن هناك دليلاً من تلك الأدلة موجود في صورة يبرر أن صاحب هذا الرأي لم يتم بالنظر فيها رغم وجودها في الكتاب. إذ شهد عند تدقير المصحف التي تضم الآيات الأخيرة من سورة البقرة والآيات الأولى من سورة آل عمران المأخوذة من تلك النسخة أن الآية الأخيرة من سورة البقرة قد كتبت على شكل (فالعمران علـ...) (انظر: الصورة ٦)، أي أن حرف الميم (على) اللازم كتابته بالباء قد كتب بالآلف. في حين أن هذه الكلمة قد كتبت بالباء في كل مصحف سيدنا عثمان (انظر: مهدوي، «بعض مصاحف الأنصار»، ص ٨٩ والدانى، «القص»، ص ٢٥ وأبو داود، «مختصر التبيين»، ٢/٧٦ - ٧٧). أما النسخة المحفوظة في متحف الآثار التركية والإسلامية فهي أيضاً ليست من مصاحف سيدنا عثمان، لأنها مصحف وضع على حرركات التشكيل بحبر أسود (نقطة الدلالة على الحركات)، كما وضعت فيه علامات التخمير والتعشير وكتب اسم كل سورة في صدر تلك السورة، والكل يعلم أن هذه الأمور لم تكن موجودة في مصاحف سيدنا عثمان.

ثانياً: حكم التوافق مع الرسم العثماني في كتابة المصاحف

يبدو أن ضرورة التوافق التام مع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمان رض عند كتابة المصاحف، أو بمعنى آخر مسألة جواز التعارض مع تلك الإملاء، كانت من المسائل التي طالما تحدث عنها علماء المسلمين منذ العهود الأولى. وقد ذهب بعضهم إلى أن التوافق التام مع إملاء المصاحف المذكورة أمر لازم، بل هو واجب؛ بينما قال البعض عكس ذلك، ورأينا من ادعى أنه ليس صواباً. كما ظهر منهم أيضاً من اختار «طريق الحقيقة» بين كلا الرأيين.

١- الذين يرون ضرورة التوافق مع الرسم العثماني

إن كتابة المصحف بالخط العربي المتتطور ليست جائزة في نظر العلماء الذين تحدثنا عنهم في القسم السابق، وتعرضنا لأرائهم حول توقيفية المصحف، وكذلك في نظر من استحسن آراءهم وسار على هديهم؛ لأن مصدر هذه الإملاء هو الوحي في اعتقادهم، ولا يجوز الخروج على ما جاء به. ولا شك أنهم سوف يطرحون بعض الأسباب والحجج التي قد يقدرون على شرحها أو لا يقدرون. والشاهد على ذلك أن بعض هؤلاء العلماء بذلوا جهداً لصياغة بعض الحجج للأشياء التي بانت زائدة أو ناقصة في إملاء مصاحف سيدنا عثمان رض، بينما ذهب بعضهم إلى أن هناك في تلك الأمثلة أسراراً وحكمة إلهية تقصّر العقول عن بلوغها.

أ) أجاب الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) عندما سُئل عن صحة الكتابة لمصحف بالإملاء المتطورة، فقال بعدم صحة الخروج على الإملاء الوارد في مصاحف سيدنا عثمان رض، وضرورة اتباع ما ورد فيها. ولم يقتصر كلام مالك على موضوع الإملاء وحدها، بل رأى أيضاً ضرورة الابتعاد عن تشكييل المصاحف. فالخروج على الرسم العثماني لا يصح إلا في المصاحف التي تكتب من أجل الأطفال تيسيراً عليهم في تعلم القرآن الكريم ^{١٥}. وهذا التوجه الذي طرحته من أجل الأطفال يدل على أن موقفه في موضوع الإملاء ليس له علاقة بفكرة التوقيف.

ب) أما أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) فقد استخدم أسلوباً أكثر سلبية، وذهب إلى «أن الخروج على خط مصاحف سيدنا عثمان رض في ياء أو واء أو ألف أو في الأمور الأخرى حرام» ^{١٦}.

ج) وذهب البيهقي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) إلى ضرورة قيام كتاب المصاحف باتباع إملاء المصحف الأولى بعينها، وعدم التغيير فيها بأي صورة، وكانت حجته في ذلك أن الكتاب الصحابة كانوا أناساً أكثر علماً مما وأوف حظاً من الثقة ^{١٧}.

د) ويذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) الآية الكريمة التي جاء فيها قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول) ^{١٨}، وقال وهو يشير إلى حرف اللام الذي كتب منفصلاً عن ضمير الإشارة (هذا) أنه يخالف

^{١٥} الداني، المختصر، ص ١١.

^{١٦} الداني، التشريع، ص ٩ - ١٠، والزركشي، المودود، ١ / ٣٧٩ و كان الداني بعد أن نقل رأي الإمام مالك السلفي ذكر أنه ليس هناك خلاف بين علماء الإسلام في ذلك.

^{١٧} البيهقي، شعب الإيمان، ٢ / ٥٤٨.

^{١٨} سورة الممران، ٧ / ٢٥.

قواعد الكتابة العربية، ولكن خط المصحف «نهج لا يمكن تغييره»^(١٩).

هـ) أما ابن الجزري (ت ١٤٣٣هـ / ١٤٢٩م)، الذي ألف العديد من الكتب في علوم القرآن، وخاصة في عالم القراءات الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً برسم الخطوط، فقد ذكرنا أولاً أن هناك اتفاقاً بين الصحابة على إملاء المصاحف التي كُتبت بأمر سيدنا عثمان بن عفان^{عليه السلام}، ثم قال إن هناك بعض القواعد اللازم معرفتها في الخط العربي، وإن الإملاء المستخدمة في تلك المصاحف تخضع في عمومها لتلك القواعد وإن احتوت بعض العناصر الشاذة عليها. ولكن ابن الجزري بدلاً من أن يبحث عن حجج تعسفية لكل فرق من تلك الفروق، كما فعل المراكشي الذي عرضنا رأيه من قبل، راح يقول «إننا وإن كنا نعلم جانباً من أسباب تلك الفروق إلا أننا لا نعلم الجانب الآخر»، ويطرح توجهاً حذراً من وجهة نظره، وتكون النتيجة هي ضرورة التمسك بتلك الإملاء في كتابة المصحف^(٢٠).

و) ويدعُب محمد عادل السلام الذي تحدثنا باختصار في قسم سابق عن فهمه «للتوقيف» إلى أن إتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف واجب يرقى إلى درجة الفرض. فالذين يعملون به لهم ثوابه، وأما الذين يخالفونه فإنهم عقابه وعليهم اللعنة. والشاهد على ذلك أن الرسول<ص> لعن ستة أشخاص، وقال إن الله يلعنهم. وأول هؤلاء الستة شخص أضاف إلى كتاب الله، وآخر ترك سنة رسوله. والواضح أن المؤلف يرى في إثبات الألف في كلمة (مالك) التي ترد بغير ألف في سورة الفاتحة على شكل (ملك) إضافة إلى كتاب الله، وخرجاً على سنة رسوله<ص>، ويدعُب إلى أن كل من يفعل ذلك ملعون. وفي هذه الحالة فعل كل من يملك مصحفاً بغير الرسم العثماني، وخاصة إذا كان بخط الخطاط حافظ عثمان^(٢١)، وأن يبادر حالاً إلى حرقه في مكان ظاهر^(٢٢).

ز) وتناول الكاتب المعاصر محمد طاهر الكردي موضوع الإملاء في المصاحف، فرأى فيها سراً يخفي حكمة لا يعلمنا إلا الله، وذكر أن اتباع ذلك في كتابة المصحف في حكم الواجب. وفي رأيه أن الأفكار المطروحة لإيضاح خصائص الرسم العثماني لا ترتکز على شيءٍ قط، وكلها أقوال طرحت بعد الصحابة. إنهم قد وضعوا تلك الإملاء دون نظر إلى قاعدة في الكتابة أو الإملاء، وإنما على حكمة لا نعلمنا نحن. فالواقع أن الإملاء المشار إليها قد وصلتنا بهذا الشكل عن الصحابة، ولم يخبروا أحداً بالأسرار المودعة فيها؛ كما أن الأمر لا ينطوي على جانب توقيفي. والصحابة وحدهم هم القادرون على إيضاح تلك الأمور المتناقضة في تلك الإملاء، ولن يكون ذلك ممكناً إلا عندما ينهضون من أجدادائهم^(٢٣).

١٩ الرمخشري، الكشف، ٢٦٥/٢.

٢٠ ابن الجزري، النشر، ٢/١٢٨.

٢١ المحافظ عثمان (ت ١٤١٠هـ / ١٩٩٧م) هو أحد مشاهير الخطاطين العثمانيين، وكتب بعد عام ١٤٠٦هـ / ١٦٥٩م حتى وفاته حمسة وعشرين مصحفاً. طبع منها للصحف المؤرخ في ١٤١٠هـ (١٦٨٦م) بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٤٢٩هـ (١٨٨١م)، ثم جرى توزيعه على مختلف البلدان الإسلامية. كما ذيل إن هناك عدة مصاحف أخرى جرى طبعها له انظر: M. Uğur Derman, «Hafiz Osman», *DJA*, XV, 98-99.

ويبدو أن سبب الحملة الشديدة التي حملها محمد عادل السلام على المحافظ عثمان سوجه ساخر تجاه تلك المصاحف المكتوبة بالإملاء المنظورة نسبةً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي باستخدام سلطنة الدولة.

٢٢ محمد عادل عبد السلام، كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإملائية، ص ٥٥ - ٥٤. وحول الحديث الشريف الذي ذكره المؤلف انظر: الترمذى، الجامع الصحيح، ٤/ ٤٥٧ (القدر)، ١٧.

٢٣ محمد طاهر الكردي، تاريخ الفرق، ص ٩٨، ٩٧، ١٠٣، ١٠٣، ٩٩، ١٥٦، ١٥٤، ١٥٣.

ح) وفي النهاية يكون من المفید أن نتعرض لرأي هيئة الإفتاء في الجامع الأزهر بمصر؛ ففي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) صدرت في مجلة الأزهر فتوى بناءً على سؤال حول وجوب اتباع الإملاء الأصلية في كتابة المصحف. وقد قيل إن آيات القرآن الكريم كان يجري تدوينها عقب نزولها على الرسول، وتلك الإملاء هي التي جرى استعمالها في زمانه. ولم يقع أي تغيير في ذلك. ومصاحف سيدنا عثمان^{رض} كتبت بتلك الإملاء ثم أرسلت إلى المدن والأماكن المختلفة. وسيدنا عثمان^{رض} وهو أحد الصحابة قد وافق على ذلك التصرف، كما لم يظهر من عارضه وخرج عليه. وظلت كتابة المصاحف بعد ذلك مستمرة بهذه الإملاء في عهد التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين. ولم يخرج أحد قط من بين هؤلاء ليقول إن علينا أن نكتب المصاحف بالإملاء المتطرفة^(٢٤).

وبعض العلماء الذين طرحا فكرة التمسك بالرسم العثماني في كتابة المصحف ولم يربطوه بفكرة التوقيف قد تعرضوا للحجج التي ساقوها لأفكارهم، بينما لم يتحدث البعض الآخر عن حجج. ومع عدم وضوح مسألة المصدر لهذه الأفكار هل هي نابعة من فكرة التوقيف حقاً أم من تحفظات أخرى، فالذى لا شك فيه أن هناك بعض الحجج في منحاتهم، ولا سيما حرصهم الشديد على أن يظل النص الأصلي محفوظاً كما هو، وذلك أمر يجب ذكره قبل كل شيء. كما يجب الوثوق في علم ومهارة الكتبة من الصحابة والاطمئنان إلى تجاربهم وفطنتهم، وبالتالي إلى العمل الذي أنجزوه. ويجب القبول أيضاً بأن الاحترام الذي يحظون به هو الآخر أثره في هذا الاتجاه. ويجب القول من ناحية أخرى إن التغيير المراد عمله في خط المصحف تطبيقاً لقواعد الإملاء الحديثة والخوف من أن يؤدي ذلك إلى بعض التحريرات والانحرافات التي لا تخطر على البال، والإيمان بأن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن تحقيقها في موضوع كتابة المصحف إلا بهذه الإملاء أمور قد ساعدت على ظهور ذلك الحرص، والقبول كذلك بأن هذا أمر صائب، وخاصة في ذلك العصر، وأنه حرص ضروري ومطلوب.

ومع الحديث عن ضرورة اتباع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمان^{رض} فقد جرى الحديث في بعض المصادر عن حجة أن الخط في تلك المصاحف يساعد على أداء القراءات المتنوعة، وهناك من استخدم تعبيراً أكثر واقعية فلذاك الحجة مع شرط «قدار الإمكاني»^(٢٥)، وطرحت ناراً حول أن أداء القراءات المختلفة في المصاحف المكتوبة بالإملاء المتطرفة أمر لن يكون ممكناً.

٢- من لم يروا ضرورة لاتباع الرسم العثماني

هناك بعض العلماء ممن لم يوافقوا على أن الإملاء الموجودة في المصاحف الأولى توقيفية، وذهبوا إلى أنه ليس من الضروري الالتزام بها عند كتابة المصحف.

أ) كان أبو بكر الباقياني (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٣م) من رواد القائلين بهذا الرأي، إذ يذهب إلى عدم وجود إشارة في نص القرآن حول كتابة المصاحف بإملاء معينة، كما لا يوجد في سنة النبي الأكرم^ص ما يدعو إلى ذلك.

^{٢٤} مجلة الأزهر، العدد ١/٧٣٠، ص ٧٣٠. وعلى الرغم من أن هذا هو رأي الأزهر الشريف وهو أحد المؤسسات العرقية في مصر الأثناة مصحفاً يطبع قبل أربعة وعشرين عاماً من تلك الفتوى في سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) في المطبعة العamarة في القاهرة ولا يوافق الرسم العثماني في شيء. وقد يصعب العثور عليه عند بايعي الكتب، ولكن نسخة منه توجد في مكتبة السليمانية باسطنبول، وب يمكنك الاطلاع عليها (مكتبة السليمانية، دوكولو بابا، عمارة ١٧م).

^{٢٥} الزرقاني، مداخل المودة، ١/٣٦٦.

ولا يمكن الحديث في هذه المسألة عن إجماع للأمة أو قياس شرعي. فقد كان الرسول ﷺ كلما نزلت بعض الآيات أمر الكتبة بتدوينها، ولم يضع أمامهم أبداً من القواعد للسير عليها في الكتابة. ولهذا السبب ظهرت فروق الإملاء بين خطوط المصاحف، لأن من الكتبة من كتب الكلمة بحسب تلفظها من الفم، بينما كتبها كاتب آخر بحسب القاعدة النحوية والشكل الذي عرفه الناس بها، فقد يحذف منها حرف أو يضيف إليها حرفًا. والذين ذهبوا إلى أن كتابة المصحف ذات إملاء خاصة لم يأتوا بأي دليل لإثبات ما أدعوه^(٢٦).

ب) - يرى عزال الدين بن عبد السلام (ت ١٢٦٠ هـ / ٥٦٦٠ م) أنه لا يجوز كتابة أحد المصاحف بالإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى، إذ يلزم في هذا الأمر تفضيل الخط المتتطور. وإن تكون وتحن نقول إننا نكتب بالإملاء الأصلية - قد مهدنا الطريق لظهور أخطاء قد يقع فيها بعض العامة^(٢٧).

ج) - ذهب اسماعيل حفي الإزميري أحد علماء الترك المعاصرين إلى أن إملاء المصاحف الأولى لا تخضع لشيء من التوفيقية، والهدف الأساسي هنا هو حفظ القرآن نفسه وليس الخط. فقد كان سيدنا عثمان بن عفان رض يقول لكتبة الذين كلفهم بتكيير نسخ القرآن الكريم: «إذا ظهر الخلاف بينكم فاكتبوها بحسب ما كتبت قريش»، وهذا أمر يتعلق بالإملاء وليس بالسور والأيات أو الألفاظ والكلمات. والدليل على ذلك أن زيد بن ثابت وسعيد بن العاص اختلفا في كتابة كلمة (تابوت)، إذ شاء سعيد كتابتها بالباء المفتوحة (تابوت)، بينما شاء زيد كتابتها بالباء المربوطة (تابوة)، ولما احتكموا إلى الخليفة عثمان بن عفان رض أشار بكتابتها بالباء المفتوحة. ومن ثم يقول الإزميري إن اتباع الإملاء المستخدمة في كتابة المصاحف الأولى عند كتابة مصحف جديد أمر طيب وإن لم يكن واجباً. واستخدام الإملاء المعتادة في زماننا هو الأنسب لتلبية حاجة الناس^(٢٨).

٣- من آثروا «طريق الحيطة»

أ) - نقل الزركشي (ت ١٣٩٤ هـ / ٥٧٩٤ م) آراء الإمامين مالك وأحمد بن حنبل وكذلك رأي ابن عبد السلام الذي أشرنا إليه؛ ورغم أنه يرى هذين الإمامين محقين في آرائهم تمشياً مع ظروف عصرهما، إلا أنه يتحدث عن أن العلم بلغ اليوم مرحلة مفعمة بالحيوية والنشاط، وأعرب عن مخاوفه من أن التوقف عند نفس الإملاء قد يؤدي إلى اختلاط الأمور، ويذكر أن رأي عزال الدين بن عبد السلام يرتكز هو الآخر على نفس الحجة. ولكن الزركشي، وهو يطرح تلك الأفكار من جانب، نراه يشير من الجانب الآخر إلى ضرورة عدم تلقي الأمر على أنه قاعدة أكيدة، كما يضيف إلى ذلك قوله بأن ليس من الضرورة ترك أمر أصحاب القدماء في فعله بسبب جهل الجاهلين.

فال واضح أن الزركشي يفضل أن يسلك سبيل الحيطة، فهو يوافق عزال الدين بن عبد السلام الرأي في كتابة المصحف بالإملاء المتطوره تيسيراً على الناس، ونراه على الجانب الآخر مقتناً بضرورة الاستمرار في كتابة

^{٢٦} التقليدي، الانصهار للقرآن، ص ٣٧٥.

^{٢٧} الزركشي، البيهقي، ١/ ٣٧٩.

^{٢٨} اسماعيل حفي الإزميري، تاريخ قرآن، ص ١٩ (بالتركية العثمانية).

المصحف بالرسم العثماني، ولا سيما إذا كان ذلك لاستخدام ذوي الخبرة والمتخصصين، ثم المحافظة على تلك الإملاء الأصلية بدلاً من اعتبارها قاعدة مطلقة. كما أفسح الزركشي أيضاً المجال واسعاً في كتابه المسمى «البرهان في علوم القرآن» لتفصيرات ابن البناء المراكشي وتخريجاته المتعددة، فتحدث قبل ذلك عن الأحرف الزائدة والناقصة في إملاء المصاحف الأولى، أو عن وجود أحرف كُتبت باعتبار تلفظها، ثم ذكر أن في ذلك حكمةٌ خفية وأسراراً هامة مودعة. الواضح من حديث الزركشي المطول عن أفكار المراكشي أنه على الرغم من عدم إيقانه بشكل قاطع بتوصيفية الإملاء الأصلية إلا أنه يرى أن ذلك أمر قد يكون قائماً، ومن ثم فهو يكشف لنا أنه يؤيد الرأي القائل بالحفظ على تلك الإملاء، ولا يرى غضاضة في الوقت نفسه في استخدام الخط المطور في المصاحف بقصد التيسير على الناس والتتصدي للأخطاء المحتملة^(٣٩).

ب) - نقل محمد عبد العظيم الزرقاني، أحد الكتاب المعاصرين، ما وقع من جدل حول الموضوع، ثم قام بعد ذلك فذكر رأي الزركشي الذي أشرنا إليه، وقال إن هذا الرأي يُؤخذ بتحفظ لأمررين: الأول هو كتابة القرآن في كل عصر بالخط الذي يعرفه كل شخص، والحليلة دون اللحن في تلاوته، والحليلة دون وقوع تضارب في نصه؛ والثاني هو المحافظة على الإملاء الأصلية التي سيقرؤها المتخصصون وذوو الخبرة. ويقول الزرقاني إنه سبيل الحيبة والحذر، وهو أمر يحضر عليه الدين وخاصةً إذا كان متعلقاً بالحفظ على كتاب الله^(٤٠). ولكن الزرقاني يقول ذلك، ثم نراه، وهو يشرح خصائص الرسم العثماني وبعد مزاياه، يعود فيذكر على الجانب الآخر أن لهذه الإملاء معاني خفية ودقيقة، ثم يقول إن البياء الرائدة في كلمة (بأييدٍ) الواردة في آية «والسماء بنيناها بأييدٍ»^(٤١) إنما تشير إلى تعظيم قدرة خالق السماء^(٤٢). وأمام هذه الأقوال من الزرقاني قد يرد على الخاطر سؤال عما إذا كانت هناك ضرورة للحديث عن حيطة وحذر، لأن البياء هنا إذا كانت تشير حقاً إلى معنىًّ كما يذكر الزرقاني فهل الحفاظ عليها في هذه الحالة أمرٌ ملزم يتعدى مسألة الحذر أيضاً.

ج) - هناك أيضاً من الكتاب المعاصرين صبحي صالح، وهو يشير إلى رأي ابن عبد السلام، فيقول إنه أكثر إصابة (وهو في الحقيقة رأي الزركشي الذي خلطه الكاتب برأي ابن عبد السلام)، وقال إنه يصعب إلغاء الرسم العثماني الذي اتفق الجميع على أنه «رمز ديني عظيم»، ولكن مع مراعاة مسألة أن طبقة العوام قد لا تستطيع قراءة ذلك النص الأصلي، ويكون من الصواب أن تطبع لهم مصاحف تستخدم الخط الشائع، بل ويكون من الضروري فعل ذلك^(٤٣).

^{٣٩} الزركشي، البرهان، ١ / ٢٧٩ - ٣٨٠ . وفي اعتقادنا أن بعض الكتاب الذين حاولوا الاستناد من أفكار ابن عبد السلام والزركشي (مثل: محمد عبد العظيم الزرقاني في مداخل القرآن ١ / ٣٧٨)، وصبحي صالح في مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٠) قد خلطوا بين أقوال هذين الرجالين بسبب عدم كفاية التنظيم النقفي والمنقوط في كتابيهما، فقد اعتقدوا في العبارة التي تبدأ وتنتهي بالقول (ولكن لا ينتهي... بالجملة) للزركشي وكانتها استمرار لكلام ابن عبد السلام. الواضح للعيان أن تلك الجملة ترجع للزركشي إذا استخدماها في تقوله كل من القسطلاني في نصائف الإشارات (١ / ٢٧٩) وابن البناء البغدادي في أخلاق فضلاء البشر (١ / ٨١) (انظر: إضاً: خاتم قدوري حمد، دسم المصحف ص ٢٠٠ - ٢٠١).

^{٤٠} الزرقاني، مداخل القرآن، ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠ .

^{٤١} سورة الذاريات ٤٧ / ٥١ .

^{٤٢} الزرقاني، المصدر السابق، ٣٦٧ / ١ .

^{٤٣} صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص ١٨٠ .

ثالثاً: الزعم بأن مصاحف عثمان تحوي أخطاء إملائية ونحوية

لقد ظهرت بعض المزاعم حول وجود لحن (مخالفة قواعد اللغة) في بعض مواضع من القرآن الكريم، وأن هناك أخطاء إملائية في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه، وثار الجدل حول ذلك. ورغم وجود الروايات المختلفة المتعلقة بمزاعم اللحن إلا أن هذا الزعم يستند إلى رواية لا توجد في مصادر الحديث الصحيحة وتنسب إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه وكذلك إلى رواية أخرى نقلت عن السيدة عائشة (رضي الله عنها).

وتقول الرواية الأولى إن المصاحف حرى تقديمها إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه عقب كتابتها؛ فلما فحصها وجد بعض مواضع للحن فيها، ويبدو أنه لم يعبأ بها كثيراً، حتى إنه لم يأمر بتصحيحها، وقال «إن العرب (وهم يقرأونها) سيغبونها (أي يصححونها)»^{٣٤}. أما الرواية الثانية فتقول إنهم ذكروا للسيدة عائشة وجود لحن في بعض الآيات في سورة النساء (٤ / ١٦٢) وسورة المائدة (٥ / ٧٣) وسورة طه (٢٠ / ٦٢)، ثم سألوها رأيها في ذلك، فقالت لهم «إنه من عمل أحد الكتبة، وإن الكتبة كانت لهم أخطاء في كتابة المصاحف»^{٣٥}. وهاتان الروايتان جرى تناولهما في مصادر قديمة وفي مصادر حديثة أيضاً، وتحدث الكتاب فيهما^{٣٦}، فجرت دراستهما ونقدهما من حيث كونهما يشتان أم لا يشتان؛ وانطلاقاً من صحة الروايتين فتر بعض الكتاب القدامى مثل ابن قتيبة النماذج المطروحة من اللحن في القرآن بعدم كفاية الكتاب في موضوع الكتابة^{٣٧}، وفي مقابل ذلك ظهر من الكتاب من رأى ضعف هاتين الروايتين من ناحية السند، بينما سلك البعض الآخر طريق التأويل لتلك الأخبار.

ولأن موضوعنا هو رسم المصحف فقد رأينا الأجرد بناء بدلاً من الوقوف عند بنية الكلمات وادعاءات اللحن المتعلقة باللفظ والدخول في تفاصيل ذلك، أن نكتفي هنا بتقدير وجهة نظر السيوطي في المسألة باعتباره أحد الكتاب الذين أدلو بدلولهم في هذا النقاش، والنظر في المزاعم القائلة بأن المصحف لا توجد بها إلا أخطاء إملائية. وقد عرض السيوطي وجهة نظره في ادعاءات اللحن المتعلقة باللفظ وبنية الكلمة بأن طرَّح الأسئلة التالية:

- كيف يمكن اعتقاد اللحن في الصحابة وهم أفصح وأوضح وأسلم من تحدث العربية؟^{٣٨}
- كيف يمكن الواقع في اللحن مع أناس تعلموا القرآن الكريم على يدي الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه كما نزل به الوحي، ثم حفظوه وقاموا بتدوينه بكل الدقة والعناية؟.
- كيف يمكن أن نتصور أن يُجمع هؤلاء على خطٍ ثم يقبلوا هذا النص على ما فيه من الخطأ؟
- كيف يمكن أن نتصور أن سيدنا عثمان رضي الله عنه يمنع تصحيح أخطاء هو على علم بوجودها؟
- كيف يمكن أن نقبل للقراءات المنقولة توافراً أن تؤسس على بناء خاطئ، ثم تمضي على هذا النحو جيلاً بعد جيل؟

^{٣٤} أبو عبيدة قاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص ١٦٠ والسيوطى، الإنقاذ، ٢ / ٢٧٠.

^{٣٥} أبو عبيدة قاسم بن سلام، المصدر السابق، ص ١٦١، وإن ابن داود، كتاب المصحف، ص ٣٤.

^{٣٦} انظر: على سبيل المثال: Mustafa Altundağ, *Hata İddiaları Çerçeveşinde Kur'an'ın Dil ve Yazım Özellikleri*, s.37-58.

^{٣٧} ابن قتيبة، تأوين مشكى القرآن، ص ٤٠ - ٤١.

^{٣٨} نعلم السيوطي لا يقصد الصحابة جميعهم هنا وإنما يقصد كبارهم والنخبة التي اضطاعت منهم بكتاب الوحي والمصحف.

ثم شرع السيوطي بعد طرح هذه الأسئلة بالإجابة عليها فقال: «إنه شيء لا يمكن حدوثه عقلاً وشرعاً وسلوكاً»^{٣٩}. أما عن مسألة الرزعم بأن مصاحف سيدنا عثمان بن عفان تحتوي بعض الأخطاء الإملائية فعلى الرغم أن الذين تناولوا الموضوع بحكم مسبق وطريقة دفاعية يشكلون الأغلبية، إلا أن هناك كتاباً فسروا الأمر بعدم الكفاية في نظام الإملاء الذي جرى عليه الكتبة من الصحابة. وهناك من قالوا إن الأصل في عدم الكفاية هو الخط الذي كان مستعملاً آنذاك، أو من لفتوا الأنظار إلى عدم الكفاية في الجانبين معاً.

١- يرى يحيى بن زياد الغراء (ت ٨٢٢ هـ / ١٤٠٧ م) عدم وجود نظام في الإملاء عند الصحابة في كتابة المصحف، وذلك رغم أنه يعارض التلاوة التي تخرج على الرسم العثماني في قراءات القرآن الكريم. ويرى أن الذين كتبوا المصاحف الأولى لم يكونوا ممن تعاطوا الكتابة بشكل مستمر. ولهذا فإنهم كتبوا كلمة (تعن) بدون حرف الياء في قوله تعالى «فَمَا تَعْنَ النَّذْرُ» في سورة القمر (٥٤ / ٥)، بينما أثبتوا الياء فيها عندما وردت في آية «وَمَا تَغْنِي الْآيَتُ وَالنَّذْرُ» في سورة يونس (١٠١ / ١٠). والسبب في ذلك قلة تجاربهم في مجال الكتابة وافتقارهم إلى الممارسة العملية^{٤٠}.

٢- كان ابن قتيبة (ت ٨٨٩ هـ / ٢٧٦ م) واحداً من الأسماء البارزة التي لفتت الأنظار في هذا الموضوع؛ فقد أشار إلى حجتين وهو يتحدث عن عدم وجود تناقض بين الحديث النبوى الذى يقول «لا تكتبوا عنى شيئاً غير القرآن، ومن كتب شيئاً من مثل ذلك فليمحه»^{٤١} وبين الرواية التى تقول إن عبد الله بن عمرو بن العاص سال النبي قائلًا: «يا رسول الله أكتب ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضا والسخطة قال نعم فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقاً»^{٤٢}. ومن ذلك أن الحديث الأول قد ينسخ الثاني (أى يبطله)، والثاني هو ثقة النبي عليه السلام في علم ومهارة عبد الله بن عمرو في موضوع القراءة والكتابة. ويقول ابن قتيبة إن عبد الله كان قادرًا على قراءة النصوص القديمة، وقدرًا على كتابة السريانية والعربية. أما بقية الصحابة فكانوا عدا نفر منهم أميين لا يجيدون الكتابة. ولعل هذا هو السبب الذي دفع النبي إلى أن يوجه إليهم تحذيره السابق، بينما ياذن لعبد الله في هذا دون غيره^{٤٣}. وقد تحدث ابن قتيبة أيضًا وهو يتعرض للمسألة في مناسبة أخرى عن وجود أخطاء في إملاء المصاحف الأولى، وكرر رأيه القائل بأن هذه الأخطاء إنما هي من الكتبة^{٤٤}.

وليس حديثنا الآن عن إيضاح التناقض الذي قد يجدون بين الحديدين المذكورين ومدى صواب ذلك، فهو خارج عن الموضوع؛ وإنما الأهم هو رأي ابن قتيبة اللافت للنظر حول خبرة صحابة رسول الله في موضوع الخط والكتابة. فهو يقول إن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة من الصحابة لا يتجاوز نفراً، والباقي أميين؛ والذين يستطيعون الكتابة منهم بالقدر الذي يمكن الوثوق فيه ويتمكنهم التمييز بين الأحرف كانوا قلة لا تذكر. وفي هذه الحالة لا يمكن الاعتماد على إملاء المصاحف التي كتبها هؤلاء الصحابة. والشاهد على ذلك أننا إذا نظرنا إلى الأمثلة التي عرضها ابن قتيبة فسوف نشهد العديد من الأخطاء الإملائية في تلك المصاحف.

^{٣٩} السيوطي، الإنكشاف، ٢ / ٢٧٠، وعن الجدل الذي دار حول الروايات الخاصة بوجود لحن في القرآن انظر: حسدة، رسم المصحف، ص ٢١٢ - ٢٢٣.

^{٤٠} القراء، معاني القرآن، ١ / ٤٣٩.

^{٤١} صحيح مسلم، ٤ / ٢٢٩٩ - ٢٢٩٨ (الرعد)، ٧٢.

^{٤٢} أحمد بن حنبل، المسند، ٢ / ٢٠٧.

^{٤٣} ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص ٤٨٦ - ٤٨٧.

^{٤٤} نفس المؤلف، تأويل مشكل القرآن، ص ٤٠ - ٤١.

٣ - وتناول ابن كثير (ت ١٣٧٤ هـ / ١٢٧٤ م) موضوع إملاء المصاحف، فنظر إلى الأمر من ناحية عدم كفاية الخط الذي كان مستعملاً آنذاك، وليس من ناحية عدم كفاءة الصحابة وقدراتهم على الكتابة. فهو يقول إن الخط العربي لم يكن ذاته سليمة حتى عهد ابن مقلة (ت ١٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) أحد وزراء العباسين الذي اشتهر بجودة خطه. وهو وضع ينسحب أكثر على عهد الصحابة. ولا ريب أن الصحابة كتبوا نصوص الوحي بالخط الذي كان مستخدماً بين الناس آنذاك، واستنسخوا المصاحف بنفس ذلك الخط. ولعدم الكفاية في هذا الخط يكون من الطبيعي أن تظهر بعض الفروق في الكتابة حتى وإن عدلت التأثير على اللفظ والمعنى في المصاحف^(٤٥).

٤ - نحن نعلم أن ابن خلدون (ت ١٤٠٨ هـ / ١٩٠٦ م) يذهب هو الآخر مذهباً يشبه مذهب ابن كثير؛ إذ يذكرنا أن الخط العربي في عهود الإسلام الأولى لم يكن قد تطور بعد بقدر الكفاية، ويتحدث عن ضرورة النظر إلى النصوص التي كتبها كتاب الوحي دونتها الهيئة التي شكلها سيدنا عثمان بن عفان رض تبعاً لذلك. ويقول إنه من الممكن مشاهدة عدم الكفاية هذه في كتابات ذلك العهد موجودة في المصاحف التي كتبها الصحابة. وجرى جيل التابعين بعد ذلك على استخدام تلك الإملاءات تبركاً. ولا يجب في هذا الموضوع أن ينخدع أحد لمزاعم بعض الغافلين القائلة بمعرفة الصحابة لفن الخط بصورة جيدة؛ وعلى سبيل المثال فإن الحجاج والبراهين على أن الآلف الزائدة في كتابة قوله تعالى (لَا أَذِّكْرُهُنَّ) (٢١ / ٢٢)، أو الياء الزائدة في كتابة (بَأَيْدِٰ) (٤٧ / ٥١) إنما كتبت للتتنبيه، فهي أمور لا تعنى شيئاً على الإطلاق. والأمر الذي دفع هؤلاء الناس إلى مثل هذه التفسيرات إنما هو اعتقادهم في عصمة الصحابة من فعل شيء ناقص أو خاطئ، ثم عواطفهم ومشاعرهم تجاه الصحابة. هذا في حين أن الخط صنعة، وعدم الكفاية في هذا المجال لا تعد انتقاداً في حقهم. فلم يكن النبي نفسه يعرف القراءة والكتابة، فهل يُعد هذا نقصاً؟ والمعلوم أن الفتوحات تطورت بعد ذلك، وحظي الخط بأهمية كبيرة لدى الدولة، حتى كانت النتيجة أن اهتموا بتعليم الخط على وجه الخصوص، وبلغ الخط في الكوفة والبصرة أرضية صحيحة^(٤٦).

وقد قام محمد حسين أبو الفتوح بجمع آراء ابن خلدون هذه، وجعل منها مؤلفاً مستقلاً بعنوان (ابن خلدون ورسم المصاحف)، لكنه انتقد في هذا الكتاب (انظر قائمة المصادر)؛ ولسوف نتعرض بإيجاز فيما يلي للأدلة التي ارتكن إليها في تلك الانتقادات ورأينا فيها.

٥ - وكان علي عبد الواحد وافي واحداً من الكتاب الذين قالوا إن الخط العربي لم يكن قد بلغ نضجه بعد أثناء كتابة المصاحف الأولى. وذكر أن الخط العربي مر بخمس مراحل، وتحقق أعظم الخطوات في هذا المجال خلال القرن الأول من هجرة الرسول صل. فالواضح أن مسيرة الإصلاح إبان كتابة المصاحف الأولى لم تكن قد اكتملت بعد، أو أن الخط العربي بشكله المتتطور لم يكن قد انتشر بعد في تلك المرحلة. والجدير بالذكر أيضاً أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف لم يكونوا على علم كافٍ بذلك التطور أو أنهم لم يستصوبووا تطبيق الإصلاحات - التي ظهرت - في كتابة المصاحف. ولعل ذلك هو السبب في ظهور المصاحف مع العديد من الأخطاء الإملائية. فالياء الزائدة في كلمة (بَأَيْدِٰ)، والآلف الزائدة في (لَا أَذِّكْرُهُنَّ)، وكتابه كلمات أخرى بغير ألف مثل كلمات (وهاجروا، يقاتلونكم، ميثاقكم، الرحمن)، وكتابه كلمات مثل (سنة، نعمة، رحمة) بالباء

^{٤٥} ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٧.

^{٤٦} مقدمة ابن خلدون، ص ٣٨٩ - ٣٨٨.

المفتوحة في بعض المواقع إنما هو بعض من الأمثلة على تلك الكتابة الخاطئة^{٤٧}.

٦- يمكن القول إن ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف هو على حد علمنا أكثر الكتاب المعاصرين راديكالية في تناولهم لموضوع إملاء المصاحف الأولى. فقد تعرض في كتابه (الفرقان) لبعض المسائل في علوم القرآن والقراءات، وأفسح أثناء ذلك مجالاً واسعاً لموضوع الإملاء في المصاحف الأولى. فقال إن المسلمين في العصر الأول من الإسلام كانوا أميين يعيشون حياة البداوة وبعديدين عن العلوم والفنون، ولهذا كانوا قليلاً الخبرة في موضوع الكتابة والإملاء. ومن ثم جاءت المصاحف الأولى التي كتبواها محملة بأخطائهم الإملائية، ومنها أخطاء فاحشة. ولا شك أن الكتبة الذين كتبواها أناس مثلنا ينطبق عليهم ما ينطبق على الآخرين. فقد يقعون مثل غيرهم في الخطأ والغفلة والنسيان، لأن الله وحده هو المنزه عن الخطأ.

وقد حذر ابن الخطيب قراءه وهو يطرح تلك الأفكار من أن يفهموا من حديثه أنه يستخف بالصحابة ويستهين بفضلهم، ولكنه أكد على أنهم كانوا أميين حقاً. وقال إن الأمية وإن كانت تمثل قصوراً في حق الناس فإنها مجال للفرح بالنسبة للصحابية، ثم عرض أمثلة من إملاء تلك المصاحف التي تسخوها، وسعى للتدليل على صدق مذهبة. فذكر على سبيل المثال أن الكلمة (يبدأ) في تلك المصاحف جاءت على شكل (يبدو)، وجاءت الكلمة (لشيء) على شكل (لشأي)، وكلمة (لأذبحنه) على شكل (لأذبحنه)، وكلمة (نجي) على شكل (نجي)... والأمثلة كثيرة على مثل هذه الكلمات التي تخالف قواعد الإملاء^{٤٨}. وادعاء الكاتب بوجود أخطاء في تلك المصحف لا يقتصر على الجانب الإملائي؛ وإنطلاقاً من قبوله بصدق الروايات المنقولة عن عثمان بن عفان والسيدة عائشة (رضي الله عنهما) والمذكورة كدليل على وجود لحن في المصاحف فإنه يرى أن كتابة بعض الكلمات تخرج عن قواعد التحوم والصرف. وبهذا الاعتبار يرى أن الإصرار على إملاء المصاحف الأولى أمر لا معنى له. وقد تعرض ابن الخطيب للنقد الشديد على تلك الآراء وعلى أسلوبه في تناول مسائل عديدة أخرى، ثم قامت هيئة من ثلاثة أشخاص شكّلها شيخ الأزهر آنذاك بإعداد رد على تلك المزاعم في شهر يولى ١٩٤٨م ووقع في ٤١ صحيحة، سعياً من الهيئة لدحض آرائه. وفي خضم هذا الغضب الذي ثار في الأزهر جرى جمع كتاب ابن الخطيب من الأسوق، وإن كانت بعض النسخ منه قد وجدت سبيلها لأيدي الناس. كما نظر غانم قدوري حمد هو الآخر في آراء ابن الخطيب ووصفها بأنها «مثال على الجهل التام في رسم الخط والقراءات»، ودافع عن رأي الأزهر في هذا الموضوع. فقد رأى غانم أن تدخل الأزهر ليس بجني على الفكير الصالحي، وإنما يحيى النظر به على أنه احتراق للحقيقة والحقيقة وإسكات للحق والباطل^{٤٩}.

رابعاً: نظرتنا إلى الجدل حول الرسم العثماني

إذا كانت الإملاء في مصاحف سيدنا عثمان قد تقررت بالوحى حقاً فمن القطع أن اتباعها بعينها في كتابة المصاحف واجب لا مناص منه. فإذا لم يكن الأمر كذلك فمن السهل مناقشة الموضوع بعيداً عن مفهوم الواجب، وعندها قد تخرج الآراء والأفكار متباعدة.

^{٤٧} علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

^{٤٨} ابن الخطيب، الفرقان، ص ٤٥ - ٤٦، ٥٧ وما بعدها، ٩٠ - ٩١.

^{٤٩} حمد، رسم المصحف، ص ٢١٢.

١- كان ابن فارس ممن تناولوا الموضوع بمفهوم التوقيف؛ ويبدو أن المدافعين عن ضرورة اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف لم يعبأوا هم أيضاً برأيه، ولم يجدوا الأدلة التي طرحها شافية وكافية. والمعروف أن الحروف والألفاظ ثم الخطوط التي تتشكل منها إنما هي إشارات ورموز تعبر عن فكر الإنسان. والأمر الطبيعي أن تكون تلك الأمور من صنع الإنسان ومتكراته. أما إذا كان العكس هو المقصود فمن الواجب أن يكون مرتكراً على أدلة سليمة. كما أن تبعات طرح تلك الأدلة وإثبات البينة تقع على من ادعى.

ورغم أن ابن فارس قد فهم الآية القرآنية القائلة إن الله عَلِمَ آدمَ الاسماءَ كلَّهَا^(٥٠) على أنها الأسماء الازمة الخاصة بالأشياء حتى يتفاهموا فيما بينهم، وأن هذه الأسماء هي الأخرى أسماء عربية؛ ومن ثم ذهابه إلى أن اللغة العربية وكذلك الخط الخاص بها توقيفيان، فإن ضمير (هم) في قوله تعالى (ثم عرضهم) الوارد في نص الآية هو في نظر المفسرين الذين يرون أنه لا يؤدي إلى هذا الفهم، لا يرجع إلى الأسماء الخاصة بالأشياء، وإنما المقصود هو أسماء الملائكة أو أسماء بني آدم عليه السلام. وفي هذه الحالة فإن هذه الآية لا يمكن أن تكون دليلاً على توقيفية اللغة العربية، ومن ثم على توقيفية الإملاء في كتابة المصحف. كذلك فإن الأخبار التي أوردها ابن فارس بادئاً فيها حديثه بقوله: «يروى أن...» لا تحمل صفة الدليل في مسألة مهمة مثل مسألة توقيفية الخط العربي، وبالتالي توقيفية الإملاء المستخدمة في المصاحف. ولا يمكننا أن نتصور أن النبي محمد - وهو النبي الأمي - طلب من كتاب الوحي مثلاً أن يكتبوا كلمة (ابراهيم) بدون الياء دائمًا في سورة القراءة (ابرهم)، وأن يكتبوها بالياء في كافة السور الأخرى، فيقف عند تلك الأمثلة العديدة التي لا حصر لها، ويقول لهم: اكتبوا هذه بالألف واكتبوا هذه بالواو...».

ومن ناحية أخرى فإن طريقة عمل مفصلة تقتضي تنبية الكتبة وإيقاظهم في كل آية تقريباً لا يمكن لها أن تبقى خفية؛ ألم يكن من الواجب للمعلومات المستفيضة في ذلك والروايات التي حملت إليها تلك المعلومات أن تملأ كتب علوم القرآن على الأقل وتصلنا من خلالها؟ الواقع أنه لا يوجد شيء من مثل ذلك. وحتى لو قبلنا بصحة الرواية الضعيفة، أو ربما الملفقة التي نقلها الديلمي، فإنه يبدو من غير الممكن وضع أساس لفهم توقيفي بهذه الرواية^(٥١). فالواقع أن الخلاف الذي وقع بين كتبة سيدنا عثمان بن عفان^{رض}، وهم يكتبون كلمة (تابوت) في المصاحف، هل تكتب بالباء المفتوحة أم المربوطة. والأمر الذي أمرهم به أنه «إذا اختلفتم في شيء فاكتبوا بلغة قريش...» إنما هو من الأمور التي تكشف بوضوح أن مفهوم التوقيف ليس موجوداً في إملاء المصحف، وهي أمور احتوتها كافة المصادر المعتربة تقريباً. ومن الجوانب المهمة في هذا الموضوع أن علماء ومجتهدي العهد المبكر من أمثال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل لم يتحدثوا فقط عن مسوغات التوقيف وهم يطرحون أفكارهم حول ضرورة اتباع الإملاء الواردة في المصاحف الأولى. وقد نظر صبحي صالح، أحد الكتاب المعاصرین في مسألة الرأي بأن إملاء المصاحف الأولى توقيفية على أنه تقديس للعمل الذي قام به سيدنا عثمان بن عفان^{رض}، وقال إنه إفراط بعيد عن المنطق. ويقول صبحي صالح إنه لا توجد معلومات صحيحة عن النبي ﷺ تقول إن هذه الإملاء توقيفية، كما أن العمل الذي قامت به الهيئة التي شكلتها الخليفة عثمان بن عفان^{رض} لا يتعدي كتابة تلك المصاحف.

٥٠ سورة البقرة ٢/٣١.

٥١ حول هذه الرواية وما قيل فيها انظر: نهاية الفصل الأول.

بالشكل الذي يوافق التعليمات التي وجهها إليهم. أما مسألة احترام وتقدير العمل الذي قام به عثمان وتفضيل اتباع سبيله في كتابة المصاحف فهي شئ، والقول إن هذا العمل توقيفي شئ آخر مختلف^(٥٢).

ولا ريب أن معانٍ القرآن العميق هي جوهره وأساسه، وأن الشئ الذي يرسم ويصور الألفاظ ويبّرر ذلك الجوهر، أي الخط، إنما هو القالب أو الوسيلة التي حملته إلينا وعن طريقها بلغتنا آياته. فعند النظر إلى القرآن من حيث كونه رسالة سوف يدرك أولوا الأفهام أنه أرسل إليهم حتى يتذكروا في خلق الله، وأن الهدف الأصلي منه هو ذلك. إذ تقول الآية الكريمة: «كُتِبَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ بِرْكَةً مِّنْ أَيْمَنِهِ وَلَيَذَكُرَ أَوْلَوْا الْأَلْبَابِ»^(٥٣)، والأساس هنا بالنسبة للمسلمين كما تؤكد الآية هو أن يتذكروا معانٍ القرآن قدر عقولهم، ويسعوا لفهمها بصورة صحيحة، والعمل بما جاءت به. وبصرف النظر عن القيمة الخاصة التي متحناها للخط باعتبار أنه عمل أجزءه أيدي الصحابة، وبصرف النظر عن أن مشاعر الاحترام والتقدير المتباينة جداً والتي نشعر بها تجاه إرث الصحابة وذكر أهـمـ أمر لا جدال فيه إلا أنـا لا نجد سبباً واحداً لتقديس الشكل الذي عليه ذلك الخط وهو أداة مساعدة – بالقدر الذي تمكنت يـدـ الإنسان من انجازـهـ – على توصيل تلك الرسالة إلى المـكـلفـينـ بهاـ.

٢- أما الجهود التي بذلها ابن الـبـنـاـ المـراـكـشـيـ عندما حـاـوـلـ تقديم مـسـوـغـ لكلـ لـفـظـ جـرـتـ كتابـتـهـ مختلفـاـ فيـ تلكـ المـصـاحـفـ حتـىـ يـثـبـتـ أنـ الإـمـلـاءـ المستـخـدـمـةـ فيـ مـصـاحـفـ سـيـدـنـاـ عـثـمـانـ توـقـيفـيـةـ فإنـاـ إذاـ نـظـرـنـاـ إـلـىـ تلكـ المـسـائـلـ عـلـىـ ضـوـءـ الـمـعـلـومـاتـ التيـ قـدـمـنـاـهاـ منـ بـدـاـيـةـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ وـحتـىـ الـآنـ فـسـوـفـ يـدـوـ بـوـضـوـحـ أـنـ بـعـضـ الـمـسـوـغـاتـ التيـ ذـكـرـهـاـ الـكـاتـبـ حتـىـ وـإـنـ بـدـتـ لـلـوـهـلـةـ الـأـوـلـىـ مـنـ ضـبـطـةـ مـعـقـوـلـةـ هيـ فـيـ الـوـاقـعـ تـعـسـفـ لـاـ ضـرـورـةـ لـهـ، وـخـاصـةـ إـذـاـ نـظـرـنـاـ إـلـىـ الـأـمـرـ فـيـ عـمـومـهـ وـكـانـتـ نـظـرـتـنـاـ مـوـضـوـعـيـةـ فـلـاـ يـحـاجـرـ كـلـامـ اللـهـ بـإـعـجازـهـ إـلـىـ الـدـافـعـ عـنـهـ وـتـعـرـيـفـهـ بـمـثـلـ هـذـهـ التـخـرـيجـاتـ الـمـتـعـسـفـةـ وـالـتـلـفـيـقـاتـ الـتـيـ لـاـ أـسـاسـ لـهـ.

وعـبـارـةـ (لـأـذـبـحـهـ) الـوارـدـةـ فـيـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ: «لـأـعـذـبـنـهـ عـذـابـاـ شـدـيدـاـ أـوـ لـأـذـبـحـهـ»^(٥٤) تـضـمـ أـلـفـ زـائـدـةـ فـيـ مـصـاحـفـ سـيـدـنـاـ عـثـمـانـ^(٥٥). ويـقـولـ الـكـاتـبـ إـنـ السـبـبـ فـيـ ذـكـرـهـ عـذـابـاـ شـدـيدـاـ وـيـقـولـ إـنـ الذـبـحـ عـقـابـ أـفـدـحـ مـنـ التـعـذـيبـ، وـإـنـ التـعـذـيبـ عـنـ ذـكـرـهـ تـأـتـيـ بـالـأـلـفـ الـتـيـ كـتـبـتـ زـائـدـةـ^(٥٦). وـالـواـضـعـ أـنـ الـإـنـسـانـ الـعـاقـلـ لـنـ يـشـعـرـ بـالـحـاجـةـ قـطـ إـلـىـ أـلـفـ كـهـدـهـ حتـىـ يـدـرـكـ أـنـ الذـبـحـ وـالـتـحـرـ أـشـدـ فـدـاحـةـ مـنـ التـعـذـيبـ. وـنـشـهـدـ كـلـمـةـ (سـعـوـ) فـيـ الـآـيـةـ الـقـرـائـيـةـ «وـالـذـينـ سـعـوـ فـيـ إـيـتـاـ...»^(٥٧) فـنـلـاحـظـ أـنـ الـأـلـفـ الـتـيـ تـأـتـيـ بـعـدـ وـاـوـ الـجـمـاعـةـ فـيـ الـفـعـلـ لـمـ تـكـتـبـ. وـيـقـولـ الـكـاتـبـ إـنـ السـبـبـ فـيـ ذـكـرـهـ هوـ أـنـ «ـسـعـيـهـمـ مـعـجـزـيـنـ»ـ باـطـلـ، وـإـنـ بـطـلـانـ هـذـاـ السـعـيـ وـهـذـاـ السـبـاقـ قدـ أـرـيدـ شـرـحـهـ باـسـقـاطـ حـرـفـ الـأـلـفـ فـيـ كـلـمـةـ (سـعـوـ)^(٥٨). فـلـوـ أـنـ الـأـلـفـ لـمـ تـسـقـطـ هـلـ سـيـكـونـ مـنـ غـيـرـ الـمـمـكـنـ أـنـ نـفـهـمـ أـنـ سـعـيـهـمـ لـجـعـلـ آـيـاتـ اللـهـ بـغـيـرـ حـكـمـ باـطـلـ؟ وـهـنـاكـ أـمـرـ آـخـرـ، إـذـ تـرـىـ إـنـ الـبـنـاـ وـهـوـ يـضـعـ مـسـوـغـاـ لـكـتابـةـ الـكـلـمـةـ بـغـيـرـ حـرـفـ الـأـلـفـ لـاـ يـتـبـهـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ إـلـىـ كـتابـةـ الـكـلـمـةـ نـفـسـهـاـ مـعـ حـرـفـ الـأـلـفـ فـيـ آـيـةـ «ـوـالـذـينـ سـعـوـ فـيـ إـيـتـاـ مـعـجـزـيـنـ»ـ أـلـئـكـ أـصـحـ

^{٥٢} صـبـحـيـ صـالـحـ، مـبـاحـثـ فـيـ عـلـمـ الـقـوـانـ صـ ٢٧٥ـ - ٢٨٠ـ .

^{٥٣} سـوـرـةـ صـادـ ٣٨ـ / ٢٩ـ .

^{٥٤} سـوـرـةـ النـمـلـ ٢٧ـ / ٢١ـ .

^{٥٥} المـراـكـشـيـ، عـنـوـنـ الدـلـلـ، صـ ٥٦ـ ، وـالـزـركـشـيـ، الـبـرـهـانـ، ١ـ / ٣٨١ـ .

^{٥٦} سـوـرـةـ سـيـاـ ٢٤ـ / ٥ـ .

^{٥٧} المـراـكـشـيـ، عـنـوـنـ الدـلـلـ، صـ ٥٨ـ - ٥٩ـ ، وـالـزـركـشـيـ، الـبـرـهـانـ، ١ـ / ٣٨٢ـ .

الجحيم» (سورة الحج، آية ٤٩). فالرسالة نفس الرسالة، والمعنى بالباطل واحد في كلتا الآيتين، ولكن حرف الألف لم يسقط هنا حتى تستدل من سقوطه على أن هذا المعنى باطل، فقد كتبت الكلمة بالألف.

وكلمة (يمح) الواردة في الآية الكريمة «يمح الله الباطل...»^{٥٨} كان يجب أن تكتب بالواو لكنها جاءت بغير الواو، وقيل إن ذلك إشارة إلى أن محو الباطل سوف يكون سريعاً^{٥٩}. ونرى نفس الكلمة في موضع آخر مكتوبة بالواو في الآية الكريمة «يمحوا الله ما يشاء...»^{٦٠}، فإذا نظرنا إلى الأمر وأضعين في الاعتبار منطق الكاتب فإن النتيجة أن الله لا يسرع إلا في محو الباطل، بينما لا يسرع في الأمور الأخرى التي يشاء محوها فيكون ذلك رويداً رويداً. وخلاصة القول إن التفسيرات التي وضعها ابن البناء المراكشي حول أسلوب الكتابة في المصاحف المذكورة هي نتاج تعسف لا معنى له. أما الأمر المبهم الذي يصعب علينا فهمه فهو أن عالماً مثل الزركشي يفرد الصفحات الطوال في كتابه لتفاسير وتخريجات من هذا النوع.

٣ - وهناك ابن المبارك الذي تناول الأمر من منظور باطلي، ولا نجد الشئ الكثير الذي نقوله حول أفكاره التي نعتقد أنها لا تلزم أحداً غيره وغير شيخه. لأن ابن المبارك يرى في كل مثال من أمثلة الإملاء التي تختلف قواعد الكتابة في الرسم العثماني سراً من الأسرار الإلهية، يقصر البشر عن فهمها. وفي هذه الحالة فليس أمامنا سوى السكت في موضوع ليس لدينا صلاحية المعنى لفهمه وتعلمه على حسب قول الكاتب. ولكن قد يكون من المفيد هنا أن نسعى للاقتراب من هذا الرعم ببعض الأسئلة على الأقل:

- هل اطلع الكاتب ولو على بعض تلك الأسرار حتى يمكنه الرعم بوجودها؟ لأنه ليس هناك شيء يمكن أن يكون سراً مجرد أن شخصاً خرج علينا وقال إنه سر.

- إذا كانت تلك الأمور أسراراً كما يذهب الكاتب واطلع البعض - وخاصة من عبد الله المقربين إليه مثل شيخ ابن المبارك - على جانب من تلك الأسرار، أفلا يجدر بهم أن يتقاسموا جانباً منها على الأقل مع المربيدين؟ أم أن هناك نقولاً صحيحة وروايات رويت عن الرسول ولا نعلمها في هذا الموضوع؟ إذا كان الجواب بنعم فما هي؟ وال واضح أن هذه الأسئلة مطروحة في الساحة، لكنها بغير إجابة.

وبالنظر إلى الروايات التي وردت في بعض المصادر حول التحذيرات التي كان النبي ﷺ يوجهها بين الحين والأخر لكتبة الوحي، سوف يكون من الصعب الخروج بنتيجة أن كتابة المصحف توقيفية، كما لا تتوفر من خلال تلك الروايات إمكانية التوصل إلى نتيجة مؤداها أن قواعد الكتابة قد وضعَتْ وجرى تعينها وتحديدها. وقد كان الأمر الأهم بالنسبة للرسول ﷺ أن يقرأ المسلمون القرآن بلغته الصحيح ويفهموا معانيه بصورة صحيحة ثم يعملوا بما جاء في آياته. والشاهد على ذلك أنه كان يأمر كتاب الوحي بقراءة ما كتبوه عليه ويضبطه لهم كما تبين من رواية زيد بن ثابت التي سبق ونقلناها. هل كتب الكاتب الآية النازلة بشكلها الصحيح؟ وهل ما كتبه يقرأ صحيحاً ويفهم؟ فإذا كانت الإجابة على تلك الأسئلة بنعم يكون القصد قد تم، وهو ما كان يحرص عليه الرسول ﷺ. وإذا كانت هناك كلمة كتبت بآلف زائدة في موضع من المصحف وب بدون الألف في موضع آخر فإن ذلك ليس مهمًا من ناحية الفهم

٥٨ سورة الشورى ٤٢/٤٢.

٥٩ المراكشي، عنوان الدليل، ص ٨٩.

٦٠ سورة الرعد ١٣/٣٤٩.

الصحيح للقرآن الكريم، ولم نشهد إلى اليوم أن أحداً تحدث عن محاذير لمثل هذه الأمثلة.

٤- إن كان سبب الثقة التي يشعر بها الناس تجاه العمل الذي قام به الصحابة هو ما لنشأتهم على يدي الرسول ﷺ من أهمية كبيرة، وسمو المكانة التي يحظى بها كل صحابي فهذا أمر لا جدال فيه. ولا يرتاب أحد فيما تشعر به الأمة الإسلامية من تقدير واحترام عظيمين نحو ذلك الجيل المثالي. ولا ريب أنه كان من بينهم من تعلموا جيداً مبادئ دينهم وفاقوا الأجيال التي جاءت بعدهم. فقد كان منهم من يقرأ القرآن الكريم أجمل وأقرب إلى المقاصد الإلهية، ومن تعلم القرآن والسنّة جيداً حتى فاق في فهمه لهما الأجيال التالية. لأن هؤلاء الصحابة كانوا يمثلون جيلاً مباركاً سعيداً تلقى كل ذلك من مصدره الأول والأصلي، وليس من المصدر الثاني أو الثالث أو الخامس. ولكن الموضوع الذي ناقشه الآن يختلف عن ذلك؛ فهو أن هذا الجيل – الذي وصفه النبي نفسه بأنه أميٌّ^{٦١} – قد وضع نفسه أمام مسئولية تمثلت إلى جانب استظهار الآيات النازلة في تدوين تلك الآيات بالكتابة. والأمر الذي نشير إليه هنا ليس هو الدين، وإنما هو الخط الذي هو مهارة إنسانية وعمل بشري يقتضي من يريد تعلمه أن يأخذه عن شخص يحسنه ويتقنه. وبقدر ما يعنيه زعمنا أن الصحابة كانوا يفوقون الأجيال التالية في أمور الزراعة وتربية الحيوان والفلك والحساب والهندسة والصحة البشرية فإن معنى مقولته إنهم كانوا يجيدون الخط والكتابة أكثر من الأجيال التي خلفتهم تكون بنفس القدر. ولم يتعلم الصحابة الكتابة والخط من النبي أيضاً، لأن الرسول الكريم كان هو الآخر أمياً فلم يكن يقرأ أو يكتب. والشاهد على ذلك أن الآية القرآنية تقول: «وما كنت تتلو من قبله من كتب ولا تخطه بيمنيك إذا لاراتب المبطلون»^{٦٢}. وهناك اختلاف أيضاً حول مسألة أنه بسبب لقائه المستمر بكتبة الوحي كان قد تعلم الكتابة ولو قليلاً، فلا توجد معلومات صحيحة وقاطعة حولها. وفي هذه الحالة فإن تمعتهم بصفة جدرافية باعتبارهم الجيل المثالي الذي صاحب الرسول أمراً لا يقتضي بالضرورة أن يكونوا من يجيدون الخط والكتابة بدرجة لا قصور فيها. فالواقع أن الإملاء التي استخدمها الصحابة لم تكن قد بلغت حد الانضباط الأدنى بحسب البحوث التي قام بها رجال العلم حول الموضوع. ولكن تجدر الإشارة بشكل واضح إلى الأمر التالي وهو أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف هم أحسن من كان يجيد كتابة العربية في ذلك الجيل، إذ لا يمكن أن نتصور أن النبي ﷺ وسيدنا عثمان^{رض} من بعده لم يتصرفَا باتفاقية في هذا الموضوع. والشاهد على ذلك أن سيدنا عثمان^{رض} وهو يشكل الجماعة التي ستكتب المصاحف قام بعمل البحث اللازم، وعلم من خلال ذلك أن أحسن من يكتب هو زيد بن ثابت، وأن أقصى من يتتحدث هو سعيد بن العاص، المعروف بعد ذلك أنه أصدر تعليماته بأن «يكتب زيد وأن يملي سعيد عليه»^{٦٣}.

٥- لا يمكننا مشاركة ابن قتيبة الرأي عندما يقول عن الصحابة في أمر معرفتهم الكتابة «إن الصحابة كانوا أميين عدا عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يكونوا يعرفون الكتابة باستثناء نفر منهم». ويصعب علينا أن نفهم كيف توصل ابن قتيبة إلى هذا الرأي أمام العديد من الروايات التي تضمها المصادر وكتبة الوحي الذين تجاوز عددهم الأربعين وأمام حقيقة بعض الصحابة الذين كانوا يملكون مصاحف خاصة وشكلوا لأنفسهم مجموعات شخصية. ولا يوجد في الأصل من قال إن عدد الأشخاص العارفين بالخط والإملاء بين الصحابة كثيرة، وخاصة في

^{٦١} صحيح البخاري، ٢/٢٣٠ (الصوم، ١٣) وصحيح مسلم، ٢/٢٦١ (الصيام)، ١٥.

^{٦٢} سورة العنكبوت ٤٨/٢٩.

^{٦٣} انظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، من ١/٢٤ وابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٤٤ (ويذكر ابن كثير أن سند الخبر صحيح).

السنوات الأولى من عمر الإسلام. ولكن المسألة ليست في صنعة الخط والخبرة في تحسينه، ولكنها في القدرة على الكتابة بالكفاية التي يمكن بها حمل الألفاظ ومعانيها. وعندما يصبح ذلك هو الهدف فليس هناك ما يمنع أن تكون أعداد الصحابة الذين فعلوا ذلك بنجاح وقاموا به بالفعل بالعشرات.

٦- يمكننا أن نشاطر الباقلانى الرأى الذى يمكن إيجازه بأنه «لا يوجد هناك أى سند للإصرار على إملاء معينة في كتابة المصحف، فقد كان هناك كتاب يرون أن الأساس هو تلفظ الكلمة، وآخرون ركزوا على النحو والصرف ومعرفة الناس لبنية الكلمة فرأيناهم يخذلون حرفًا أو يتباينون فظهرت الفروق في إملاء المصاحف الأولى ...». ولكن إذا كان معنى هذا هو ترك النظام المقصود من تلك «الإملاء المعينة» في طباعة المصاحف، واتباع الإملاء المتطرفة بشكل تام، فمن الجدير بنا أن نؤكد هنا أن لنا توجهات مختلفة في هذا الصدد سوف نتعرض لها وللحجج التي أتينا بها في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٧- لا يصعب علينا أيضًا أن نفهم ما قاله ابن خلدون حول عدم كفاية الصحابة في موضوع النظام الإملائي، وأن الخط العربي في ظروف ذلك العهد لم يكن قد بلغ بعد درجة الانضباط اللازم. فالوقت الذي وصل فيه ذلك الخط إلى مكة معروف، كما أن مرحلة التكامل التي مر بها لا تخفي على أحد. ونعتقد أن المعلومات التي قدمتها باختصار في الفصل الأول من هذه الدراسة كافية لفهم ذلك.

والأمور المطروحة يقصد الرد على آراء ابن خلدون وإثبات أن الصحابة كانوا يستعملون إملاءً معيناً النحو

وجود أئمَّةٍ بين العرب في السنوات الأولى من عمر الإسلام كانوا يعرفون القراءة والكتابة. ولكن يصعب في نظرنا الادعاء استناداً لهاتين الوثيقتين بعدم وجود بعض الأخطاء الإملائية في النصوص التي سطرتها أقلام الصحابة، أو أن الخط الذي كان مستخدماً آنذاك كان سليماً البنية. واعتقادنا أن كلتا الوثيقتين لا يمكن أن تنهضا دليلاً على الرأي المذكور، لأن أحداً لا يعلم شيئاً عن كفاية الخط في سند الاستدامة – الذي قيل إنه من خط عبد المطلب – من الناحية الإملائية، كما لا يوجد ما يدلنا على وصول ذلك السند إلى عصرنا الحاضر. أضعف إلى ذلك أن هذا الوضع حتى وإن كانت الإملاء في نص الوثيقة ممتازة فإنه لا يقتضي بالضرورة أن يكون كل ما كتبه الكتاب من الصحابة ممتازاً. وهذا الشيء ينطبق أيضاً على نص سورة طه الذي ورد بمناسبة اعتناق عمر بن الخطاب للإسلام وقيل إن أخته كانت تقرأه هي وزوجها.

ـ إن هناك سبباً أصلياً واضحاً وراء تفسير الفروق الظاهرة في إملاء الصحابة والتي صعب إيضاحها بالنظر على الأقل في بعض نماذجها وتواافقها مع قواعد الكتابة بالقول إنها توقيفية أو فيها سرّ أو حكمة أو غيرها؛ وكذلك في الاستعانة بinterpretations متعسفة لأجل تلك الأمثلة. وذلك السبب هو أنه إذا لم يتم فعل ذلك وتفسر تلك الأمثلة بأسباب منها عدم كفاية التجارب الكتابية لدى الصحابة فإن هذا التوجه قد يؤدي إلى زعزعة الثقة في الصحابة؛ ويكون مدعاه لطرح مزاعم بوجود تحريف أو نقص أو زيادة أو غير ذلك في نص القرآن الكريم. وهو أمر لا يمكن تصوره، لأنه يخالف قول المولى عز وجل في كتابه العزيز «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»^{٦٥}. نعم إن هذا هو الهاجس وراء هذا التوجه، والشاهد على ذلك أن محمد طاهر الكردي يفسر ذلك «بحكمة لا نعلمها»، ويمكننا أن نستشعر ذلك الهاجس جلياً بين سطوره^{٦٦}. ونحن نعتقد أن كتاب الله العزيز ليس في حاجة على الإطلاق لمثل هذا التوجه، أو بعبارة أخرى، ليس في حاجة للتغطية والسرار والحكم وأساليب التمويه؛ لأننا نرى أنه ليس هناك تحريف ونقص أو زيادة أو غير ذلك من الأمور. فقد تكتب الكلمة بألف زائدة أو ألف ناقصة، أو تكتب كلمة (تغُن) في الآية الكريمة «فَمَا تغُنَ النَّذْرُ»^{٦٧} دون حرف الياء مثلاً باعتبار التلفظ هو الأساس في موضع من المواضع^{٦٨}، وتأتي نفس الكلمة في موضع آخر محافظة على بنيتها الأصلية مع كتابة الياء في نهايتها كما هو الحال في الآية «وَمَا تغُنِي الْآيَتُ»^{٦٩}؛ وفي اعتقادنا أن كتابة الكلمة وإملاءها بهذا الشكل لم يحدث خللاً قط بمسألة الحفاظ على القرآن الكريم.

وهكذا بعض الأمثلة الأخرى:

ـ عبارة (لَا ذِي حِنْهُ)^{٧٠}، وقد أضيف إليها حرف ألف في إملاء كتبة سيدنا عثمان^{رض} فجاءت على شكل (لَا ذِي حِنْهُ). ومع ذلك فإن أحداً لم يطل حرف اللام ويحرك ألف في أول الفعل بالشكل الذي يجعل المعنى فيها بالتنفيذ، ومن ثم لم يقع أي تغيير في القراءة وفي المعنى.

^{٦٥} سورة المجتر ١٥/٩.

^{٦٦} محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص ٦٤.

^{٦٧} سورة القمر ٥/٥٤.

^{٦٨} انظر: الداني، لفتح، ص ٣٣، ١٠١.

^{٦٩} سورة يونس ١٠١/١٠.

^{٧٠} سورة النمل ٢٧/٢١.

- كلمة (كتاب) التي وردت في القرآن الكريم بغير الألف^(٧١) (كتب) إلا في أربعة أماكن جاءت فيها بالألف (كتاب)^(٧٢). ومع ذلك فإنها تُقرأً بالألف في كافة القراءات بما فيها الأماكن الأربع المذكورة، ولم يحدث أن قرأها أحد مثلاً باعتبارها جمعاً، أي كُتب؛ لأن أحداً لا يتردد في مسألة الشكل الذي قرأه به النبي الأكرم صلوات الله عليه، كما أن جمهور العلماء لا بد أنهم رأوا - عدا بعض الأشخاص الذين وقفوا عند مفهوم «التوقيف» في مسألة إملاء المصاحف الأولى، وسعوا لإيجاد الحجج لأجل مثل هذه الفروق - أنها نتيجة طبيعية لكتابية تصدر عن يد الإنسان، فلم يجعلوا منها مسألة تتطلب حلاً، ولم تر الغالبية منهم ضرورة لتوفيق هذه الأمور مع قواعد الإملاء العربية المتطرفة، وآثروا المحافظة عليها كما هي في كتابة المصحف وفي طباعته.

- وردت كلمة (عَنْتُوا) في القرآن الكريم أربع مرات^(٧٣)، وكتبت في ثلاثة منها بالألف، والرابعة بغير الألف في سورة الفرقان^(٧٤). وفي الوقت الذي تكتب فيه هذه الكلمة بغير الألف في سورة الفرقان نجد - وفي نفس السورة - كلمتي (أَتَوْا) و (دَعَوْا) (الآياتان ١٣، ٤٠) قد جرت كتابتهاما بالألف، وذلك أمر لا يمكن تفسيره إلا بإقرار أنه من عمل الإنسان.

- نلاحظ في المثال السابق وجود كلمة في صيغة الجمع وكان يلزم كتابتها بالألف تبعاً للقاعدة، وقد كتبت بغير ألف خلافاً لنظيراتها، بينما نرى في ثمانية مواضع من القرآن الكريم^(٧٥) كلمة (يَدْعُوا) في صيغة المفرد وكان يلزم كتابتها بغير الألف في كل مرة.

- هناك كلمتا (شئ) و (لشئ) جرت كتابتها في كل موضع بغير ألف على هذا الشكل، ولكن قالبها (لشئ) الذي ورد في موضوعين بكسر اللام نراه في موضع منها^(٧٦) يرد مكتوباً بغير ألف^(٧٧)، وفي الآخر بحرف ألف على شكل (لشائ). أما في المصحف الخاص بعيد الله بن مسعود فقد ذكر أن الكلمة وردت في كل المواقع بالألف على شكل (شائ)^(٧٨).

- في قوله تعالى «قال ابن أم» في سورة الأعراف (الآية ١٥٠) جرت كتابة كلمتي ابن وأم منفصلتين؛ أما في سورة طه (الآية ٩٤) فقد وردتا على شكل (قال يبنوم) (مع تقدير وجود همزة فوق الواو)^(٧٩).

- هناك ألفاظ مثل: إن لا - الا؛ عن ما - عمما؛ في ما - فيما؛ اين ما - كل ما - كلما؛ لكي لا - لكيلا... قد كتبت متصلة في أماكن ومنفصلة في أماكن أخرى^(٨٠).

^{٧١} الداني، المفتح، ص. ٢٠.

^{٧٢} سورة الرعد ١٣ / ٣٨ وسورة الحجر ١٥ / ٤ وسورة الكهف ١٨ / ٢٧ وسورة النمل ١ / ٢٧.

^{٧٣} سورة الأعراف ٧ / ٧٧، ١٦ / ٦٦ وسورة الفرقان ٢٥ / ٢١ وسورة الزاريات ١ / ٤٤.

^{٧٤} الداني، المفتح، ص. ٨٧.

^{٧٥} محمد قواد عبد الساقى، المعجم المقهوى، ٢٥٨.

^{٧٦} سورة التحول ١٦ / ٤٠.

^{٧٧} سورة الكهف ١٨ / ٢٣.

^{٧٨} الداني، المفتح، ص. ٤٢.

^{٧٩} مهدوي، هجاء مصاحف الامصار، ص ٨٥ والداني، المفتح، ص. ٧٦. ولم تكن مصاحف سيدنا عثمان تضم حرّكات التشكيل ولا إشارات التنقيط وغيرها، كما لم تكن تحتوي على هزازات (ء). ومثل هذه الإشارات بما فيها الهمزة الموجودة في المصحف الذي تبعي طباعته في المدينة المنورة لاتفاق الرأي على توافقه مع إملاء هذه المصاحف ورمزاً إليه أشارنا على النص القرائي بالحرف (ف) يجب أن نعلم أنها أي هذه الإشارات قد ادخلت على النص في مرحلة متاخرة.

^{٨٠} الداني، المصدر السابق، ص. ٧٧-٦٨.

ويمكننا إيراد المئات من هذه الأمثلة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه على الرغم من وجود وحدة في إملاء العديد من الألفاظ في مصاحف سيدنا عثمان ، إلا أنها لاحظ فروقاً إملائية في كتابة بعض الكلمات الأخرى . وقسم من تلك الفروق الإملائية متعلق ببنية الكلمة، أو بزيادة حرف أو نقصانه في تلفظها، وجرى جمع المعلومات الخاصة بها في المصادر المعنية اعتماداً على روايات تدعم بعضها بعضاً^{٨١}، ثم جرى تأييدها أيضاً بتلاوة آئمّة القراءات اعتماداً على ما جاء عن الصحابة وبالتالي عن النبي ﷺ . وعلى سبيل المثال نرى في المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان إلى البصرة والكوفة قوله تعالى « خيراً منها منقلباً »^{٨٢}، وهو يرد في مصحف الشام ومكة وكذلك في مصحف المدينة المنورة على شكل « خيراً منها منقلباً » أي في صيغة التثنية للضمير؛ فكان قراء مكة والمدينة والشام يقرؤونها على شكل (منها)، بينما يقرأها الآخرون على شكل (منها)^{٨٣}. الواقع أن هذا النوع من الفروق الإملائية لم يكن مثاراً لغموض وإبهام .

وهناك تفسيرات شائعة لهذا النوع من الفروق كقولهم:

ـ إنها في إطار رخصة «الأحرف السبعة»^{٨٤} التي وضعها الرسول ﷺ ،

ـ وكانت عند كتابة المصاحف تنضوي في إطار تلك الرخصة؛ ونظراً لأن كتابة المصحف كانت بغير تشكيل وتنقيط فقد تم الإبقاء على القراءة المختلفة التي تتيحها لتلاوتها؛

ـ إن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى جانب تفضيله أن تكتب المصحف بلهجته قريش كانت لديه معلومات قاطعة حول أن تلك القوالب المختلفة المتعلقة بالتلفظ كانت قائمة ضمن نفس الإطار، ومن ثم كان يؤمن بضرورة الحفاظ عليها؛

ـ لكن هذه القراءات المختلفة القليلة العدد التي لا يمكن التعبير عنها برسم إملائي واحد، كان التفضيل لكتابة قسم منها في بعض تلك المصاحف الأولى والقسم الثاني للنسخ الأخرى، وذلك بدلاً من كتابتها في نسخة واحدة أو كتابتها مكررة بين السطور مثل...^{٨٥}.

وكما توجد فروق إملائية في داخل المصحف الواحد من مصاحف سيدنا عثمان (كتاب - كتب) فإن هذه الفروق موجودة أيضاً فيما بين المصاحف نفسها. وهذا هي بعض الأمثلة:

ـ هناك كلمة (ابنؤا) الواردة في قوله تعالى (نحن ابنؤا الله)^{٨٦}؛ وقد كتبت في بعض تلك المصاحف بالألف على شكل (ابناء)، وفي البعض الآخر بالواو؛ وهناك أيضاً كلمة (دائرة) في قوله تعالى (أن تصيبنا دائرة)^{٨٧}، وقد كتبت في بعض المصاحف بالألف، وفي البعض الآخر بدونها.

^{٨١} انظر: على سبيل المثال: أنس أبي داود، كتاب المصاحف، ٣٩ - ٤٩ والداني، الم الدرر السابق، ص ١٠٢ - ١١٣.

^{٨٢} سورة الكهف / ١٨.

^{٨٣} الداني، التيسير، ص ١٤٣.

^{٨٤} حول الأحرف السبعة انظر: أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز، ص ٧٧ - ١٤٥، وانظر أيضاً: Suat Yıldırım, «el-Ahrufüs-seb'a», DIA, II, 175-177.

^{٨٥} الداني، المفتح، ص ١١٥ والأحرف السبعة، ص ٦٣ وفين الجرجي، مجدد القراءات، ص ٢٢ والمرجاني، الفوائد المهمة، ص ١٣.

^{٨٦} سورة المائدة / ٥.

^{٨٧} سورة المائدة / ٥.

- هناك كلمة (لأووضعوا)^{٨٨}، وقد كتبت في بعض المصاحف على هذا النحو، بينما كتبت في البعض الآخر على شكل (لأوأضعوا)^{٨٩}.

- هناك كلمة (سبحان) التي ترد بغير ألف إلا في موضع واحد^{٩٠}، كما ترد في بعض نسخ المصاحف بالألف، وفي البعض الآخر بغيرها^{٩١}.

- هناك كلمة (تكذبان) التي ترد في الآية الكريمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان)^{٩٢}، وقد كتبت بالألف على هذا النحو في بعض المصاحف، بينما كتبت في بعضها الآخر بغير ألف على شكل (تكذبن)^{٩٣}.

ويبدو من تلك الأمثلة المقدمة أن ليس هناك ما يدعو للبحث عن حجج أو أسرار أو حكم من أجل الالتفات التي كتبت زائدة أو ناقصة أو لفروق الكتابة الأخرى. فالحجج واضحة: وهي أن الفروق المذكورة ناشئة عن عدم كفاية القواعد في كتابة ذلك العهد على الأقل، وبالتالي عن طريقة الإملاء الحرة بالقياس إلى عصرنا الحاضر. ولم يكن هناك أي محذور قد يسببه ذلك الوضع. ولأجل هذا فلا تأثر كتاب الله العزيز، ولا تأثر بذلك عملية فهمه. فهو بين أيدينا بصفاته الذي نزل به. ولا زلنا قادرين على تلاوته بالفروق التي قرئ بها قبل أربعة عشر قرناً بالشكل الذي علمه به الرسول الكريم، وفي إطار فروق القراءات التي سمح بها، ولا زلنا قادرين على فهم ما نقرأ وقادرين على أن نعيشه بالصفاء والنقاء الذي خرج به من ينبوع النبوة.

٩ - كم لغة في العالم يمكننا القول حتى في العصر الحاضر إن نظامها الإلائني استقر مائة في المائة، أو كم أمة يمكننا القول إنها حققت نظاماً خطياً يجمع عليه كل كتابها؟ فإذا شئنا أن ننظر إلى الموضوع من زاوية الإملاء في اللغة التركية مثلاً فهذا يمكننا القول إن قواعد الإملاء التي وضعها مجمع اللغة التركية قد جمعت العلماء والكتاب عند نقطة واحدة؟ فالبعض منها يقول: أكتب كتاباً فيجعل كلمة كتاب [kitap] منتهية بباء ثقيلة، والبعض يقول: كتاباً بحرف الباء الخفيفة [kitab]؛ وتقول: أحمد، محمد [Ahmet, Mehmet] فنجعلهما منتهيين بحرف التاء، ويقول البعض الآخر: أحمد ومحمد بحرف الدال [Ahmed, Mehmed]؛ ويقول بعضنا: دفتر وقلم [defterle kalem]، بينما يقول البعض الآخر: دفتر وقلم بشكل آخر [defter ile kalem]^{٩٤}؛ ويقول بعضاً: [bazen] أي أحياناً بهذا الشكل، والبعض الآخر على شكل [bazan]... أليس هناك من الكتاب من يجري على طريقتين إملائيتين في آن واحد؟ فقد لاحظت وأنا أطالع إحدى المواد في الموسوعة الإسلامية الخاصة بوقف الديانة التركي لأحد الكتاب البارزين أنه استخدم شكلين إملائيين لكلمة واحدة في نفس النص، بل وفي جملة واحدة طويلة، إذ قال في أول الجملة (kendini) أي «نفسه»، ثم لم يلبث بعد سطرين أن قالها على شكل (kendisini) بنفس هذا المعنى.

نعم، من الكتاب يمكننا تبرأته في نص صدر عنه لا يتضمن سهواً إملائياً أو فروقاً في الكتابة؟ واليوم في

^{٨٨} سورة التوبة ٤٧/٩.

^{٨٩} الداني، المقنع، ص ٩٤.

^{٩٠} سورة الإسراء ١٧/٩٣.

^{٩١} الداني، المقنع، ص ١٧.

^{٩٢} سورة الرحمن ٥٥/١٢ و غيرها.

^{٩٣} لهذه الأمثلة وغيرها انظر: الداني، المقنع، ص ٩٢ - ٩٩.

العالم العربي أيضاً هل يمكننا الحديث عن توحيد إملائي مائة في المائة؟ فحيثما يكون هناك حديث عن تطور وتغير مستمر يكون من الطبيعي أن ينقسم الناس بين مؤيد ومعارض. وكان بعض كتاب العرب حتى عهد قريب يكتبون في البسمة كلمة (الرحمن) مثلاً بغير ألف، ثم رأينا في الآونة الأخيرة من يكتبها بالالف على شكل (الرحمن). وكانوا على مدى القرون الفائنة يكتبون كلمة (مائة) بالالف، ونرى بعضهم في السنوات الأخيرة يكتبونها بغير الألف (مائة). وقد تصادفنا في المقالة الواحدة أو الكتاب الواحد كلمة واحدة كتبت بأشكال متباينة.

إذاً كنا نشهد تلك الأمثلة في عصرنا الحاضر، فلا يكون من الصعب علينا أن نفهم لماذا وردت كلمة (كتاب) بالألف في موضع وبغير الألف في موضع آخر مثلاً، فيما كتبه الصحابة وهم يستخدمون خطأً كان قد دخل ديارهم حديثاً ولم يتظور بعد في مجتمع أمي، حتى ولو كانت تلك الكلمة قد خضعت لرقابة الرسول ﷺ من ناحية توافقها مع اللفظ ودلالتها عليه. وذلك هو الأمر الطبيعي، أما غير الطبيعي فهو أن تندم مثل هذه الفروق في المصاحف المذكورة، ولا نعثر حتى على بعض أمثلة للخروج على القاعدة ولكن بالقدر الذي لا يؤثر على القراءة في نصوص جرت بخطها يد الإنسان. ونشهد في العبارة التي كتبها العالم الفازاني شهاب الدين المرجاني (ت ١٨٨٩م) عبارة في نهاية عمله لتصحيح خط المصحف الذي قام به بعد نحو ١٢٥٠ سنة من عهد الصحابة حتى يتوافق مع الرسم العثماني يقول فيها بعد إشارته إلى أنه بذل ما في وسعه من دقة وعناية لإنجاز هذا العمل: «لا يخلو من بعض الأشياء التي لا مناص للبعد من الواقع فيها»^{٩٤}، وهذا هو المعنى المقصود من وراء ذلك.

إذاً كانت الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى ليست توقيقية، وهي كذلك بحسب رأي الجمهور، ولا يوجد دليل سليم قط يقدمه أصحاب الرأي بالتوفيق، فإن الأمر الطبيعي هو وجود بعض فروق الكتابة في تلك المصاحف، وجود بعض الأخطاء الإملائية التي لا تؤثر على قراءة النص القرآني. وقناعتنا هي أن القرآن الكريم أصلي وعظيم بهذه الخصائص؛ وإنما عمليات التقييم التي تناقض العقل حول إملاء ذلك النص الإلهي الذي يخاطب العقل سوف يكون معناها التغافل عن الأهمية التي حُصّن بها العقل البشري.

^{٩٤} المرجاني، الأوراد المهمة، ص ٣.

الفصل الثالث

ما هي الإملاء اللازم اتباعها في كتابة المصاحف وطبعتها؟

أولاً: هل يمكن أن يظل الرسم العثماني على هذا إلى الأبد؟

- ١- إن المهم في كافة الجهود والفعاليات المعنية بالقرآن الكريم هو أن تصل بيسر وسهولة إلى كل الناس وتساعدهم على تلاوته الصحيحة واستيعاب معانيه. وعندما يكون هذا هو الهدف فإننا نعتقد أنه لا محاذير على الإطلاق في استخدام الإملاء المتطرفة الجاري استخدامها في النصوص العربية لأنَّ تستخدم في كتابة المصاحف وطبعتها حتى وإن كنا لا نفضل ذلك. فإن منحى على هذا التحوُّل ينطوي على جانب يتناقض مع مبدأ المحافظة على الذكر الحكيم، أو مع فكرة المحافظة على الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى. لأنَّ مسألة المحافظة على الإملاء الموجودة في المصاحف الأولى قد تحققت. وعلى الرغم من أنَّ مصاحف سيدنا عثمان بن عفان رض لم تنتقل إلينا وكان ذلك مثراً لحزن كبير عَزَّزَ قلوب المسلمين فإننا نشهد في بعض المؤلفات التي وضعها ثقة العلماء في تخصصاتهم قبل قرون ووصلتنا في العصر الحاضر قواعد عامة حول الإملاء في تلك المصاحف، ونمذج لخطوط خاصة تشد على القاعدة ذكرها هؤلاء العلماء استناداً على ما نقلوه من روايات مختلفة.
- ٢- هناك كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ت ٩٢٩هـ/١٣٦٥م)، وهجاء مصاحف الأنصار لأبي العباس أحمد بن عمار المهدى (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨ [٤٩])، والمقطع في معرفة مرسوم مصاحف الأنصار لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٣م)، والتبيين لهجاء التنزيل ومخصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ/١١٠٣م)، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصاحف لابن وثيق الأندلسى؛ وهي بعض من كتب وصلتنا وحملت إلينا الخصائص الإملائية في تلك المصاحف^(١). وتوجد اليوم في أيدي الملايين من المسلمين نسخ المصاحف التي كتبت على ضوء تلك المؤلفات. ولكن يصعب علينا القول إن إملاء المصاحف المطبوعة في شتى البلدان موافقة للرسم العثماني تتطبّق تماماً مع أي واحد من المصاحف الأولى.

^(١) ومن تلك الكتب المطبوعة كلها عدا التبيين لأبي داود فإن كتاب «مخصر التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود أيضاً قد تم تسجيله في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركى تحت اسم «التنزيل في هجاء المصاحف»، ولأن الكتاب لم يكن مطبوعاً في سنة ١٩٩٤م التي نشر فيها مجلد الموسوعة الذي يضم هذا الموضوع فقد جرت الإشارة إلى النسخ المخطوطة منه (انظر: Abdurrahman Çetin, «Ebû Davûd Süleyman b. Necâh», *DâİA*, X, 119).

ويمكّنا تدقيق عدد من المصاحف هي بقدر ما توصلنا إليها أقدم الأمثلة المطبوعة، إذ جرى تصحيحها أولاً من قبل «مجلس تفتيش المصاحف الشرفية» وطبعت في استانبول سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٥ - ١٨٩٤) في مطبعة المعارف، ثم أدرجت في نهاياتها مقالات مقتضبة للتعریف بها مطبوعة في مطبعة هاشم أفندي باستانبول أيضاً ١٣٤٠هـ (١٩٢١ - ١٩٢٢)، وجرى تصحيح تلك المقالات من قبل «مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات الشرعية»، وجاء فيها أن المصاحف توافق الرسم العثماني^(٢). كما أن المصحف المطبوعة في مصر خلال أعوام ١٣٣٧، ١٣٤٢هـ (١٣٥٧، ١٩١٨ - ١٩٢٣، ١٩٢٤ - ١٩٣٥، ١٩٣٨، ١٩٣٨هـ) والمصحف المطبوع في عُمان بمناسبة دخول القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية في سنة ١٩٨٢م و«مصحف المدينة النبوية» الذي يجري طبعه في المدينة المنورة برعاية الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية اعتباراً من سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ - ١٩٨٥) هي جميعاً من المصاحف التي استطعنا تدقيقها، واطلعتنا على الإيضاحات الملحة في نهاياتها والتي تتشابه كلها تقريباً في نصها، وتبين لنا أن القول إن كل عنصر من عناصر الإملاء المستخدمة يوافق تماماً إملاء أي من المصاحف الأولى أمر غير ممكن، وبعبارة أخرى فالواضح هو وجود بعض الأمور المبهمة والعنصر المختلف عليها في موضوع التوافق التام مع المصاحف الأولى. وعلى سبيل المثال فإن المصحف الذي طبع للمرة الأولى في سنة ١٣٣٧هـ ثم أعيد طبعه في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) باسم «التنزيل الرباني بالرسم العثماني» (انظر قائمة المصادر)^(٣) قد جاء في المقال الملحق بنتهائه ما يلي:

«أخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها سيدنا عثمان بن عفان إلى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله لأهل المدينة والمصحف الذي اختص به نفسه وعن المصاحف المتتسخة منها. أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهوجية تلك المصاحف فاتبع فيها الهجاء الغالب^(٤) مع مراعاة قراءة القارئ الذي يكتب المصحف لبيان قراءته ومراعاة القراءات التي استتبعها علماء الرسم من الأهوجية المختلفة على حسب ما رواه الشيشخان: أبو عمرو الداني^(٥) وأبو داود سليمان بن نجاح^(٦) مع ترجيح الثاني عند الاختلاف. وعلى الجملة كل حرف من حروف هذا المصحف موافق نظيره في مصحف من المصاحف المنسوبة السابقة ذكرها».

وهذا القول مع أنه يؤيد ما أسلفنا قبل قليل إلا أنه يدفعنا إلى القول بوجود تناقض. فعلى الرغم مما قيل بوجود بعض الاختلافات ونقطات الغموض في المعايير والروايات التي روينا في إملاء ذلك المصحف، وتمت

^٢ نسخ هذه المصحف ليست موجودة لدى باقعي الكتب، ولكن هناك نسختان منها في مكتبة السليمانية (حاجي محمود أفندي نمرة ٤ ودو كوملى باباغرة ١٦٠م).

^٣ لا نعتقد أن هذا المصحف يمكن العثور عليه لدى باقعي الكتب، وهناك نسخة منه في مكتبة تكمير طوبال أوغلى تحت رقم ١٥٤١.

^٤ لعل المقصود بعبارة «الهجاء الغالب» هو إملاء مصحف الكوفة التي هي مرجع قراءة عاصم بن يهذلة برواية حفص. إذ المعروف أن نحو ٩٠٪ من مسلمي عالم اليوم يفضلون رواية حفص، ويبدو من تدقيقنا أنباء هذه الدراسة في مواضع الخلاف بين مصاحف عثمان أن إملاء مصحف الكوفة كانت هي المفضلة سواءً أكان في طبعة القاهرة المذكورة لم كان في المصحف المطبوع في المدينة. ولكن حفناً خالفاً لهذا المصحف في موضعين (وما عملت) الوارد في سورة بيس ٣٥ / ٣٦ و: ما تشهي الواردة في سورة الرحمن ٤٣ / ٧١، فقد قرأ الأولى على شكل (وما عملته) بحسب الإملاء التي انفت على المصاحف الأخرى، بينما قرأ الثانية على شكل (ما تشهي) (انظر: ابن الجوزي، الشتر، ٣٥٣ / ٢، ٣٧٠). ولوحظ في الطبعات المذكورة أياً انهما وردتا بهذه الشكلين (وما عملته - ما تشهي) استناداً على قراءة حفص.

^٥ حول سيرته انظر: Abdurrahman Çetin, «Dâni», DIA, VIII, 459-460.
^٦ حول سيرته انظر: Abdurrahman Çetin, «Ebû Davûd Süleyman b. Necâh», DIA, X, 119.

الاستفادة من القواعد التي وضعها علماء الرسم في تلك الموضع المختلفة فيها، ثم تقرير بعض الترجيحات لأجل هذا، إلا أن الجملة الأخيرة تقول إن كل حرف من حروف هذا المصحف موافق نظيره في مصحف من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان رض. وإذا كانت هناك اختلافات بين الروايات في موضععينه فلا بد من ظهور احتمالات في مسألة أي تلك الروايات هو الأصح. أما ترجيح أحد تلك الاحتمالات فلا ينفي صحة الاحتمالات الأخرى. وفي هذه الحالة فلا يمكن أن يصح القول في الموضع الذي توجد حوله الاختلافات والترجيحات إن كل عنصر في المصاحف يطابق تماماً نظيره من مصاحف سيدنا عثمان رض. وإذا كانت كلمة نظير هنا ليست مطابقة تماماً لمثلها وأن المقصود هو الكلمة أخرى أو أكثر من نفس القالب والبنية فإنه أمر يمكن فهمه، وفي هذه الحالة لا يمكننا الحديث قطعاً عن تناقض وتعارض بين هذه النتيجة والفكرة التي أردنا طرحها في هذا الصدد.

وفي المصحف المطبوع في عمان سنة ١٩٨٢ نشهد نفس الأقوال بعينها مما ذكر قبل قليل إلا تغييراً في عدة ألفاظ لا تؤثر في النتيجة. ويذكر نفس هذا النص أيضاً في مصحف بين أيدينا طبعته في الكويت وزارة الأوقاف والشئون الدينية سنة ١٤١٣هـ (١٩٩٢م).

أما في المصحف الذي تتوالى طباعته في المملكة العربية السعودية فقد حُذفت منه العبارة التي جاءت في نص التعريف الوارد في نهاية المطبوع في مصر والتي تقول «أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهوجية تلك المصاحف فاتبع فيها الهجاء الغالب مع مراعاة قراءة القارئ الذي يكتب المصحف لبيان قراءته ومراعاة القواعد التي استبطنها علماء الرسم من الأهوجية المختلفة على حسب ما رواه الشيخان»، واكتفوا بدلاً من ذلك بعبارة «وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان». وبصعب علينا هنا أن نجد تفسيراً لحذف تلك العبارة من قبل السعوديين، بينما هي تعني قبول حقيقة تاريخية حول طبيعة الرسم العثماني والاعتراف بها.

وجاء في كتابات التعريف الملحة بالمصاحف المطبوعة في القاهرة وعمان والمدينة المنورة والكويت أنهم رجحوا روايات أبي داود في الموضع المختلفة فيها، ولكنهم لم يذكروا لماذا فضلوا روايات أبي داود الذي هو تلميذ أبي عمرو، أي روايات التلميذ على الأستاذ. وفي رأينا أن سبب هذا هو أن كتاب داود أكثر منهوجية وأكثر شمولًا بالمقارنة مع أعمال أستاده، كما أنه استفاد أيضاً في كتابه هذا من النتائج التي توصل إليها الداني.

٣- هناك أمر مهم يجدر بنا الوقوف عنده، وهو أن هذين الشيفين وهما يحددان ملامع الرسم العثماني قد اعتمدَا على مصاحف أخرى وليس على الروايات المتعلقة بإملاء مصاحف سيدنا عثمان رض من أجل كل عنصر من عناصر الأملاء، أما في الخطوط المختلفة بين تلك المصاحف فقد اعتمدَا على ماعنَ لهما من أفكارهما الخاصة. نعم، إن هذين الشيفين قد أوردا في كتابيهما الروايات التي أصبحت مداراً لتثبيت الرسم العثماني، وساعدانا في التعرف على الكيفية التي كتبت بها كلمات عديدة في مصاحف سيدنا عثمان بن عفان رض، ولكن لا يمكننا القول إن ذلك ينطبق على كل ألفاظ القرآن الكريم. لأنه يبدو أن هذين الشيفين وهما يتحدثان عن الفروق الإملائية فيما بين المصاحف من ناحية ويسعيان لتحديد أيها أقرب إلى الأصل قد طرحا عدداً من الأمثلة الموجودة في المصاحف قد تكون مستنسخة من مصاحف سيدنا عثمان رض، وطرحوا أفكارهما الخاصة في الموضع التي فيها فروق بين تلك الأمثلة في إملاء بعض الألفاظ وليس الروايات المتعلقة بالإملاء في مصاحف سيدنا عثمان رض. والشاهد على ذلك أن:

أ) أبا عمرو الداني سعى هو الآخر لجمع الاختلافات الإملائية الموجودة بين المصاحف تحت عنوان خاص وأجتهد في درسها وتدقيقها^(٧)، وقد ذكر على سبيل المثال أن:

- قوله تعالى (ولا كذبا) في سورة النبأ (٣٥ / ٧٨) قد كتب بغير ألف، بينما ذكر محمد بن عيسى الإصبهاني (ت ٢٥٣هـ / ٨٦٧م) في مناسبة أخرى في كتابه هجاء المصاحف أن هناك معلومات تقول إن الكلمة كتبت بالألف (ولا كذابا)^(٨).

- هناك كلمة (للنظر) في قوله تعالى «للننظر كيف تعملون» (سورة يونس ١٤ / ١٠)، إذ كتبت على شكل (لننظر) بنون واحدة، بل وروي أنها أمللت على هذا التحول في المصحف الإمام الذي احتضن به سيدنا عثمان بن عفان ~~لأن~~ نفسه، ولكن هناك رواية أخرى حول أنها كتبت بنونين في المصاحف الفديمة والحديثة، وجعلت أساساً في كتابة المصحف فيما بعد^(٩).

ب) يمكننا أيضاً عند الاطلاع على كتاب أبي داود أن نشهد العديد من تلك الأمثلة في مواضع عديدة. ومنها مثلاً:

- ذكر أبو داود أن كلمة (صراط) في سورة الفاتحة جاءت في بعض المصاحف بالألف (صراط) وفي البعض الآخر بغير ألف (صراط)، وقال إن كلام الخطرين حسن، وإنه يفضل كتابتها بغير الألف^(١٠).

- وقال وهو بقصد إملاء كلمة (يعلمن) الوارددة في سورة البقرة (١٠٢ / ٢) إنها جاءت في المصاحف بالألف وبغير الألف، أي على شكل (يعلمن) و (يعلمان)، وذكر أنه يفضل كتابتها بالألف^(١١).

- وعن قوله تعالى (فلا يخاف) في سورة طه (٢٠ / ١١٢) لا توجد رواية حول الكيفية التي تكتب بها، ورغم أن كلمة (يُخاف) قرأها عبد الله بن كثير إمام القراءات في مكة بجزم القاء وبغير ألف، أي أن كتابتها بغير ألف مثلما هو الحال في (ملك) في سورة الفاتحة، وإن ذلك كان الأنسب عند ابن كثير وغيره من أئمة القراءات الآخرين، إلا أنها كتبت بالألف. ونظرة أبي داود إلى هذا الموضوع ورأيه فيه هو «ينبغى كتابة هذه الكلمة بغير ألف حسب قراءة ابن كثير. أما في قراءات أهل المدينة والعراق والشام فمن المحتمل أنها كتبت بالألف... ولا توجد بين أيدينا رواية قط حول الشكل الذي رسمت به في المصاحف. ولكن مع القياس لا بد من القول إن الكلمة كتبت بغير ألف في مصاحف مكة»^(١٢).

- هناك كلمة (جعل) الوارددة في قوله تعالى «وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً» (سورة الانعام ٦ / ٩٦)، وقد قرأت على شكل الفعل كما هي، وقرأت أيضاً على شكل اسم فاعل (جاعل)^(١٣). ولكن ليست هناك رواية تكشف الأمر

^٧ الداني، المتنع، ص ٩٦ - ٩٩.

^٨ نفسه، ص ١٤، ٢٣.

^٩ نفسه، ص ٩٠.

^{١٠} انظر: مختصر التبيين، ٢ / ٥٥ - ٥٦.

^{١١} انظر: نفس المصدر ٢ / ١٨٨.

^{١٢} انظر: الداني، التبيير، ص ١٥٣ وأبو داود، مختصر التبيين، ٤ / ٨٥٣. ويلاحظ أن الكلمة كتبت بالألف في المصاحف المطبوعة من منظور توافقها مع الرسم العثماني.

^{١٣} انظر: الداني، التبيير، ص ١٠٥.

حول كتابتها بالف أو بغير ألف في مصاحف سيدنا عثمان رض، فالأمر مبهم هنا. وإزاء هذا الإبهام صرخ أبو داود بأنه يفضل كتابتها بغير ألف وأن كتابتها بالألف أيضاً حسنة^{١٤}.

– وقال أبو داود إنه لم يعثر على شيء قط في المصادر حول كلمة (اجتبه) الواردہ في سورة التحل (١٦/١٢١)، هل تكتب بعد حرف الباء بالباء أم بالألف، ثم قال: «لقد دققت المصاحف القديمة ورأيت أن الكلمة مكتوبة بغير ألف ومكتوبة أحياناً بالألف وهو الأكثـر. فإذا كتبها كاتب بالألف فهي صحيحة، وإذا كتبها بغير ألف فهي صحيحة أيضاً. وإذا كتبت بالياء كذلك فهي صحيحة أيضاً»^{١٥}.

– هناك غموض أيضاً حول كتابة كلمة (الرياح) الواردہ في سورة الروم (٤٥/٣٠) هل تكتب بالألف أم بغيرها. وقد رأى أبو داود أن الكاتب مخير في ذلك، ولو أنه يختار ما يراه^{١٦}.

ج) – وكان العالم القازاني شهاب الدين المرجاني – الذي يدافع عن الرسم العثماني في كتابة وطباعة المصاحف – قد ذكر المصادر التي استعان بها في موضوع الإملاء عند عمله لتصحيح المصحف، ثم قال بعدها إنه في الموضع المتعلقة بحذف ألف وغير المذكورة في تلك المصادر^{١٧} مثل: محرب وكوعب وكوكب وأسطير وتمثيل، قد راعى الاتجاهات العامة في نفس تلك المصادر رغم تدعيمها من قبل آخرين لا يشق فيهم يشكل تاماً^{١٨}.

وفي هذه الحالة فالمحظوظ به هو وجود بعض مواضع غموض وإبهام حتى ولو لم يكن إلى حد كبير وضع الرسم العثماني بروايات نقلها أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح وتمت الاستفادة منها في إملاء المصاحف. ويدلّ من الوضوح الذي هو الأمر المطلوب في تلقيظ ألفاظ القرآن وفي قراءته مع كل اختلافاتها فإن هناك غموضاً في إملاء تلك الأنفاظ أو على الأقل في قسم منها. ولا يوجد اليوم بين أيدينا واحد من تلك المصاحف. وسواء أكان المصحف الذي قيل إنه لسيدنا عثمان رض ويُحفظ في متحف سراي طوپقاپی [باستانبول] ونحاول تقديمها للباحثين مع هذه الدراسة، أم كان المصحف المحفوظ في طشقند في متحف الآثار القديمة وقيل إنه كان هو الآخر لسيدنا عثمان رض فإن كلا المصحفيـن ليسا لهـ كـما سـندـ كــرـ فــيـماـ بــعــدـ. وـعــنــدـماـ يــصــبــحــ الــأــمــرــ عــلــىــ هــذــاـ النــحــوــ فــالــوــاـضــحــ فــيــ مــوــضــوــعــ إــمــلــاءــ الــتــيــ لــاـ تــعــدــ أــســاســ الــعــمــلــ أــنــهــ لــاـ تــصــبــ مــعــارــضــةــ كــتــابــةــ وــطــبــاعــةــ الــمــصــحــفــ بــإــمــلــاءــ الــمــتــطــوــرــةــ – وإن لم يكن ذلك اختيارنا – فــائــلــيــنــ: «لا يجوز». فالموضوع في رأينا ليس الجواز وعدم الجواز، وإنما الأنسب هو مناقشة فعله وتطبيقه، ثم عرض الاختيار الذي يتم الاتفاق عليه.

٤- لا علاقة لما نقوله هنا بالفرق المتعلقـةـ بــيــنــ الــكــلــمــةــ بــيــنــ مــصــاـحــفــ ســيــدــنــاـ عــثــمــانــ رضــ أوــ بــنــقــصــ وــزــيــادــةــ فــيــ حــرــفــ يــتــمــ تــلــفــظــهــ أــوــ فــيــ كــلــمــةــ. فــالــمــعــلــومــاتــ الــخــاصــةــ بــمــثــلــ هــذــهــ الــفــرــقــ قــدــ وــرــدــ ذــكــرــهــ فــيــ الــمــصــاـحــفــ اــعــتــمــادــاـ عــلــىــ الــرــوــاـيــاتــ الــتــيــ تــؤــيــدــ بــعــضــهــ بــعــضــاـ،ــ كــمــاـ أــنــ أــســالــيــبــ أــئــمــةــ الــقــرــاءــ تــؤــيــدــهــاـ.ــ وــقــدــ رــأــيــاـنــاـ قــبــلــ ذــلــكــ عــلــىــ ســبــيلــ الــمــثــالــ

١٤ أبو داود، مختصر التبيين، ٥٠٦/٣.

١٥ نفسه ٣ / ٧٨١ - ٧٨٢.

١٦ نفسه ٤ / ٩٨٨.

١٧ ومن الأمثلة المذكورة هنا فقد ذكر أبو داود مثلاً كلامتي محرب وتشيل، وقال إنها تكتـانـ بالـأـلـفـ (٤ / ١٠١٠)، ويدوـ أنـ المرـجـانـ لمـ يـتـبـهـ لـذـلـكـ.

١٨ المرجاني، للقواعد الميسنة، ص ١٤.

ورود قوله تعالى «خيراً منها» بهذا الشكل في المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان رض إلى البصرة والكوفة^(١٩)، بينما جاء على شكل «خيراً منها» بضمير الثنوية في مصحف الشام ومكة وفي المصحف الذي جعله للمدينة وهذا يعني أن قراءة مكة والمدينة والشام قرأوها على شكل (منهما)، بينما قرأها الآخرون على شكل (منها)^(٢٠). كما لا يوجد هنا محل لغموض وإبهام في مثل هذه الفروق من ناحية الإملاء.

ثانياً: اقتراح نظامين للإملاء في كتابة وطباعة المصحف

هناك مطلب من بعض رجال العلم خلاصته «أن تجري بعد ذلك كتابة المصحف بالإملاء المتطرفة حتى يقدر الناس على قراءته، بينما تكتب المصاحف المخصصة لذوي الاختصاص بالإملاء الأصلية، وعلى هذا النحو تيسير للناس تلاوة المصحف وتقليل الإملاء الأصلية محفوظة». وهنا علينا أن نعيد القول إن هذه الإملاء التي قبلنا بأنها الأصلية دون تحفظ لا تحتاج إلى حماية. لأن النسخ الأصلية من المصحف لم تُحفظ، ولكن الإملاء التي كتبت بها تلك النسخ ظلت محفوظة بالقدر الذي رأينا، وهناك ملابس النسخ التي ظهرت عن طريق الاستفادة من تلك المعلومات والروايات المنقوولة إلينا من أمهات المصادر، ويستعين بها المسلمون في كافة أرجاء الدنيا. ونحن نعتقد أنه ليس هناك أهمية كبيرة أيضاً عند عرض فكرة كتابة وطباعة المصحف بالإملاء المتطرفة لأن يكون عرضها حجة لفكرة «حتى يستطيع الناس قراءته بسهولة». لأن المصحف تطبع بحركات التشكيل، والذين يعرفون القراءة والكتابة بالعربية يمكنهم مع الالتزام بتلك الحركات أن يقرأوه صحيحاً وبسهولة. أما الذين لا يعرفون العربية فإن عليهم أن يتلقوا تعليماً خاصاً، ولكن بمساعدة تلك الحركات إلى حد بعيد أيضاً واتباعاً لها، وبالكيفية التي تعلموها تكون طريقة قراءتهم. وسبب تغير البعض في قراءة المصحف المكتوب بالإملاء الأصلية ليس هو الإملاء ولكنها عملية التشكيل بطريقة تختلف عن الطريقة المعتادة، ثم تشوّش الأذهان ببعض الإشارات التي لا ضرورة لها في اعتقادنا، حتى تتحقق التلاوة تطبيقاً لقواعد التجويد. وفي اعتقادنا أيضاً أن إملاء المصاحف التي تطبع تطبيقاً لحركات التشكيل المعتادة سوف يمكن قراءتها دون صعوبة مهما كانت تلك الإملاء.

وقد يكون من الأجدى التذكير بمثال ذكرناه من قبل في مناسبة أخرى وهو: قوله تعالى «قال ابن أَمْ ..»^(٢١) الذي وردت فيه كلمتا (ابن) و (أم) غير متصلتين في المصحف الأولى، ولكنهما وردتا في موضع آخر^(٢٢) متصلتين على شكل (قال يَبْنُؤُمْ) وليس على شكل (قال يَابْنَ أَمْ). وهذا الشكل المختلف في كلتا الآيتين قد ظل موجوداً إلى الآن في الدول التي تطبع المصحف بما يناسب الإملاء الأصلية، ويطبع في تركيا وتتصدق عليه هيئة تدقيق المصاحف في رئاسة الشئون الدينية، فماي منا يا ترى أدرك ذلك الأمر وتبه له؟ لا بد من الاعتراف أن الغالبية من ختموا القرآن منا مئات المرات لم يتبيهوا لذلك، ولكنهم بفضل التزامهم بحركات التشكيل استطاعوا أن يتعلموا الأسلوبين الإملائيين معاً والتلاوة الصحيحة دون أن يتبيهوا للفروق الموجودة. وكاتب هذه

١٩ سورة الكهف. ٣٦ / ١٨.

٢٠ انظر: الدالي، التيسير، ص ١٤٣.

٢١ سورة الأعراف. ٧ / ١٥٠.

٢٢ سورة طه. ٢٠ / ٩٤.

السطور أيضاً قد تنبئ بهذه المناسبة إلى اختلاف شكل الإملاء في هاتين الكلمتين في الموضعين المذكورين. وفي هذه الحالة إذا كان المطلوب هو طباعة المصاحف بالإملاء المتطرفة، أي إذا كان الاختيار هو هذا، وهو ليس مما نسعى إليه أو نفضله، فلا غبار على ذلك، ولسوف يجري عمل اللازم لتحقيق هذا.

ثالثاً: منهج هيئة تدقيق المصاحف في تركيا ورأينا فيه

نعتقد أن مسألة الإملاء التي استخدمت في المصاحف الأولى واستخدامها كما هي وبالقدر الذي كانت عليه في كتابة وطباعة المصاحف حالياً هي مسألة تحوز في العصر الحاضر أهمية تفوق ما كانت عليه من ذي قبل. علينا الاعتراف بأن عالم اليوم قد أصبح قرية صغيرة، والأحداث التي تقع في أي مكان منها يعرفها الناس في وقتها، من الشوارع ومن داخل البيوت نفسها، فالشعوب تتأثر بعضها، والهيئات والمؤسسات تتأثر بعضها، والناس يتآثرون بغيرهم من يعيشون في المجتمعات الأخرى. والقرآن الكريم قيمة مشتركة بين كافة المسلمين، وهم لا يشغلون إلا شارعاً واحداً في تلك القرية الصغيرة، وضمان وحدة الإملاء في كتابتهم المقدس قضية ذات أهمية تفوق ما كانت عليه من قبل. ويفضل تسعون في المائة من بلدان العالم الإسلامي تقريراً رواية حفص لقراءة الإمام عاصم بن بهدلة أحد أئمة القراءات السبع المشهورين^{٢٣}، بينما تفضل الدول الرئيسية فيها استخدام الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى لطباعة مصاحفها أي الرسم العثماني، كما أن هناك بعض الدول ومنها تركيا تسلك في ذلك طريقاً وسطاً بالمحافظة على جانب من تلك الإملاء^{٢٤}. ولا توجد لدينا معلومات حول وجود بلد يطبع المصحف بالإملاء الحديثة تماماً. وبسبب تلك الطرق المتباينة تُمنع المصاحف المطبوعة في تركيا مثلاً من الدخول إلى بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، كما لا يسمح للمساحف المطبوعة في تلك الدول أيضاً بالدخول إلى تركيا. ولا زلت أذكر في ثمانينيات القرن الماضي أنه كانت إحدى دور النشر العاملة في استانبول وتدعى دار النشر الإسلامية (İslami Kitabevi) قد تلقت طلباً من إحدى الشركات أو الجهات الحكومية في الكويت لطباعة مائة ألف نسخة من المصحف، وطبعتها تلك الدار بالإملاء المستخدمة في تركيا، فكانت النتيجة أن رفض جمرك الكويت سلم شحنة المصاحف بدعوى أن «الإملاء خاطئة» وعادت (الطرود) إلى جمرك مدينة بورصة، وظلت هناك شهوراً حتى أتت الرطوبة في المخازن على جزء منها.

ولا زالت هيئة تدقيق المصاحف [في تركيا] تواصل بعناية فائقة تطبيق تلك الطريقة الإملائية المختلطة التي لا سند لها. وليس في وسعنا هنا أن نقلل من قيمة تلك العناية الموجهة لكتاب الله العزيز، بل على العكس نُقدر لهم ذلك ونحترمه. ولكن لا يمكننا أن نتفاوض هنا أمراً لا بد من نقاده، وهو التوجه الذي تمثل تلك العناية

^{٢٣} أبو بكر عاصم بن بهدلة الكوفي كان واحداً من أئمة القراءات السبع المشهورين من قراء جيل التابعين. وكان كفيف الصدر، وتوفي سنة ١٢٧هـ (٧٤٥م). (انظر: حول سيرته: الذهبي، سيرة الفراء الكبار، ١ / ٢١٠ – ٢٠٤هـ / ١٤٦١ – ١٤٦٠). أما أبو عمر حفص بن سليمان الكوفي فهو ابن عاصم بن بهدلة بالتبني، وكان أحد رواييin مشهورين لقراءة عاصم، وتوفي سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م). (للتعرف على سيرته انظر: الذهبي، المصدر السابق، ١ / ١٥٦).

^{٢٤} كنا قد قمنا بعملية فحص وتقدير محدودة على عدّة صفحات من مصحف مفترض بالتركية مطبوع في كراتشي سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وتبين لنا من خلالها أن عشوائية الإملاء المستخدمة في المصاحف المطبوعة في تركيا قد انتقلت أيضاً إلى باكستان. حتى إن الألفاظ التي تتعذر الكتابة بغير الألف مثل (ملك - صرف) على سبيل المثال في الرسم العثماني (الفاتحة ١ / ٧ – ٦) حررت كتابتها بالألف لفظهما (مالك - صراط)، كما كتبت كل من (هروت وبروت) (البقرة ٢ / ١٠٢) بالألف أيضاً (هاروت وماروت)، وجرى التعاضي أيضاً عن مبدأ التوافق مع القراءات المعروفة، وكبّت كلّماتاً (القسوسون - الكفرؤن) (سورة القراءة ٢ / ١٩، ٢٤، ٩٩).

بغير الألف حماضاً على الرسم العثماني.

سندًا له، وليس العناية نفسها. وهذا التوجّه إذا كان لأجل المحافظة على الرسم العثماني المستخدم في بعض الدول الإسلامية فهو أمر يمكننا قبوله، وإذا كان المقصود هو المحافظة على الرسم العثماني فمن الممكن أيضًا أن نتفهم ذلك. وأيضاً إذا كان يجري إبرازه بقصد الحيلولة دون وقوع أي خطأ أو تحريف في المصاحف القادمة من خارج تركيا فليس من العسير علينا أن نتفهم هذا أيضًا. ولكن هذه الدقة إذا كانت تُبذل من أجل إملاء المصحف المسمى (بخط علي القاري) الذي كتبه علي القاري (ت ١٤١٠ هـ / ١٦٥١ م) أحد متأخرى علماء الأحناف والخطاط في الوقت نفسه وراعى فيه بعض الخطوط الخاصة^{٢٥} المتعلقة بالرسم العثماني، بل وغير كثيرًا من العناصر ربما لأجل التيسير على القاري (مثل: الظالمين، الصابرين، العلمين فأضاف إليها الآلف لتصبح: الظالمين، الصابرين، العالمين؛ وكذلك كلمات: ياها، ينوح، ياخت فأضاف إليها الآلف بعد ياء النداء لتصبح: يا أيها، يا نوح، يا اخت)؛ وإذا كانت الدقة أيضًا من أجل خط المصحف الذي كتبه الخطاط العثماني المشهور حسن رضا أفندي (ت ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م) معتمدًا فيه على إملاء علي القاري أساساً، أي بإملاء مختلطة لا هي تتبع الإملاء المتطورة ولا هي تتبع الرسم العثماني فإن هذا الأمر ليس فيه ما يجعلنا ندافع عنه، فالواضح أن هناك شيئاً من عدم الانضباط.

ويكون من المفيد هنا أن نذكر بعض الأمثلة التي تدلل على أن الإملاء التي تمسك بها هيئة تدقيق المصاحف إملاء مختلطة وغير منضبطة.

أ) - أولاً الأمثلة المتفقة مع الرسم العثماني والمحافظة عليه:

- مثال ذكر قبل ذلك، وهو قوله تعالى (قال ابن أم)^{٢٦}، إذ جاءت الكلمتان (ام و ابن) هنا منفصلتين، ثم وردتا في موضع آخر^{٢٧} متصلتين على شكل (قال يبنؤم) وليس (قال يا ابن ام). وهذا الخط المختلف في كلتا الآيتين لا زال متبعاً في البلدان التي تطبع المصاحف تممسكاً منها بمبدأ التوافق مع الإملاء الأصلية، وتتمسّك بها أيضًا هيئة تدقيق المصاحف التابعة لرئاسة الشعون الدينية في تركيا، فالمصحف الذي لا يتبعها لا يجري التصديق عليه أو يوضع خاتم الهيئة على طبعاته.

- ترد كلمة (أيها) في الغالب بالألف كما نرى في الرسم العثماني، ومع ذلك فقد كتبت في ثلاثة مواضع^{٢٨} بغير ألف وجاءت على شكل (أيه)^{٢٩}. وتتمسّك هيئة تدقيق المصاحف بهذه الأمثلة أيضًا. ولما سئل علماء الهيئة عن هذا الموضوع قالوا عن هذه الكلمة إن هناك قراءة لها بضم الهاء على شكل (أيه)، ولعل ذلك هو السبب الذي دفع علياً القاري للمحافظة عليها. صحيح أن هاءات عبد الله بن عامر اليحصبي وهو من أئمة القراءات السبعة

^{٢٥} حول الموضع التي حافظ فيها علي القاري على الإملاء المطابقة للرسم العثماني انظر: داماد زاده سليمان، الكلمات المارسومة المستخرجة من مصحف علي القاري (وكان طورخان باي جان عضو هيئة تدقيق المصاحف قد قام - بعد مناقشات مطولة تجريها بما حول الموضع - بدراسة تتطلب حفظ الصبر والأناه على نسخة من مصحف العثماني في ٤٧٠٤ كلمات ويتفق معها في ٢٣٧ كلمة. والقائمة التي أعدتها طورخان باي جان حول ذلك موجودة بين أيدينا).

^{٢٦} سورة الأعراف ٧/١٥٠.

^{٢٧} سورة طه ٢٠/٩٤.

^{٢٨} سورة النور ٢١/٢٤ وسورة الزخرف ٤٣/٤٩ وسورة الرحمن ٥٥/٣١.

^{٢٩} انظر: الداني، اللقنع، ص. ٢٠.

المشهورين (ت ١١٨ هـ / ٧٣٦ م) جاءت بالضم في الموضع الثالثة^(٢٠)، ولكن ليس هناك ما يلزم بكتابته الهاء بغير الألف حتى تتوافق مع قراءة ابن عامر. والشاهد على ذلك أنه يمكن أداء القراءات متباعدة تخالف الإملاء في موضع عديدة، وعلى سبيل المثال فإن عبد الله بن كثير أحد الأئمة السبعة في القراءات قد قرأ كلمة (يُخاف) في قوله تعالى (فلا يُخاف...) (١١٢ / ٢٠) بجزم الناء وبغير الألف لتصبح على شكل (يَخْفُ)^(٢١)، أي كما هو الحال في الكلمة (ملك) في سورة الفاتحة، فإن كتابتها بغير الألف تتوافق قراءة ابن كثير وغيره من أئمة القراءات على حد سواء، ومع ذلك فإن الكلمة كتبت بالألف. ومن الضروري أيضاً لحصولها على موافقة الهيئة أن تكتب بهذا الشكل. أضف إلى ذلك أن الرسم العثماني قد تمت المحافظة عليه على الرغم من وجود فروق في القراءات كما في المثال السابق (قال بيئوم) وغيره من الأماكن العديدة الأخرى، وبالتالي يصبح طرح عامل القراءة برهاناً على ذلك أمراً ليس معقولاً.

- هناك كلمة الربا التي ترد في القرآن الكريم في سبعة مواضع^(٢٢)، فتكتب بالواو والألف بحسب الرسم العثماني (الربوا)، وتتمسك بها هيئة تدقيق المصاحف على هذا الشكل بعينه. وهذا النوع من الأمثلة التي لا تتوافق الإملاء العربية المتطرفة قد استمرت المحافظة عليها ليس إلا من منطلق أن تكون المصاحف مطابقة للرسم العثماني، وتوجد نماذج عديدة على أنها استمرت بعينها في المصاحف المطبوعة في تركيا.

ب) - عدة أمثلة لا تراعي الرسم العثماني:

- هناك كلمة (بأييد) الواردة بالرسم العثماني في قوله تعالى (والسماء بنيناها بأييد...)^(٢٣)، وكلمة (بأبيكم) الواردة في قوله تعالى (بأبيكم المفتون)^(٢٤)، وكلتاها كتباً ببائين معاً^(٢٥)، ومع ذلك فإن هناك مصاحف كتبت فيها بـألف واحدة، وصدقت عليها هيئة تدقيق المصاحف. وفي هذين الموضعين أيضاً قام حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م) وهو أحد أئمة القراءات السبعة المشهورين بابدال الهمزة إلى الياء وقرأها على هذا التحويل^(٢٦). فإذا كان عامل القراءة هو الحجة للحفاظ على الإملاء الأصلي فالواضح هنا أن هذا الأمر لا يمكن تغافله.

- المعروف أن الألف الواردة بعد ياء النداء لم تكتب في أي مكان من قبيل الاختصار بحسب الرسم العثماني، وجرت على ذلك دول إسلامية عدة (مثل: يأرض ابليع، يأدم، يأيها الناس...)، ومع ذلك فقد تركت هذه القاعدة في تلك المصاحف، وظهرت ألف حرف النداء فيها: يا أرض ابليع، يا ادم، يا أيها الناس..

- هناك عبارة (سأوريكم) في الرسم العثماني^(٢٧)، وقد كتبت في تلك المصاحف على شكل (سأريكم) أي ترك حرف الواو.

^{٢٠} انظر: الداني، التيسير، ص ١٦١ - ١٦٢.

^{٢١} نفسه ص ١٥٣.

^{٢٢} انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص ٣٠٠.

^{٢٣} سورة الذاريات ٥١ / ٤٧.

^{٢٤} سورة القلم ٦ / ٦٨.

^{٢٥} انظر: الداني، المقنع، ص ٤٧.

^{٢٦} لمن النساء، يخاف خفلاً، البشري، ٤٩٣ / ٢، ٥٥٣.

^{٢٧} سورة الأعراف ٧ / ١٤٥ و سورة الأنبياء ٢١ / ٣٧ وانظر: الداني، المقنع، ص ٥٣.

- الكلمة (ملك) المكتوبة بغير ألف في الرسم العثماني^{٤٨}) جرت كتابتها بالألف على شكل (مالك)، كما أن كلمتي (فتعلى، تعالى) جرت كتابتها بغير ألف في كل موضع جاءتا فيه^{٤٩}، بينما جرت كتابتها بالألف في هذه المصاحف (فتعلى، تعالى). ويجري الحديث في هذا النوع من الأمثلة بوجه عام عن حجة «تيسير التلاوة»، بينما نرى في عبارة (ولا تلون)^{٥٠} مثلاً أنهم لم يراعوا مسألة التيسير فيها، فلم يكتبوا بواو آخر إلى جانب الواو الموجودة لكي تقرأ ممدودة بعد الألف الأولى بحسب الرسم العثماني. وهناك أمثلة كثيرة يمكننا عرض المئات منها.

- نرى من المفيد هنا التذكير بمثال كنا ذكرناها قبل ذلك في موضع آخر، وهو عبارة (ولا وضعوا)^{٤١} التي وردت بهذا الشكل في بعض مصاحف سيدنا عثمان^{٤٢}، ووردت في بعضها الآخر بإضافة حرف الألف (ولا وضعوا)، أي أن كلا الشكلين جاء بحسب الرسم العثماني. ولكننا لا نعلم ما هو المصحف الذي وردت فيه، وإلى أي جهة أرسله سيدنا عثمان بن عفان^{٤٣}. غير أن هناك رواية تقول إن الكلمة مكتوبة بإضافة الألف في نسخة عثمان المعروفة «بالمصحف الإمام»^{٤٤}. ولهذا السبب فقد كتبت هذه الكلمة بغير الألف المذكورة (ولا وضعوا) انتلاقاً من مبدأ التوافق مع الرسم العثماني، سواء كان ذلك في المصحف التي طبعت في مصر سنة ١٩٣٥م وفي المدينة المنورة خلال تسعينيات القرن الماضي برواية حفص على قراءة عاصم بن بهدلة ثم تكررت طباعة تلك المصاحف في السنوات التالية، وسواء في المصحف الذي جرى التصديق عليه من السلطات المسئولة في مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية برواية ورش^{٤٥} على قراءة نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ / ٧٨٥م) ثم طبع انتلاقاً من نفس المبدأ في الشام عام ١٩٩٩م. ولكن الكلمة مكتوبة بالألف على شكل (ولا وضعوا) في الإملاء المعدنة جزئياً من قبل هيئة تدقيق المصاحف [في تركيا] بقصد التيسير على القراء. لماذا؟ وهل يمكننا الحديث عن تيسير جاءت به تلك الألف؟ الأمر الذي يقال هنا باختصار هو أن الإملاء المستخدمة في المصاحف المصدقة من قبل هيئة تدقيق المصاحف لا تترکز - في اعتقادنا - على قاعدة يمكن الدفاع عنها. وعلى المجلس الأعلى للشئون الدينية التابع لرئاسة الشئون الدينية أن يبادر دون تأخير إلى فتح باب المناقشة في هذا الموضوع بطريقة علمية، وعليه اختيار أحد السبيلين: الأول أن يكون الرسم العثماني هو الأساس كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية، والثاني أن يجري استخدام الإملاء المتطرفة المستخدمة اليوم في النصوص العربية لكي تكتب بها المصاحف، وهو ما يوافق رأي بعض العلماء أيضاً. وخيارنا في هذا الموضوع هو اتباع الرسم العثماني كما هو الحال في الدول الإسلامية الرئيسية، وضمان الوحدة في العالم الإسلامي باستخدام قراءة واحدة. وهذه الوحدة لا تبدو ممكناً بخيار آخر يمكن طرحه عدا هذا.

^{٤٨} سورة الفاتحة ١ / ٤ وسورة آل عمران ٣ / ٢٦ وانظر: الداني، المقنع، ص ٨٣.

^{٤٩} انظر: الداني، المقنع، ص ١٨.

^{٤٠} سورة آل عمران ٣ / ١٥٣.

^{٤١} سورة التوبية ٩ / ٤٧.

^{٤٢} انظر: الداني، المقنع، ص ٤٥.

^{٤٣} أبو زعيم نافع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد هو واحد من أئمة القراءات السبع المشهورين، وأخذ علم القراءات عن جيل التابعين، وقام بتدريسه في المدينة المنورة أكثر من سبعين عاماً، وتوفي سنة ١٦٩هـ (٧٨٥م) (حول سيرته انظر: الذهبي، معرفة القروة الكبار، ١ / ٢٤٧ - ٢٤١، ١ / ٩٩ - ١١٥). أما أبو سعيد عثمان بن سعيد القبطي المعروف بورش فكان تسليناً نافعاً واحداً راوياً مشهورين لقراءاته، وكان أفرقياً الأصل، وتوجه إلى المدينة المنورة وهناك في سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) ختم القرآن على تأثير أربع مرات، وأنشد عنه القراءات. وتوفي في مصر سنة ١٩٧٧هـ (١٩١٣م) (انظر: حول سيرته: الذهبي، المصدر السابق، ١ / ٣٢٦ - ٣٢٢، وابن الجوزي، النشر، ١ / ١١٢).

ومن البديهي أن تجري طباعة مصاحف أخرى أساسها الرسم العثماني أيضاً لأجل الدول التي تستخدم قراءات أخرى مختلفة. ولكن لن تظهر فروق كبيرة إملائية في هذه المصاحف إلا فروق التشكيل والتنقيط. والشاهد على ذلك أننا نعلم أن أكثر القراءات تفضيلاً اليوم بعد تلاوة حفص الكوفي هي برواية ورش عن نافع بن عبد الرحمن، وهو المدني من أئمة القراءات السبعة المشهورين وبرواية قالون جزئياً عن نفس الإمام، وأنه بسبب قراءة تلك الروايات وخاصة في بعض دول الشمال الأفريقي جرت مراعاة الإملاء الخاصة بمصحف المدينة الذي هو مصحف سيدنا عثمان في طباعة المصاحف، وأن عملية التشكيل والتنقيط قد جرت تبعاً لتلاوات ورش وقولون.

وتوجد – على حد علمنا – اختلافات في عشرين موضعًا من الناحية الإملائية بين مصحف المدينة الذي هو المرجع المدون لتلاوات ورش وقولون ومصحف الكوفة الذي يشكل المرجع المكتوب لتلاوة حفص. وفي أربعة من تلك المواقع تبتعد تلاوة حفص عن مصحف الكوفة^{٤٤}، وأولها يناسب الشكل المكتوب في كل المصاحف الأخرى، وثانيها يناسب نسختي المدينة والشام، أما ثالثها ورابعها فهما يناسبان كل النسخ الأخرى أيضاً، وبعبارة أخرى فإنها تتفق في تلك المواقع الأربع ومصحف المدينة الذي يشكل أساس تلاوة ورش، ولهذا فإن الفرق بين تلاوتي حفص وورش ينخفض إلى ستة عشر فرقة يتعلّق بالإملاء^{٤٥}. وعندما لا يراعى التنقيط والتشكيل تبعاً لهذه الحالة يمكن الحديث عن الاختلاف الإملائي في ستة عشر موضعًا فقط، وليس المئات بين المصاحف التي ستجرى طباعتها تبعاً لتلاوتي حفص وورش لسد حاجة الدول التي ستقرأ فيها. أما عن تلك الفروق فلها أسس ترتكز عليها، وهي نسخ مصاحف سيدنا عثمان^{٤٦} الأصلية.

واليوم فإن المعروف هو أن القراءة التي تأتي في الدرجة الثالثة في العالم الإسلامي هي قراءة أبي عمرو بن

^{٤٤} قوله تعالى (وما عملت) في سورة يس ٣٦ / ٣٥ والذي كتب بهذا الشكل في مصحف الكوفة قد جاء على شكل (وما عملته) في مصاحف مكة والمدينة والبصرة والشام، وقراءة حفص توافق تلك النسخ. والموضع الثاني الذي يختلف عن نسخة الكوفة هو قوله (ما تشتكي) في سورة الزخرف (٧١ / ٤٢). وهنا أيضاً قراءة حفص على شكل (ما تشهي) متفقاً بخطوط مصحف المدينة المنورة والشام. والموضع الثالث والرابع اللذان اختلف فيما بينهما مع خط الكوفة وقراءة متفقاً مع المصاحف الأخرى هما قوله (قال كم لشتم) و (قال إن ليثتم) في سورة المؤمنون (٢٢ / ١١٤، ١١٢). وعلى الرغم من أن الفعل (قال) في الموضعين قد كتب على شكل (قل) في مصحف الكوفة فقد قرأه حفص بالالف متفقاً بالإملاء المستخدمة في المصاحف الأخرى (انظر: الشمر، ٢ / ٣٣٥، ٣٣٠؛ ٣٧٠، ٣٧٣).

^{٤٥} تلك المواقع ستة عشر هي:

- ١- القراءة ٢ / ١٣٢: وأوصى – ووصى.
 - ٢- آلل عمران ٣ / ٢٢٢: وسارعوا – سارعوا.
 - ٣- المائدة ٥ / ٥٣: ويقول الذين – يقول الذين.
 - ٤- المائدة ٥ / ٥٤: من برندد – من برند.
 - ٥- الانعام ٦ / ٦٣: أحياناً – أحياناً.
 - ٦- التوره ٩ / ١٠٧: الذين اتخدوا – والذين اتخدوا.
 - ٧- الكهف ١٨ / ٣٦: خيراً منها – حراً منها.
 - ٨- الأنبياء ٤ / ٤٢: قال ربي – قال ربي.
 - ٩- الشعراء ٢٦ / ٢١٧: فتوكل – وتوكل.
 - ١٠- غافر ٤٠ / ٢٦: وإن يظهر – وإن يغفر.
 - ١١- الشورى ٤٢ / ٣٠: مما كسبت – فما كسبت.
 - ١٢- الزخرف ٤٣ / ٦٨: يعبادي – يعباد.
 - ١٣- الاحقاف ٤٦ / ١٥: حسناً – احساناً.
 - ١٤- الحديد ٥٧ / ٢٤: هو الغني – الغنى.
 - ١٥- الجن ٧٢ / ٢٠: قل – قال.
 - ١٦- الشمس ٩١ / ١٥: فلا يخاف – ولا يخاف.
- (انظر: لهذه المواقع: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٣٩ – ٤٩ والداني، المقطوع، ص ١٠٢ – ١١٣).

علاوة على ذلك، يُلاحظ أن أحد أئمة القراءات السبعة المشهورين (الإمام البصري)، وأن هذه القراءة هي المفضلة في بعض الدول الإفريقية كالسودان ونيجيريا. وما استطعنا الوصول إليه من فروق إملائية بين مصحف البصرة الذي ترتكز عليه تلك القراءة وبين مصحف الكوفة الذي ترتكز عليه تلاوة حفص هي في تسعة مواضع فقط. وفي أربعة منها تنفصل تلاوة حفص عن مصحف الكوفة، وتتفق مع مصحف المدينة، ولهذا يتوازى مصحف البصرة أيضاً مع مصحف المدينة، فتظهر الفروق الإملائية بين تلاوة أبي عمرو في خمسة مواضع فقط.

وعلى ضوء هذه الإيضاحات يمكننا القول إنه لا نزاع ولا خلاف حول المصاحف التي كتبت وطبعت متوافقةً مع إملاء أي من مصاحف سيدنا عثمان رض أو راعت تلاوة بنية على أساسها لأحد أئمة القراءات المشهورين، كما أن المصاحف التي ستجري كتابتها وطبعتها بما يتفق ورواية حفص عن قراءة عاصم بن بهلة المرتكزة على مصحف الكوفة والمفضلة لدى ٩٠٪ تقريباً من بلدان العالم الإسلامي سوف تضمن الوحدة أيضاً بين أهم تلك الدول. ولن يحدث أيضاً لمحضف كتب وطبع بعد تشكيله وتنقيطه تبعاً لاي من القراءات الأخرى أن يُحظر دخوله إلى أي بلد إسلامي شريطة المحافظة على الإملاء في الرسم العثماني.

وفي حالة التحرك المنضبط في طباعة المصاحف، أي عندما تتحقق الطباعة مُراعيةً للتشكيل والتنقية المرتكزين على تلاوة حفص أو ورش أو غيرهما من أئمة القراءات، وتكون في الوقت نفسه خاضعة للإملاء التي هي الأساس في تلاواتهم فإننا لن نرى في المستقبل طروداً مليئة بالمصاحف المطبوعة ترفضها الجمارك في دولة من الدول. والشاهد على ذلك أن بين أيدينا مصحفاً من طباعة الشام كان الأساس فيه إملاء مصحف المدينة أحد مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه وتلاوة ورش، ومع ذلك فقد تم التصديق عليه من المؤسسات الدينية المعنية في سوريا والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن على الرغم من عدم شيوخ تلاوة ورش في أي من تلك الدول.

ويكون من البداهي جداً أن تتخذ الهيئات والمؤسسات الدينية في الدول الإسلامية بعض التدابير للتصدي لطبعات المصحف التي لا تعتمد أي أساس أو تتمسك بأي مبدأ، وتبذل كل ما في وسعها لمنع ظهور مثل تلك المصاحف^(٤٨). ولكن توجد اليوم دول لها مصاحف طبعتها وتلك المصاحف ممنوعة من دخول بعض الدول الإسلامية الأخرى. ونرى من الفائدة أن يسارع المسؤولون في كل تلك الدول بتناول هذا الموضوع في أقرب الآجال، فهذا هو ما نأمله ونتمناه^(٤٩).

^{٤٦} أحد أبو عمرو بيان بن العلاء البصري علم القراءات عن قراء الحجاز، وأنهى الشطر الأعظم من حياته في الصورة. وهو واحد من أئمة القراءات السبعة المشهورين، وتوفي في سنة ١٥٤هـ (٧٧٦م) في الكوفة (للمزيد من المعلومات عن سيرته انظر: Tayyar Altukulaç, «Ebû Amr b. Alâ», Dâ, X, 94-96).

٤٨ لا شك أن إملاء المصاحف حظيت بعناية المسلمين كافة في كل مراحل التاريخ الإسلامي، وانخذلت حكم ما بهم بعض التناحر في المحافظة عليه من التحريف. ولعل المثال الملموس على ذلك ما فعله الوالي الأموي الحجاج بن يوسف التقى (ت ٧١٤-٦٩٥)؛ فقد كلف هيئة بتدقيق المصاحف تضم عاصم الجعدي وناجية بن رمّع وأعلیاء بن أشعث. وكانت التعليمات الصادرة إليهم واضحة جامة وهي: أن يدققوا المصاحف التي يعتزون عليها، فيقومون بإحسان المصحف الذي لا يتوفر مصحف سيدنا عثمان. وحتى لا يتم طلب علماء أصحاب المصاحف التي ترقى إلى العصر الذهبي، أصدروا مرسوماً يحظر على علماء الأئمة والفقهاء إلقاء خطبهم في المساجد، وذلك لمنعهم من التأثير في الناس.

٤٩ كانت قد تدارست هذا الموضوع مع زملائي في العمل عندما كنت رئيساً للشئون الدينية، وقمنا عند ذلك باستكمال مصحف جديد لأحد المقطاطين الأتراك يلتزم الإملاء الأصلية وقراءة حفص، ثم طبعنا منه على سبيل التجربة ثلاثة آلاف نسخة في سنة ١٩٨٥م وقدمناه للناس. غير أنها لم تتوجه في توزيع هذه الطريقة إلى نهج مؤسس وقرار ثابت خلال مدة خدمتنا.

الفصل الرابع

نسخ المصاحف موضوع هذه الدراسة

أولاً: مصحف طشقند

هو مصحف محفوظ الآن داخل صندوق معدني في متحف الآثار العتيقة في مدينة طشقند، ويعتقد الناس هناك أنه واحد من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان رض، بل إن هناك اعتقاداً شائعاً بين الناس أنه النسخة التي كانت بين يديه عندما استشهد. وسنحاول هنا من خلال الوقوف عند بعض الأمثلة على الإملاء المستخدمة فيه آن ثبتت أنه ليس واحداً من مصاحف سيدنا عثمان رض، ولا هو النسخة الخاصة به، وذلك بدلًا من الرجوع إلى المعطيات التاريخية المتناقضة والتي ليست واضحة بالقدر الكافي وإطلاق الأحكام على عواهنتها للبحث في تاريخ ذلك المصحف وإثبات نسبة.

والجدير بالذكر أن اشتغالنا بهذا المصحف يمتد حتى ثمانينيات القرن الماضي، فقد لجأت عدة مرات لبعض المتربدين على أوزبكستان حتى أحصل على ميكروفيلم للمصحف، ولكن دون جدوى، إلى أن سافرت إلى طشقند بدعوة رسمية في أكتوبر سنة 1985 م من مفتى آسيا الوسطى وقراخستان المرحوم ضياء الدين باباخانوف، فحظيت بنسخة فوتوغرافية من المصحف. وقد ظلت تلك النسخة محفوظة في غرفتي داخل رئاسة الشعون الدينية [في أنقرة] مدة من الزمن، ثم جرى إهداؤها بعد ذلك إلى مكتبة السليمانية في استانبول، ولا زالت هناك إلى اليوم.

ولا بد أن أعترف هنا أن دراستنا لمصحف طشقند - بخلاف الرجوع إليه بين حين وآخر لبعض المجادلات الإملائية - لم تكن ممكنة إلا بمناسبة العمل على نشر مصحف طويقابي؛ وكنا نتوقع حتى تلك اللحظة أن يكون هذا المصحف واحداً من مصاحف سيدنا عثمان رض. وأهم سبب كان وراء تعزيز هذا الاحتمال هو السطور التالية التي ذكرها أستاذنا الدكتور محمد حميد الله الذي طالما استفدنا من بحوثه واستعينا بها في العديد من المناسبات رغم أنها تخالف آراء بعض الكتاب، إذ يقول:

«إن المصحف التي بعث بها سيدنا عثمان بن عفان رض إلى الأنصار قد ضاعت في العصور التالية واحداً تلو الآخر. ولا يوجد اليوم منها إلا مصحف طويقابي في استانبول وهو مصحف تام، ثم المصحف المحفوظ في مكتبة دائرة الهندية في إنجلترا، وهو مأخوذ من مكتبة الإمبراطور المغولي في دلهي؛

ويوجد مصحف ثالث في مدينة طشقند تقصه عدة أوراق. وكانت الحكومة الروسية في زمن القيصرية قد عملت طبعة طبق الأصل من هذا المصحف. وقد رأينا من خلال دراستنا له أن نصه لا يختلف في شيءٍ عن المصاحف المستخدمة حالياً في الأماكن الأخرى. ونفس هذه الصحة تنطبق أيضاً على نصوص القرآن المخطوطة الأخرى الباقية من القرن الأول والقرون التالية في شكلٍ تام أو أجزاءً»^(١).

كان الطالب سمييع جيهان أحد تلامذة الدكتوراه في مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركى والذي أقام مدة في لندن قد قام بناءً على طلب منا بالبحث عن النسخة التي تحدث محمد حميد الله عن وجودها في إنجلترا، لكن موظفي المكتبات قالوا له بعدم وجود مصحف على هذا النحو. ومع ذلك فإن هناك مصحفاً محفوظاً في المكتبة البريطانية (تحت رقم ٢١٦٥)، وهو مصحف تقصه بعض الأوراق ويقال إنه كتب في القرن الهجري الأول. والسور والأيات الباقية فيه هي على النحو التالي:

الاعراف / ٤٢ - التوبة / ٩٥ (الأوراق ١٤-١١)؛

سورة يونس / ١٠ - الزمر / ٣٩ (الأوراق ١٥-١١٣)؛

سورة غافر / ٤٠ - الزخرف / ٤٣ (الأوراق ١٢١-١١٤).

وهو على هذه الحالة يقع في ١٢١ ورقة، وقد قامت المكتبة البريطانية بطبع الأوراق ٦١ صورة طبق الأصل (Faksimile) في لندن سنة ٢٠٠١م، وذكرت المكتبة في نفس الوقت أنها ستقوم بطباعة الأوراق ٦٢-١٢١^(٢). وعند النظر في الأوراق المطبوعة وغير المطبوعة من هذا المصحف يتبيّن لنا عملية حسابية أنه لا يضم إلا الرابع تقريباً من نص القرآن الكريم.

كما نعلم عدا هذا أن هناك نسخة ناقصة من مصحف قديم محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس (nr. Arabe 328/a) ويعتقد أنه يرجع إلى القرن الأول الهجري، وقام (ف. ديروش) و (س. ن. نوزيدا) بنشرها (انظر: قائمة المصادر). ويمكننا من خلال عملية حسابية لعدد الأوراق المطبوعة من هذا المصحف أيضاً وعدد الأوراق التي وصلتنا منه (٥٦ ورقة فقط) أن نتوقع أنه كان يقع في ٢٢٥ ورقة تقريباً. أما عن مصحف طشقند الذي قال محمد حميد الله إنه «لا تقصه إلا أربعة أوراق» فهو لا يمثل إلا الثالث من نص القرآن الكريم كما سنوضح فيما يلي.

وقد قام الأستاذ محمد حميد الله بعد ذلك بنشر ذلك المصحف [مصحف طشقند] مع مقدمة مقتضبة بالإنجليزية تحت عنوان: «القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان عکوس نسخة سمرقند» (انظر قائمة المصادر).

وكنا قد ذكرنا قبل ذلك أيضاً أن لاسماعيل مخدوم رسالة كتبها حول أن هذا المصحف واحد من مصاحف سيدنا عثمان^{رض} (انظر قائمة المصادر).

وقد قمنا نحن من جانبنا بعمل دراسة لهذا المصحف من أوله إلى آخره، واستطعنا التوصل في النهاية إلى النتائج التالية:

^١ انظر: Muhammed Hamidullah, *İslâm'a Giriş*, s. 36-37.

^٢ Dutton, "Some Notes on the British Library's 'Oldest Qur'an Manuscript' (Or. 2165)", p. 43-44, 65-66.

١- إن المصحف المحفوظ اليوم في متحف الآثار العتيقة بمدينة طشقند كان محفوظاً قبل ذلك في المدرسة المعروفة باسم (آق مدرسه) المجاورة لجدار مسجد (خوجه أحجار السمرقندى) المقام في سمرقند باسم خوجه عبيد الله بن محمود بن شهاب الأحرار (ت ١٤٩٥ هـ / ١٨٩٥ م)^(١). وبعد الاحتلال الروسي لسمرقند في سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) جرى نقله إلى المكتبة العامة في بترسبورغ في ٢٤ أكتوبر ١٨٦٩ م بموافقة السلطات الدينية في سمرقند آنذاك. وقام المستشرق الروسي أ. شبونين A. Shebunin بكتابة مقالة في سنة ١٨٩١ م عَرَفَ فيها بالمصحف؛ وصرّح أنها سوف تنشر من قبل معهد الآثار القديمة (اركيولوجى) في بترسبورغ. ثم قام بعدها مستشرق روسي آخر هو پيسارييف S. Pissarev في سنة ١٩٠٥ م بتمرير القلم على الموضع غير الواضح القراءة في النسخة الأصلية قبل طباعتها طبعة طبق الأصل، وسعى لإيجاد نسخة مقروءة منه. غير أنه وقع - وهو يفعل ذلك - في أخطاء عديدة دون قصد منه^(٢).

وجاء فيما نقله اسماعيل مخدوم أنه جرى أولاً في سنة ١٨٩٥ م نشر صحفة من سورة الأعراف في ألفي نسخة، ووزعت على بلدان العالم الإسلامي. ثم أعقب ذلك طبع سورة ياسين في سنة ١٩٠٥ م بتصحيح قام به إلياس ميرزا القرمي^(٣). وفي نفس السنة جرى عمل طبعة طبق الأصل في خمسين نسخة للمصحف بتمامه عقب الدراسة التي قام بها پيسارييف وذكرناها قبل قليل، وبيع من هذا العدد ٢٥ نسخة مقابل خمسمائة روبلة لكل نسخة^(٤).

وبعد الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧ م اجتمع مجلس الشورى الإسلامي في أوفا (Ufa)، وتقرر من خلاله كتابة خطاب إلى الزعيم لينين طالبو فيه بإعادة ذلك المصحف إلى المسلمين، وتحقق الطلب بتعليمات وأوامر الرعيم الروسي. وبعد أن بقي المصحف مدة في أوفا تم تسليمه بعد إصرار التركمان وأهل طشقند إلى الإدارة الدينية في مدينة طشقند سنة ١٩٢٤ م. أما في سنة ١٩٢٦ م فقد تم نقله إلى متحف الآثار العتيقة في المدينة نفسها.

ب) يتضمن المصحف عدداً من الأخطاء التي يمكن اعتبارها من الوهله الأولى سهواً من الكاتب. ولكن الواضح أن قسماً كبيراً من تلك الأخطاء وقع أثناء التدخل الذي قام به المستشرق پيسارييف قبل الطبعة العينية المطابقة (Faximile)، وفسدت الإملاء الأصلية مع ذلك التدخل. والجدير بالذكر أيضاً أن بعض الأخطاء كانت من سهو الكاتب، أي كانت موجودة من الأصل في المصحف. وتعتقد أن ذكر بعض الأخطاء التي نظن أنها من أصل مصحف طشقند وسردها هنا قد يكون مفيدة للقارئ ليعرف طبيعة ذلك المصحف:

- آية: «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» في سورة آل عمران (٣/٣٧) لا تضم عبارة «إِنَّ اللَّهَ».

- آية: «هَذَا صِرْطُ مُسْتَقِيمٍ» في سورة آل عمران (٣/٥١) لا تضم ضمير الإشارة (هذا).

- آية: «وَيَقُولُونَ هُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا هُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ» في سورة آل عمران (٣/٧٨) تقصصها كتابة عبارة «وَمَا هُوَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ».

^٢ حول الروابط المتعلقة بتاريخ مصحف طشقند قبل مدرسة (آق مدرسه) انظر: اسماعيل مخدوم، تاريخ لاصحاف العثماني في طشقند، ص ٢٢ - ٤١ والمتحدد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٠ - ٥٢، وانظر أيضاً:

Mustafa Altundağ, «İstanbul Topkapı Mührâfi Hz. Osman'a mı aittir?», Marife, s. 68-70

^٤ A. Jeffery- I-Mendelsohn, «The Orthography of The Samarcand Codex», p. 177

^٥ بما أن سورة يس تقصصها من البداية ١١ آية كما سيظهر من تدقين القائمة التالية، وتبدأ تلك السورة بقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) في الآية الثانية عشرة فإن طباعة السورة لا بد أنها جرت بشكلها المأقوف هذا.

^٦ اسماعيل مخدوم، تاريخ لاصحاف العثماني في طشقند، ص ٢٤.

- آية: «وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» في سورة الأنعام (١١٦ / ٦) كتبت بغير الضمير «هم».

وفي اعتقادنا أن نسبة الأخطاء في هذه الأمثلة إلى المستشرق بيساريف ليست صحيحة، فالواضح أن هذه النسخة لم تخضع لمراجعة دقيقة بعد كتابتها، ولم ينظر فيها أحد من علماء القراءات. وهذا أيضاً أمر طبيعي. أضف إلى ذلك أن هذا الوضع إنما يدلنا على أن هذا المصحف ليس واحداً من المصاحف التي دقت فيها الصحابة وحظيت برضاهem ثم جرى إرسالها من قبل سيدنا عثمان بن عفان عليه السلام إلى الأمصار.

ج) - مقاس هذه النسخة: ٦٨×٥٣ سم، وتقع في ٣٥٣ ورقة، وتضم كل صحيفة ١٢ سطراً^(٧).

د) - تنقص النسخة أوراق كثيرة في مواضع متعددة، إذ يبلغ عدد الأوراق الناقصة طبقاً لحساباتنا التقريبية ٤٢٠ ورقة. كما أن مجموعة السور التي تبدأ بالآية الحادية عشرة من سورة الزخرف حتى نهاية القرآن الكريم (حوالي ١٧٠ ورقة) ناقصة. وعلى ذلك يمكننا أن نتوقع أن تمام هذا المصحف إنما هو في ٩٥٠ ورقة تقريباً (١٧٠+٤٢٠+٣٥٣=٩٤٣). ولسوف يظهر بعد تفحص القائمة التالية أن هناك سورتين فقط تامتان هما الأنعام وطه، بينما لا توجد آية واحدة من ٨٩ سورة أغلبها من السور القصيرة وعلى رأسها الفاتحة. أي أنه لا يوجد إلا آيات من ٢٥ سورة فقط، ومن تلك السور ما يضم عدداً كبيراً من الآيات، سور أخرى تضم عدداً قليلاً من الآيات. وبحساب آخر قمنا به على مصحف طشقند فإنه يضم ١٧٢ آية، أي أن القسم المفقود منه نحو ثلثيه. وهذه النسبة تساوي عدد الورق تقريباً. وكان المسؤولون عند زيارتي لطشقند في أكتوبر ١٩٨٥ قد أخبروني أن المصحف قبل نقله إلى برسبورغ عام ١٨٦٩ كان معروضاً لرؤية الزوار في العبرود التي كان موضوعاً فيها تحت رقابة وحماية الأجهزة الدينية الإسلامية، ويدوًى أن بعض الزوار كانوا يقدمون أثناء ذلك على انتزاع ورقة أو أكثر منه، فكانت النتيجة هو هذا الوضع الذي عليه المصحف^(٨).

وما حكاه طه الوالي في هذا الموضوع جد طريف: إذ يقول إن عبد الباري عيسائييف مفتى مسلمي الجزء الأوروبي وسيبيريا من الاتحاد السوفياتي كان قد دعاه ليطلعه على ورقة مصحف يحتفظون بها في الإداره الدينية أثناء وجوده في أوفا. وهذه الورقة كانت محفوظة داخل علبة قيمة مكسوة من الخارج بكسوة خضراء، وكان يجري فتح تلك العلبة في المناسبات المهمة والليالي الدينية وعند زيارة إحدى الشخصيات البارزة للإداره الدينية ليطلع الزائر على الورقة تبركاً بها. وكان المسلمون في أوفا يعتقدون أنه في حالة حرمان المدينة التي يعيشون فيها من شيء عظيم كهذا قد يعرض المدينة لنكبة كبيرة وضيق عظيم، فتم سراً انتزاع تلك الورقة من هذا المصحف المعروف بمصحف طشقند قبل نقله من أوفا إلى طشقند، وتقرر أن تحفظ تلك الورقة في الإداره الدينية^(٩).

وبعد كل هذا يمكننا القول: إنه لا يوجد هناك مصحف يُعرف باسم مصحف طشقند، بل إن الموجود هو عدد من الأوراق من مصحف طشقند.

٧ نفس المصدر والموضع. وهي المساحة الفوتografية التي جئنا بها من ملشتند في أكتوبر سنة ١٩٨٥، ثم أهديناها بعد ذلك إلى مكتبة السايسيانية، وهي بالمقابل الذي عملناه لها ٤٥ × ٥٦ سم، ويوجد على العلاف عبارة تقول:
هذا المصحف العثماني الكوفي نسخة فوتografية عن الأصل المحفوظ في المتحف التاريخي في طشقند أخذت بإشراف الإداره الدينية لمسلمي آسيا الوسطى
وقد أخذت في ١٣٩٤ طشقند ١٩٧٤.

٨ المعلومات التي قدمها اسماعيل مخدوم أيضاً تؤيد هذا (انظر: المصدر السابق، ص ٣١، ٢٩، ٢٤).

٩ طه الوالي، القرآن الكريم في بلاد الروسيا، مجلة المورد، ٩، ٤، ص ٣٥.

وهاهي قائمة السور والآيات الموجودة من مصحف طشقند:

اسم السورة	رقمها والأيات الموجودة منها ^{١٠٠}
الفااتحة	(١) لا يوجد (- سبع آيات)
البقرة	(٢) ٥ - ١٧٩، ١٧٧، ١٨٦ - ١٨٣، ٢١٧ - ٢١٣، ٢٢١، ٢٣١ - ٢٣٣، ٢٥٦ - ٢٤٣، ٢٧٣ - ٢٧٢، ٢٨٢ - ٢٨٦.
آل عمران	(٣) ٣٦ - ٣٦، ٤٢ - ٤٧، ٩٢ - ٩٧، ٧٢، ٤٣ - ٣٣، ٢٩ - ١، ٧٧ - ٨١، ٧٧ - ٩٠ - ١٤٥ - ٩٢، ٩٠ - ٢٠٠ - ١٤٤، ١٤٨ - ١٠٥، ١٠٢ - ٩٧.
النساء	(٤) ٤٤ - ٤٤ آية.
المائدة	(٥) ٨٥ - ١٢٠ - ١٢٠ آية.
الأنعام	(٦) ١٦٥ - ١٦٥ آية.
الأعراف	(٧) ١٠٣ - ١٠٣ آية.
الأنفال	(٨) لا يوجد (- ٧٥ آية).
التوبية	(٩) لا يوجد (- ١٢٩ آية).
يونس	(١٠) لا يوجد (- ١٠٩ آيات).
هود	(١١) ٤٧ - ٤٧ آية.
يوسف	(١٢) ٢٣ - ٢٣ آيات.
الرعد	(١٣) لا يوجد (- ٤٣ آية).
ابراهيم	(١٤) ٣٩ - ٣٩ آية.
الحجر	(١٥) ٨٦ - ٧ آية.
التحل	(١٦) ٧ - ١١٨ - ١١٨ - ١١٤، ١٠١ - ٧ آية.
الإسراء	(١٧) ١ - ٥٦، ٤٨ - ١١١ آيات.
الكهف	(١٨) ١ - ٨٢، ٧٧ - ١٠٥ آيات.
مريم	(١٩) ٣ - ٤٤ - ٥٢، ٩٨ - ٩٨ آيات.
طه	(٢٠) ١ - ١٥٣ - ١٥٣ آية.
الأنبياء	(٢١) لا يوجد (- ١١٢ آية).
الحج	(٢٢) لا يوجد (- ٧٨ آية).
المؤمنون	(٢٣) لا يوجد (- ١١٨ آية).
الثور	(٢٤) لا يوجد (- ٦٤ آية).
الفرقان	(٢٥) لا يوجد (- ٧٧ آية).
الشعراء	(٢٦) ٢٣ - ٢٣ آيات.
النمل	(٢٧) ١ - ٢٨، ٢٢ - ٤٤، ٣٤ - ٢٨، ٢٢ - ٨٠ آيات.
القصاص	(٢٨) لا يوجد (- ٨٨ آية).
العنكبوت	(٢٩) لا يوجد (- ٦٩ آية).
الروم	(٣٠) لا يوجد (- ٦٠ آية).
لقمان	(٣١) لا يوجد (- ٣٤ آية).
السجدة	(٣٢) لا يوجد (- ٣٠ آية).
الأحزاب	(٣٣) لا يوجد (- ٧٣ آية).
سيا	(٣٤) لا يوجد (- ٥٤ آية).
فاطر	(٣٥) لا يوجد (- ٤٥ آية).
بس	(٣٦) ١٢ - ٨٣ - ٨٣ آية.
الصافات	(٣٧) ٩١ - ٧٥، ١ - ١٨٢ آيات.
ص	(٣٨) ٤٩ - ٤٩ آية.
الزمر	(٣٩) ٦ - ٨ آية.

^{١٠} الأرقام المذكره باتفاق تناقض، بين قويمين () تدل على عدد الآيات الناقصة. وعلى هذا يكفي القول بمثابات سوره القراءة تتقسم إلى ٧٤ آية، وسورة آل عمران تتضمنها ٦٤ آية.

– غافر	(٤٠-٤١، ٥٧-٥٨، ٦٧، ٥٧-٥٩-٥١) آية.
– نصوات	(٤١-٣٩-٥٠) آية.
– الشورى	(٤٢-٢١-٥٣) آية.
– الزخرف	(٤٣-١١-٧٨) آية.
– الدخان – الناس	(٤٤-١١٤) لا يوجد آية.

ولا يفوتنا أيضاً وتحن نظر في هذه القائمة أن هناك نقصاً في كثير من الآيات المذكورة في بداية الترقيم وفي نهايته ضمن الآيات التي قلنا إنها موجودة في السور، وعلى سبيل المثال فقد ذُكر أن الموجود من سورة البقرة هو الآيات (٥-١٧٧)، ومع ذلك فإن صدر الآية الخامسة أو ربما القسم الأكبر منها قد يكون ناقصاً، وكذلك الآية (١٧٧) ينقصها جزء مهم.

هـ) النسخة مكتوبة على الرق بالخط الكوفي، وليس عليها علامات التشكيل، ومع ذلك يبدو أن هناك نقاطاً وضعت وإن كانت بصورة قليلة جداً على بعض الأحرف للتفریق بين المتشابه منها^(١١).

و) الكلمات التي جاءت في أواخر السطور جرى تقطيعها في كثير من المواقع، فرأينا حرفآ منها أو أكثر في انتقال السطور التالية. وعلى سبيل المثال فإن كلمة (عذاب) في سورة الأعراف (٧/٦٤) وقع مجدها في

ز) كان المستشرق الروسي أ. شبونين هو أول من درس مصحف طشقند ونشر دراساته عنه، ويرى أن هذه النسخة ليست من مصاحف سيدنا عثمان^ع؛ ولعلها كتبت في أواخر القرن الهجري الأول أو في أوائل القرن الثاني. أما الكاتبان أ. جيفرى وإي مندلسون فقد نقلوا عن شبونين رأيه هذا، ثم ذهبا إلى أن النسخة قد تكون كتبت في أوائل القرن الهجري الثالث في الكوفة، وذلك لما تحويه من بعض الخصائص الإملائية^(١٤).

٢- إن النسخة التي نحن بصددها ونسعى لشرح تفاصيلها بعد قليل ليست من مصاحف سيدنا عثمان^ع، ومع ذلك فقد يكون من المفيد في اعتقادنا أن نبحث عن إجابة لسؤال حول أي من تلك المصاحف جرى استنساخها، أو أي من المصاحف المستنسخة من تلك المصاحف جرى استنساخها. فعلى الرغم من أنه يكون من الطبيعي وجود فوارق إملائية عديدة بين نسخ المصحف إلا أنه يصعب قول ذلك عن الفروق المتعلقة بنية الكلمة وتلفظها، وعدد هذه الفروق محدود كما سبق وذكرنا في موضع سابقة، إذ تزيد قليلاً عن الأربعين. وبالنظر إلى تلك الفروق بين مصاحف سيدنا عثمان^ع يمكننا أن نذكر بعض الأمور التقريبية حول نسب مصحف طشقند. إذ يمكننا - من خلال الدراسة التي قمنا بها حول الفروق الموجودة بين مصاحف سيدنا عثمان^ع سواء أكان من ناحية بنية الكلمة أم كان من ناحية زيادة الأحرف أو الكلمات أو نقصهما - القول إن مصحف طشقند يقرب من النسخة التي أرسلها عثمان إلى الكوفة، وقد يكون مستنسخاً منها أو من نسخة مستنسخة منها. ورغم أن هذا المصحف ليس تماماً فإنه يمكن العثور في الأوراق الموجودة منه اليوم في أيدينا على ستة عشر موضعًا من ٤٤ موضعًا التي قمنا بتدقيقها من ناحية الفروق المشار إليها. وعدا واحد من تلك المواقع الستة عشر فإن مصحف طشقند يتطابق تماماً مع مصحف الكوفة في الخمسة عشر موضعًا المختلفة^(١٥).

٣- هناك من ادعى أن مصحف طشقند واحد من مصاحف سيدنا عثمان^ع، بل إنه المصحف الذي كان يتلو فيه القرآن عندما استشهد. وكان اسماعيل مخدوم نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقراخستان قد كتب رسالة في هذا الموضوع سماها «تاريخ المصحف العثماني في طشقند» (انظر قائمة المصادر)، كما قام محمد حميد الله بنشر ذلك المصحف مع مقدمة قصيرة بالإنجليزية وتحت عنوان «القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه». وذهب بعض العلماء مذهبًا معاكساً ومنهم شهاب الدين المرجاني (ت ١٨٨٩) وموسى جار الله (ت ١٩٥٢)، ومع ذلك فإن الحجج التي ساقوها في مواجهة الأحكام المسبقة التي استقرت في أذهان المسلمين وسيطرت على عواطفهم بأن تلك النسخة هي نسخة سيدنا عثمان بن عفان^ع لم تكن كافية لتغيير شيء من ذلك، فكانت تلك هي القناعة العامة، واستمر الناس في القول بأن النسخة هي نسخة سيدنا عثمان^ع. ونأمل مع تناولنا للموضوع هنا والتعرض لخصائصه الإملائية والأمثلة التي سنعرضها أن تؤدي إلى تصحيح الخطأ، وذلك على التحول التالي، ففي مصحف طشقند نرى:

^{١٤} A. Jeffery- I-Mendelsohn, «The Orthography of The Samarcand Codex», p. 95.

وأنظر أيضًا: مله الولي، القرآن الكريم في بلاد الروسيا، مجلد المورد ٤/٩، ص ٢٩.

^{١٥} هذا الموضع المختلف موجود في الآية الثالثة من سورة الأعراف، والكلمة التي هي مكتوبة على شكل (يتذكرون) في مصحف الكوفة وفي المصاحف الأخرى عدا مصحف الشام على حد سواء قد وردت في مصحف طشقند على شكل (يتذكرون) (انظر: النداني، المتنع، ص ١٠٣ وابن الجوزي، اللشري، ص ٢٦٧/٢)، واتفق هنا مع مصحف الشام. وفي مقابل خلافه في هذا الموضع فقط مع مصحف الكوفة فإن مصحف طشقند يختلف بأوراقه الموجودة مع مصحف المدينة في تسعة مواضع، ومع مصحف مكة في سبعة مواضع، ومع مصحف البصرة في ثلاثة مواضع، ومع مصحف الشام في أربعة عشر مواضع، وذلك كما سيظهر من المدخل الملحق بنتهاية هذه الدراسة.

أ) أن حرف الجر (على) قد كتب بالباء بشكل عام، وإن كان يرد أحياناً بالألف وعلى شكل (علا)^(١٦). وهذه الحالة تدلنا على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي موحد، وثبت لنا أنه ليس من مصاحف سيدنا عثمان رض. فقد كُتب حرف الجر هذا في تلك المصاحف بالباء دائمًا^(١٧).

ب) كلمة (شيء) تأتي في الغالب بهذا الشكل، لكنها جاءت في سور وآيات موجودة في آيديننا اليوم من ذلك المصحف على شكل (شاي) في أحد عشر موضعًا^(١٨). وهذا المثال يدل هو الآخر على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي موحد، وأنه ليس من مصاحف سيدنا عثمان^(١٩). فقد كتب هذه الكلمة في الرسم العثماني في موضع واحد فقط بالألف (سورة الكهف / ٢٣ / ١٨)، بينما كتبت بغير الألف في المواضع الأخرى^(٢٠).

ج) كتب لفظ (حتى) في مصاحف عثمان على هذا الشكل بالياء^(٢٠)، أما في هذا المصحف فقد ورد بالألف في عدة مواضع على شكل (حتا)^(٢١).

د) يبدو أن المصحف - وكما سلف عند الحديث عن أخطاء الكاتب - لم يخضع لمراجعة دقيقة عقب كتابته، ولم يستخدمه أحد من علماء القراءات. فالمعروف أن تلاوة أئمة القراءات المشهورين كانت تعتمد بالدرجة الأولى على واحد من مصاحف عثمان. كما لا يمكننا القول عند النظر إلى الأمثلة الواردة على الأخطاء المشار إليها إن أيّاً من الشيوخ القراء قد اعتمد على إملائه.

هـ) النظام الإملائي الموحد معادوم تقريرياً، ويبدو أن كاتبه لم يمارس الكتابة من قبل. فالكلمة قد ترد في آية بشكلٍ، ثم ترد في آيةٍ تاليةٍ بشكلٍ آخر، والأمثلة على ذلك عديدة. والألفاظ التي ذكرناها سالفاً (على - علا، شيء - شاي، حتى - هنا) تصادفنا كثيراً بشكليين مختلفين، وهناك كلمات مشابهة تعرضت لنفس التغيير.

و) لقد وضعت إشارات التوفيق في نهاية الآيات وإشارات التعشير عند نهاية كل عشر آيات، أما فواصل السور فقد جاءت في أشكال مستطيلة بطول سطر تام أو نصف سطر. ويبدو من الفراغات المخصصة لهذه الإشارات والأشكال أنها لم توضع بعد عملية الكتابة وإنما وضعت أثناءها. وتدلنا المعلومات الموجودة في كافة المصادر المعنية بهذا الموضوع أن مصاحف عثمان لم تكن تحتوي على شيء من تلك الإشارات.

والخلاصة أن مصحف طشقند ليس هو المصحف الإمام الذي كان الخليفة عثمان بن عفان يتلو فيه القرآن عندما استشهد، كما أنه ليس واحداً من المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار (مكة والكوفة والبصرة والشام ومن المحتمل البحرين واليمن)، ولا هو المصحف الذي تركه في المدينة المنورة لكي يستخدمه أهلها.

^{١٦} انظر: علي سهل للثال: سورة آل عمران / ٢، ١٦٠، ١٧٩ وسورة النساء / ٤، ٨٥، ١٧ وسورة الكهف / ١٨، ١٥.

^{١٧} انظر: مهدوي، هجاء مصايف الامصار، ص ٨٩ والداني، المقنع، ص ٦٥ وأبو داود، مختصر التبيين، ٢/ ٧٥ وابن وثيق، الجامع، ٥٧ - ٥٨.

^{٤٨} تلك الموضع هي: سورة النساء /٤، وسورة الأنسام /٦، وسورة هود /١١، وسورة العصر /١٥، وسورة التحريم /٢١، وسورة السجدة /٢٣، وسورة الكهف /٢٩، وسورة طه /٢٠.

^{١٩} انظر: مهلوبي، هجاء مصاحف الامصار، ص ٩٧ والذابي، المقطوع، ص ٤٢ ولين وثبة، الجامع، ص ٥٤.

^{٤٠} انظر : الدان ، المقص ، ص ٦٢ و آن داود ، مختصر ، النسخة ٢ / ٧٧ وهي وقت الماجستير ، ١٩٨٥.

^{٤١} تلك المراضع هي: سورة النساء /١٥، سورة الأعراف /٧، سورة الأسراء /٣٤، سورة الكهف /١٨، سورة الكهف /١٧، سورة الإسراء /٩٣، سورة الحج /٦٠، سورة الشورى /٢٦، سورة العنكبوت /٢٧، سورة النحل /٢٨، سورة العنكبوت /٣٦، سورة العنكبوت /٣٩، سورة ذمarta، سورة العنكبوت /٤١.

ثانياً: مصحف طوب قاپى

إن ما نعلمه عن مصحف طويقابى يقل كثيراً عما نعلمه عن مصحف طشقند. فهناك عدد من الكتاب كتبوا كتاباً ومقالات حول هذا المصحف، وناقشو مسألة هل هو واحد من مصاحف عثمان أم لا، وذكروا روايات مختلفة أثناء ذلك حول التاريخ الذي أتى فيه إلى طشقند ومن أين أتى، وقام عالمان بنشره (هم: س. پيساريف ومحمد حميد الله) على الرغم من ضياع ثلثي أوراقه. والخلاصة أن مصحف طشقند لم يزل موضوعاً لبحث العلماء منذ مدة تقرب من مائة وخمسين عاماً. أما مصحف طويقابى فإن المعلومات التي قدمها كل من تعرض له في كتاب أو مقالة لا تتعدي عدة سطور، وباستثناء مقالة كتبت في الماضي القريب جداً^{٤٤} لم يخرج علينا رأي جاد يعتمد على دراسة تحرى المزاعم القائلة بأنه مصحف عثمان الخاص أو أحد المصاحف التي استكتبها.

وقد جربنا العمل في البداية على النسخة المصورة (فوتوكتوبي) التي أعددناها عن ميكروفيلم محفوظ في مكتبة السليمانية لهذا المصحف الذي طالما عنينا به منذ زمن. لأن النسخة نفسها قد تأثرت من الظروف المناخية والجوية المختلفة على مدى القرون، وأصابها الكثير من الضرر، حتى تعثرت قراءة العديد من صفحاتها، بل إن هناك مواضع لا يمكن قراءتها فقط في بعض الصفحات. وهذه الحالة تبرهن على ضرورة الحاجة إلى تقنيات تصوير متقدمة، فإذا حدث وتحقق ذلك فإنه يمكن عندئذ طباعة نسخة طبق الأصل من المصحف.

وقد بدأ العمل بموجب بروتوكول وقعنا عليه في ١١/٢/٢٠٠٢ مع السيدة / فيليز چاغمان مديرية متحف طويقابى سراي. وفي إطار الموافقة الخاصة التي منحنا إياها وزير الثقافة في ذلك الوقت السيد / استميخان طالاي، فقد جرى أولاً تصوير النسخة بكاميرا رقمية، ثم قمنا بعدها بنقل النسخة إلى الكمبيوتر بإملائها الأصلية، وفي الكلمات والأيات التي تعثرت قراءتها رغم التكبير والإضاءة للصفحات وما قدمته لنا الإمكانيات التقنية الحديثة، فقد تم وضع نقطة بدل كل حرف في تلك الكلمات والأيات.

وظهر لنا في نهاية العمل الذي قمنا به على النسخة أن:

١/١) هناك قبل الورقة الأولى من المصحف مقالة بالعثمانية للتعریف به. وتتلن المعلومات الواردة في تلك المقالة المكتوبة في ٢٠ جمادى الأولى ١٢٢٦هـ (١٨١١ م) أن المصحف:
— قد تمت كتابته على يدي سيدنا عثمان نفسه.

— كان محفوظاً في القاهرة منذ زمن طويل.

— قام محمد علي باشا والي مصر بإرساله هدية إلى السلطان محمود الثاني (ت ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩ م) في عام ١٢٢٦هـ (١٨١١ م)، واستقر الرأي على حفظه في دائرة البردة الشريفة بردة النبي محمد ﷺ داخل سراي طويقابى.

ولا تحتوي مقالة التعريف المشار إليها معلومات حول التاريخ الذي جاء فيه المصحف إلى القاهرة، ومن أي

^{٤٤} كاتب المقالة المستشارة هنا هو الدكتور مصطفى التون داغ عضو هيئة التدريس في كلية الآلهيات بجامعة مرمرة باسطنبول. وكنا ونحن نحاول الوصول إلى نص أكثر وضوحاً باللة التصوير الرقمية، ونسعى لقراءة المصحف، بكل منه ونقله إلى الكمبيوتر خلال مسيرة عمل بطيئة نتيجة للمسؤوليات المتعددة التي توليناها اعتباراً من نفس تلك الأيام بوجه خاص كان هذا الباحث الشاب قد قام بدراسة سريعة على النسخة المصورة (فوتوكتوبي) التي تركناها أهلةً لدى مكتبة مركز البحث الإسلامية التابع لوقف الدينار التركي، واستطاع بالمقالة التي حررها أن يضع أول بحث جاد في هذا الموضوع (انظر: دالة المقادير).

مكان وصلها. وعلى الرغم من عدم وجود مانع يمنعنا من القبول بصدق المعلومة القائلة بأن محمد علي باشا هو الذي أرسله إلى استانبول فإننا لا نقبل بأنه النسخة التي كتبها سيدنا عثمان بن عفان. وبصرف النظر عن مسألة الصحة في المعلومات الواردة في المصادر حول أن عثمان بن عفان لم يكتب أياً من المصاحف فإن هذه النسخة - وكما سيظهر فيما بعد - ليست المصحف الإمام الخاص بعثمان بن عفان، كما أنها ليست أيضاً واحداً من المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار المختلفة.

وكان المصحف كما ذكرنا محفوظاً في دائرة البردة الشريفة داخل سراي طويقابي، ويُعرض في شهر رمضان من كل عام لمشاهدة الزوار حتى تم إرساله إلى مكتبة السليمانية في ١٩٨٤/٤/١٩ كي يجري ترميمه هناك، فلما انتهت أعمال الترميم والإصلاح أعيد إلى إدارة متحف سراي طويقابي في ١٩٨٧/١١/٩م، ولا يزال محفوظاً هناك حتى الوقت الراهن (تحت رقم ٤٤/٣٢).

ولما قرأتنا في المضبوطة الخاصة بترميم وإصلاح المصحف أنه استغرق ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وعشرين يوماً تبادر إلى الذهن سؤال عن طول المدة التي استغرقتها ذلك العمل، ثم تبين بعد قراءة التقرير الذي أعده المسؤولون في هذا الموضوع أن الاهتمام الذي حظي به المصحف والجهد الذي بذل فيه يفوقان كل تقدير. وقد رأينا من الفائدة للقراء أن ندرج هنا هذه المضبوطة وذلك التقرير لما لها من قيمة وأهمية تاريخية بدلاً من بقائهما بين الأضابير حتى يطلعوا عليهما آخذين في الاعتبار أيضاً أهميتهما في التعريف بنسخة المصحف. وهذا

ـ هما المضبوطة والتقرير:

ـ «مضبوطة»

إن المصحف الذي جرى تسليمه لأجل الترميم في تاريخ ١٩٨٤/٤/١٩ والعديد في متحف سراي طويقابي برقم ٤٤/٢٢ والمجلد بجلد غزال والمنسوب لعثمان بن عفان وأضيفت إلى نهاية ثلث أوراق من مقاسات مختلفة فيها آيات من القرآن الكريم قد تم ترميمه وإصلاحه في قسم التجليد والباتولوجيا في مكتبة السليمانية. والأوراق الثلاث المضافة إلى نهاية وهي ليست منه قد تم إخراجها وترميمها ولم تُرِبَ بالمحمل حتى تحفظ متضمنة عنه. أما الآيات التي ورد في المضبوطة المؤرخة في ١٩٨٤/٤/١٩م أنها ناقصة فقد تم استبدالها بأوراق فارغة. وقيل في قائمة الرصد أن المصحف يقع في ٤١٠ ورقات، ولكن تبين بعد الترميم الصحيح أنه يقع في ٤٠٨ ورقات، كذلك فإن الأوراق التي جرى تجليدها بالخطأ قد وضعت في ترتيبها، وأعيد ترميمها من جديد، ثم تُسجّل بعد ذلك حركة كعبه. وقد تم تسليم المصحف بعد تجليده إلى العاملين في إدارة متحف سراي طويقابي، وتم من جانبنا تنظيم هذه المضبوطة والتوجيه عليها، في ١٩٨٧/١٠/٩.

تسليم

تسليم

فيليپ چاغمان
مدير مكتبة متحف طويقابي سراي
(توقيع)

إسلام سجن
أمين مكتبة - خبير أول
(توقيع)

كامل آي يلدوز
مسؤول الرصد في متحف طويقابي سراي
(توقيع)

سعادت غازي
مهندسة كيميائية - مسؤولة
قسم الجلد والباتولوجيا
(توقيع)

١) تقرير

كان قد تم تسلم المصحف الشريف رقم ٤٤ / ٣٢ في قائمة رصيد متحف سراي طوبقابي بتاريخ ١٩٨٤ / ٤ / ١٩، ثم للقيام بعملية ترميمه وإصلاحه. وبعد الفحص الذي قام به لجنة متخصصة والمقارنة مع نسخ أخرى من المصاحف تم عمل الصالحات اللازمة (المضبطة المرفقة). وكانت الحالة التي وُجدَ عليها المصحف قبل عملية الترميم والإصلاح على النحو التالي: ١) وجود نقص كبير في الأجزاء الموجودة في بداية المصحف وبنهايته، ولوحظ أن تلك الأجزاء جرى ترميمها بالورق بشكل يضر بعض الم واضح. ٢) - يلاحظ أن الصفحتين الأولى والأخيرة من المصحف قد تم لاصقتهما على جلد غليظ جداً وليس مصعاً. ولأن هذه العملية جرت دون التفكير في اتجاه الأنسجة والالياف فقد أدت مع الرطوبة ومرور الوقت إلى حدوث تجاعيد واثنيات. ٣) - أضيف إلى المصحف من كافة حواشيه وجواتبه تقريباً قطع من الورق؛ ولأن اتجاهها ليس مع اتجاه ورق المصحف فقد حدث مع الوقت نوع من التجدد volant. ٤) - نتيجة لفتح الصفحات بعرض القراءة (مواقع لمس الأصابع) أو الغبار المتراكם على الصفحات المفتوحة لمدة طويلة يقصد العرض فقد امترز الغبار مع الرطوبة في الجو وشكل طبقة فوق الورق. ٥) - مع فتح صفحات المصحف وغلقها دون عناية تكونت تجاعيد في بعض الصفحات، والتلوى بعضها. ٦) - نتيجة للفحص الذي جرى للجبر ظهر أن القسم الأكبر منه حمضياً وأزدادت بسبب هذه المادة قاتمة اللون على الخط ووُقعت التشوهات والتجاعيد والخروقات، وهذه الأجزاء تم ترميمها بقطع من الورق من مقاسات مختلفة؛ ولكن الرواند الساقطة من هنا أدت إلى تراكمات سوداء في الأجزاء القرمية من كعب الكتاب وتشكلت طبقة غير نظيفة. ٧) - كان الجبر سالاً في بعض الصفحات وفي النقاط الحمراء ويمكن ذوياته في الماء. ٨) - الغلاف جلد من اللون الأحمر (بوردو) وفي وسطه شمسة برتغاف ذهبية، ولسان دفة العالaf اليسري متزوج بجزئيه، والكل مغلف بقماش حريري أحمر.

وبعد إثبات الحالة التي كان عليها المصحف قبل الترميم تم الانتقال إلى عمليات الإصلاح والترميم المزعزع تقديرها ذجري: ١) - التتحقق أولًا من أنواع الورق والنشأة المستخدمة في الرق القديمة على الصفحات، وتم البحث في كيفية نزعها دون الإضرار بالمصحف. ولم تكن هناك إمكانية لاستخدام الماء نظراً لأن الكتاب من الورق. وعلى ذلك وبواسطة النشاء الذي يستخدمه في الترميم وعملت قبل ذلك فحوص كيميائية وبيولوجية عنه وثبت عدم وجود أضرار جانبية له تم الانتقال إلى عملية نزع الرق واحدة وفضلاً النساء القديمة اللاصقة تحتها. وقد استغرقت تلك العملية في بعض الصفحات مدة تقارب من خمسة عشر يوماً. ٢) - وبعد إزالة ما على تلك الصفحات من الورق وفضلاً الشاء وضعت تحت العناية، إذ تم تنظيف ما عليها من أوساخ وبقع وتركمات بالقرب من كعب الكتاب وحواشيه وتست إزالتها بالنشاء والسكنين واحدة بعد أخرى. ٣) - وبعد كل ذلك تمت عملية التنقية من الميكروبات. أما الأجراء المعجلة المتكسرة في الورق فقد تم استخدام الكحول الأليلي لها وجرت تسويتها بواسطة الواح الرخام، حتى تحولت إلى النقاقة والاستواء. ٤) - بعد انتهاء عملية التنقية والصلبة تم نقل الأوراق إلى قسم الترميم، وكانت البداية أن القطع المقطوعة والممزوجة هنا وهناك من الأجزاء التي زالت تماماً مواقع الكتابة فيها بسبب الجبر الحمضي قد جرى لصقها بورق ياباني بنفس اللون والسمك ومن مادة السيلولوز مائة في المائة، ثم وضع النشاء عليها بحيث لا يختلط بالأطراف، ورمت بطبقة ثانية من الورق الياباني. والموضع التي وضع عليها النشاء من تلك الصفحات المجهفة في المسكس قد تم تنظيف الرواند على أطرافها وأغلقت القراءات كلها. ويتميز الورق الياباني بأنه شديد التحمل ويكون انطباقه مع الكتاب أمراً يثير اهتماماً يسبب طول الألياف فيه. ٥) - وتم الانتقال بعد ذلك إلى عملية إصلاح الجلد بالجلد. فكانت البداية أن أخذت ملزمة سلية بمقاسات أصلية وجرى قياسها على ورق مقوى من الخارج إلى الداخل، ثم جرى ترميمها. وبالترتيب تم التتحقق من بعد المسافة بين بدايات ونهايات الكتابة وبين الحواشى والكتب. وعلى هذا النحو تحقق وضع الأجزاء الناقصة حتى أصبحت كتابات الصحفتين المتقابلتين متحادثتين وصارت الأجزاء الفارغة من الأطراف أيضاً متساوية. أما قطع الجلد الجديدة التي جرى قبل ذلك تحديد وجهها وظهورها واتجاهها فقد تم وضعها تحت الصفحات الأصلية وتم تحديد الأجزاء الناقصة وتعبيتها بالقلم الرصاص. وجرى ترقيق الجلوف ولصق الجلوف والتبييف فوق بعضها بعضاً بطريقة الترقيق. ٦) - وعلى هذا النحو تم وضع الصفحات في ملازم بعد اكتمالها. وأخيراً تم عمل عجينة من الورق والنشاء لسد الثقوب الصغيرة الموجودة في الصفحات. ٧) - وبعد تحويل المصحف إلى ملازم جرت عملية الخياطة بخيط يتناسب ونوع وزن المصحف ثم سُجّلت حبكة ذيل الكعب، وتم تغليظ الغلاف الأصلي بحيث يمكنه حمل هذا الشكل، وإصلاح الجلد باستخدام قطع من نفس اللون والسمك، وأصلاح لسان دفة الغلاف الأيسر حتى اكتمل التجليد.

المواد المستخدمة: ٢٠ جلد غزال، ٢٥٠ فرغ ورق ياباني من نوع L٣A، و ٥٠ فرغ ورق ياباني برقم ٢٥٥٠٢، و ٤ علب من مادة غلونولين كلومستر (سيلولوز متيل)، و ٥ اترات كحول أليلي.

القائمون على الترميم والإصلاح:

المهندسة الكيميائية	الباحثون	الباحثون	المهندسون على الترميم والإصلاح:
سعادت غازي (توقيع)	بيلجي كونغورو (توقيع)	مكولخان دانقى (توقيع)	

الخطابة ونسخ الحبكة والتجليد: خبير أول قسم التجليد / إسلام سجن (توقيع)

- ب) - هناك في المصحف بعض الأخطاء التي يمكن اعتبارها سهوًّا من الكاتب.
- وهناك كلمة (كلوا) في سورة البقرة (٢ / ٥٧)، فقد جاءت في نهاية الورقة (٥a)، ومع ذلك تكرر ورودها في أول الورقة التالية (٥b) كأول كلمة فيها.
- كلمة (إذا) في سورة الأنعام (٦ / ١٥٢) جاءت على شكل (إذ).
- كلمة (ولا) في سورة الأعراف (٧ / ١٩٢) جاءت على شكل (وولا).
- قوله (إنِي أَخَافُ) في سورة الأనفال (٨ / ٤٨) جاء على شكل (إنِي أَخَافُ) بـألف زائدة.
- وكلمة (صَدِيدٌ) في سورة إبراهيم (١٤ / ١٦) وردت على شكل (صدد).
- في قوله (أَوْلَا الْأَلْبَابِ) في سورة الزمر (٣٩ / ١٨) سقطت اللام ألف الثانية.
- في سورة فصلت (٤١ / ١٩) نسي حرف الالف في نهاية الكلمة (اعدا).
- وقوله (يَا ولِي) في سورة الحشر (٥٩ / ٢، ١٢) جاء على شكل (يـالـأـولـيـ)، وقوله (لـأـنـتـمـ) جاء على شكل (لـأـنـتـمـ).

ج) - المصحف بمقاس ٤٦×٤١ (٤٠×٣٢) سم، وسمكه ١١ سم، ويقع في ٤٠٨ ورقات، وبشكل عام تضم كل صفحية ١٨ سطراً، إلا الأوراق الأولى التي تبين أنها كتبت في وقت لاحق يتفاوت عدد سطورها بين ١٦ - ١٩ سطراً (انظر الأوراق: 1b, 2 ab, 4 ab, 6b, 11b)، وعندما نصل إلى قصار سور نرى أعداد السطور تتراوح بين ١٣ - ١٧ سطراً. ولكن بسبب الأشكال المستطيلة التي تفصل سور بعضها عن بعض فإن عدد الأسطر في هذه الصفحات أيضاً يبلغ ١٧ سطراً بوجه عام (انظر على سبيل المثال: b, 159b, 137a, 146b, 128a). ولكن سورتين اللتين صادف وجودهما في الورقتين المذكورتين اللتين استكملتا في وقت لاحق لهما استثناء من ذلك؛ إذ يبدو - بالقدر الذي يمكن قراءته منها - أن أول سورة الفاتحة تتصدره عبارة أن السورة مكية، وفي السورة الثانية عبارة عدد الآيات وأن السورة مدنية، وذلك مكتوب بالمداد الأحمر. وكما جاء في المضبط والتقدير السابقين فإن النسخة تنقصها ورقتان، إحداهما تضم الآيات ٣ - ٨ من سورة المائدة (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم... كونوا قوامين)، وتضم الثانية الآيات ١٧ - ٣٣ من سورة الإسراء (خبرياً بصيراً... تقتلوا النفس التي حرّم الله). ولعل هذا النقص ناجم عن الأعمال التي جرت أثناء عمليات الصيانة والترميم والإصلاح المختلفة وتجديد التجليد على مدى الأيام^{٤٣}. والواضح مما توصلنا إليه أن مصحف طوب قابي يمكن اعتباره نسخة تامة قياساً على بعض المصاحف التي تنقصها أوراق عديدة. ولكن يجدر بنا الإشارة إلى أن آخر عملية للصيانة والترميم قد جرت قبل ١٨ سنة، ومع ذلك فإن هناك أوراقاً عديدة تصعب قراءتها أو تستحيل تماماً بسبب الظروف المناخية وغيرها من العوامل التي تعرض لها المصحف على مدى العصور، فقد رأينا مواضع

^{٤٣} يقول فيهمي قراطاي إن المصحف يقع في ٣٤١٠ ورقات، وإن الأوراق الثلاث الأخيرة منه تضم آيات من سورة البجم والأنبياء والأنفال (Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Kataloğu, I, no: 1.). تاريخ (٤ / ١٩٨٤). بهذه الأوراق - كما يظهر من التقرير المتعلق بالصيانة والترميم - قد جرى تزويدها أثناء ذلك. كما ورد في نفس التقرير أن الرقم ٤١٠ ليس رقاً صحيحاً، وأنه جرى من جديد ترميم أوراق السجدة، مع وضع أوراق فارغة بدلاً من الأوراق الناقصة ولم توضع في الحسين أثناء الترميم. وفي هذه الحالة يكون المصحف وافعاً في ٤٠٨ ورقات وليس ٤١٠ ورقات.

أفسد فيها الحبر في صفحهٍ ما يقابلها من كتابة في الصفحة المقابلة بسبب عوامل الرطوبة، وظهرت التقوب هنا وهناك^(٢٤).

د) كُتِبَت النسخة بالخط الكوفي على الرق، ويلاحظ أن الأوراق الست الأولى (١-٦) وكذلك الورقة الحادية عشرة قام بكتابتها كاتب آخر. ولعل تُسخَّنَها الأصلية قد تعرضت لضرر أو فقدت، وتوقع الأستاذ الدكتور محي الدين سرين لها بعد أن قام بدراسته عليها أن يكون استكمالها قد جرى على مدى نصف قرن تقريباً (انظر فيما يلي).

هـ) ونلاحظ في هذا المصحف أيضاً - مثلما هو الحال في مصحف طشقند - أن الكلمات الواردة في أواخر الأسطر قد تم تقسيمها أحياناً كثيرة فكتب حرف منها أو أكثر في بداية السطر التالي، فنشهد الكلمة في مواضع كثيرة قد كتب الحرف الأول منها فقط في آخر السطر، بينما كتبت بقية الأحرف في بداية السطر الذي يليه. ففي سورة البقرة مثلاً (٢/٢٦، الورقة ٣٩، السطر ٧-٨) نشهد كلمة (ربهم) وقد كتب الحرف الأول منها فقط (ر) في نهاية السطر السابع، بينما كتب لفظ (بهم) في بداية السطر الثامن. ويمكننا العثور على العديد من الأمثلة على ذلك في كل صحيحة تقريباً.

و) كلمة (ملائكة، للملائكة، الملائكة) قد مرت بهذا الشكل دون حرف الألف، فلما صادف ورودها في نهاية السطر وأضطر الكاتب لتقسيمها على سطرين كتب لفظ (الملا) في نهاية السطر، ثم كتب لفظ (ئكة) في بداية السطر التالي مثبتاً حرف الألف فيها. ونشهد أمثلة كثيرة ل كلمات كتبت بغير الألف في حال عدم تقسيمها، فلما جاءت في نهاية السطر وأضطر الكاتب لتقسيمها أثبت حرف الألف فيها (مثل: الظالمين - الظالمين).

٢- ورغم أن هذه النسخة - كما سترى في الامر بالأمثلة بعد قليل - ليست من مصاحف عثمان، إلا أنها نرى من المفيد - كما فعلنا مع مصحف طشقند - الإجابة على السؤال: من أي مصحف من مصاحف عثمان جرى استنساخها أو من أي نسخة مستنسخة من تلك المصاحف.

أ) رغم أن الأمر طبيعي أن توجد فروق إملائية بين نسخ المصاحف فقد يحدث إذا قمنا بدراسة الموضوع من زاوية المواقع التي تضم فروقاً في بنية الكلمة والزيادة أو النقص في الحروف مما يؤدي إلى إحداث تغيير في القراءة أن نتمكن من الخروج بشيءٍ تقريبي حول تَسَبُّبِ مصحف طويقابي . إذ يمكننا القول إن هذا المصحف يقرب من النسخة التي جعلها الخليفة عثمان للمدينة المنورة، بل قد يكون مستنسخاً منها أو من نسخة مستنسخة منها . وقد توصلنا - في نهاية المقارنة التي قمنا بها بين ٤٤ فرقاً من الفروق الخاصة بالتفظ والخاصية في بنية الكلمة بين مصاحف سيدنا عثمان^(٢٥) - إلى أن مصحف طويقابي يتتطابق مع مصحف المدينة في ٣٩ موضعياً من تلك المواقع^(٢٦). وفي موضعين من المواقع الخمسة الباقية أضيف حرف الواو في كل منهما بتدخل جرى من بعد بقلم مختلف^(٢٧). أي أنه يمكننا القول إن مصحف طويقابي في هذين الموضعين أيضاً في أصل النسخة يكشف عن تطابق مع مصحف المدينة الخاص بسيدنا عثمان^(٢٨). أما في أحد المواقع الثلاثة الأخرى فهو وإن لم يكن متوفقاً مع مصحف المدينة فإنه يتفق وقراءة الإمام أبي جعفر يزيد بن القعاع أحد قراء المدينة وأحد أئمة

^{٢٤} انظر: مثلاً الأوراق ٢٥٨، ١٧٨، ٨٨، ٢٩، ١٢.

^{٢٥} للتعرف على هذه الفروق والمقارنات المعقودة انظر: الجدول المدرج في نهاية هذه الدراسة.

^{٢٦} تلك المواقع هي: سورة آل عمران ٣٢، الورقة ٤٦٨، سطر ٧ (سارعوا - وسارعوا) وسورة المائدة ٥٥، الورقة ٧٢٨ سطر ١٥ (يقول الذين - ويغول الذين).

القراءات الائتى عشر المشهورين. ويتعذر آخر فإن في إملاء هذا المصحف تأثيراً القراءة كانت جارية في المدينة، أو أن لهذه الإملاء انعكاساً على القراءة المذكورة وتأثيراً فيها. وعن الموضعين الآخرين من الموضع الخمسة المذكورة^{٢٧} فليس من الممكن التعليق بشئ في هذا الموضوع، كما لا نعلم أحداً من أئمة القراءات المدينة كانت له قراءة توافق الإملاء في هذين الموضعين. ورغم كل هذا فإن مصحف طوبيقائي يقرب من مصحف المدينة الخاص بسيدنا عثمان^{٢٨}، وتأثر في إملائه بهذا المصحف وتأثر بقراءة المدينة حتى وإن كان تسبياً.

وعندما نقول إن مصحف طوبيقائي يقرب من مصحف المدينة فإنه يكون من المفيد أيضاً أن نضع نصب أعيننا علاقته بمصاحف أخرى لسيدنا عثمان^{٢٩}. وعند دراسة الموضوع انتطلاقاً من الـ ٤٤ كلمة المختلفة التي وضعتها في الحسين ونحن نناقش مسألة تسب مصحف طشقند نلاحظ أن هذا المصحف يختلف عن مصحف مكة في خمسة عشر موضعًا. فإذا أضفنا إلى هذا العدد موضعين جرت كتابتهم بقلم مختلف من بعد لحرف الواو في مصحف طوبيقائي فإن هذا الفرق سوف يرتفع إلى ١٧. وظهر لنا عندما قمنا بعمل مقارنة مشابهة مع المصاحف الأخرى أن عدد الموضع التي يختلف مصحفتنا عنها هي مع مصحف الكوفة ٢١ موضعًا، ومع مصحف البصرة ١٥ موضعًا، ومع مصحف الشام ١٨ موضعًا^{٣٠}.

ب) - توجد في مصحف طوبيقائي - كما سنتذكر فيما يلي - إشارات التحرير والتنتيط. والدراسة التي ستقوم بها للإجابة على سؤال ما هي القراءة المشهورة التي اعتمدت لوضع تلك الإشارات سوف تساعدنا للخروج برأي حول العهد الذي كتب فيه وكذلك حول المنطقة التي اختص بها.

- فكلمة (نَغْفِرْ) الواردۃ في سورة البقرة (٢/٥٨ الورقة ٥٨b ، سطر ٦) قد قرأها على هذا الشكل كل من إمام القراءات المكي وأحد الأئمة العشرة المشهورين عبد الله بن كثير، وإمام القراءات الكوفي عاصم بن بهلة وحمزة بن حبيب الزيارات وخَلَفُ بن هشام والبصري أبو عمرو بن العلاء، بينما قرأها على شكل (يُغْفَرْ) كل من المدني نافع بن عبد الرحمن وأبي جعفر يزيد بن القعاع، أما عبد الله بن عامر إمام القراءة الشامي فقد قرأها على شكل (تُغْفَرْ)^{٣١}. وعند التدقیق في هذا المثال في مصحف طوبيقائي نرى أن حرف الفاء جاء بالكسر، وهذه الحركة توافق قراءة أئمة القراءات في مكة والكوفة والبصرة، بينما لا تسمح بها قراءة المدينة والشام.

- قوله تعالى (لَا يَتَبَعُوكُمْ) في سورة الأعراف (٧/١٩٣ الورقة ١٠٨a ، سطر ١٢) قد قرأه أئمة القراءات على هذا النحو إلا الإمام المدني نافع بن عبد الرحمن، فقد قرأه على شكل (لَا يَتَبَعُوكُمْ). ويذكر نفس الموقف مع قوله تعالى (يَتَبَعُهُمْ) في سورة الشعراء (٢٦/٢٢٤ الورقة ٢٤٠a ، سطر ١٠)، أي أن الإمام نافع وحده هو الذي يقرؤه بفتح الباء، بينما يقرؤه بقية علماء القراءات بتشدید التاء وكسر الباء^{٣٢}. وعند التدقیق في أوراق مصحف طوبيقائي التي أشرنا إليها سالفاً لاحظنا أن حرف الباء في المثال الأول من تلك الأمثلة قد تم تشكيله

^{٢٧} تلك الموضع هي: سورة الكهف ١٨، الورقة ١٩٠b، سطر ١١ (ما مكتبي - ما مكتبي) وسورة الشمس ٩١/٩١، الورقة ٢٠٢a ، سطر ١١ (فلا يخاف - ولا يخاف) ونلاحظ في أول تلك الأمثلة أن مصحف طوبيقائي قد وافق مصحف مكة وكتب الكلمة بتونين، أما في المثال الثاني فقد كتب (ولا) بدلاً من (فلا) متوافقاً مع مصاحف مكة والكوفة والبصرة (الظرف: ابن الجوزي، النشر ١/٣١٥، ٣١٥/٤٣٠١، ٤٠١).

^{٢٨} لاحظ هذه الفروق وللمقارنات لنظر: الجندي الملحق بآخر هذه الدراسة.

^{٢٩} الجندي، التيسير، ص ٧٣ وابن الجوزي، الندوة، ٢/٢١٥.

^{٣٠} الجندي، نفس المصدر، ص ١١٥ وابن الجوزي، نفس المصدر، ٢/٢٧٣ - ٢٧٤.

بالفتح، ولهذا فهو يتفق وقراءة الإمام المدنى نافع، بينما جرى تشكيل حرف الباء بالكسر في المثال الثاني توافقاً مع قراءات الأئمة الآخرين.

— وفي قوله تعالى (إِنْ يَعْفُ عن طائِفَةٍ مِّنْكُمْ تَعَذَّبُ طائِفَةً) في سورة التوبه (٦٦ / ٩ ورقة ١٢١b، سطر ١٢) فقد قرأه الكوفي عاصم بن بهلة أحد الأئمة المذكورين كما ورد هنا، بينما قرأه الأئمة التسعة الآخرون على شكل (إِنْ يُعْفَ عن طائِفَةٍ مِّنْكُمْ تَعَذَّبُ طائِفَةً)^(٣١). وعند التدقيق في إشارات التشكيل والتنتقيط (هناك نقاط بدل الحركات وخطوط قصيرة ذات ميل خفيف بدل النقطاط) في مصحف طويقابى نرى أنها توافق مع قراءة الأئمة التسعة، إلا عاصم بن بهلة.

— كلمة (الكافر) الواردہ في سورة الرعد (٤٢ / ٤٢ ورقة ١٥٩b، سطر ١) قد كتبت في مصاحف عثمان بشكل يسمح بقراءتها على الإفراد والجمع^(٣٢)، بينما جاءت في مصحف طويقابى مكتوبة بالالف (الكافر). وهذا الشكل الإملائي رغم توافقه وقراءات أئمة المدينة ومكة والبصرة إلا أنه لا يسمح بالقراءة على الجمع مثلما قرأه قراء الكوفة والشام^(٣٣).

— في كلمة (نسياً) الواردہ في سورة مريم (١٩ / ٢٣ الورقة ١٩٢b ، سطر ١٣) نلاحظ أن حرف التون جاء بالفتح بحسب إحدى تلاوات عاصم (اعتماداً على رواية حفص بن سليمان) وقراءة حمزة بن حبيب الزيات، بينما قرأها الأئمة الآخرون بكسر حرف التون^(٣٤). أما في مصحف طويقابى فقد وضعت كسرة تحت الحرف المذكور، أي أن التشكيل هنا يوافق قراءات المدينة ومكة والبصرة والشام.

— وقوله تعالى (وَلَمْ يَقْتُرُوا) في سورة الفرقان (٢٥ / ٦٧ الورقة ٢٣٣a ، سطر ١) قرأه أئمة الكوفة بهذا الشكل، بينما قرأه أئمة المدينة والشام بضم الياء وكسر التاء (ولم يُقْتُرُوا)، أما المكيون والبصرىون فقد قرأوه بفتح الياء وكسر التاء (ولم يَقْتُرُوا)^(٣٥). وجاء في مصحف طويقابى بفتح الياء وكسر التاء، مما يعني أنه يتفق هنا مع تلاوة المكيين والبصرىين.

— وكلمة (يَنْشُؤُ) في سورة الزخرف (٤٣ / ١٨ الورقة ٣٢٠b ، سطر ١٢) قرأها قراء الكوفة بهذا الشكل في صيغة المبني للمجهول، بينما قرأها قراء مكة والمدينة والبصرة والشام على شكل (يَنْشَؤُ)^(٣٦). أما في مصحف طويقابى فقد وضعت حركة الفتح فوق حرف التون والشين مما يعني أن قراءتها لا تتيسر إلا اتباعاً لقراء الكوفة دون غيرهم.

وعند النظر إلى الأمثلة الشمانية التي اخترناها عَيْنَاتٍ وعرضناها هنا في سبع فقرات وما أخذته من حركات التشكيل توافقاً مع القراءات المشهورة سوف نلاحظ أن ذلك التشكيل قد وافق قراءة مكة في ستة من تلك المواقع الشمانية، ووافق قراءة المدينة في أربعة منها، بينما وافق قراءة البصرة في ستة، ووافق قراءة الشام في ثلاثة. أما التوافق مع قراءة الكوفة فقد وقع في ثلاثة مواقع، كما توجد أيضاً مواقع تتفق مع بعض أئمة الكوفة في مكانيين.

^{٣١} الداتي، المصدر السابق، ص ١١٨ - ١١٩ وابن الجوزي، المصدر السابق، ٢ / ٢٨٠ .

^{٣٢} الداتي، المفتاح، ص ١٢ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٥٢ .

^{٣٣} الداتي، التشisser، ص ١٣٤ وابن الجوزي ، المصدر السابق، ٢ / ٢٩٨ .

^{٣٤} الداتي، المصدر السابق، ص ١٤٨ وابن الجوزي، المصدر السابق، ٢ / ٣١٨ .

^{٣٥} الداتي، المصدر السابق، ص ١٦٤ وابن الجوزي، المصدر السابق، ٢ / ٣٣٤ .

^{٣٦} الداتي، المصدر السابق، ص ١٩٦ وابن الجوزي، المصدر السابق، ٢ / ٣٦٨ .

وهذه الأمثلة تدلنا على أن إشارات التشكيل والتنقيط في مصحف طوبيقابي لا تتفق بكمالها مع أي من القراءات السبع أو العشر المشهورة واحدةً بواحدة. ولوحظ في المواقع القليلة أيضاً التي جرى تدقيقها عدا تلك الأمثلة أن الوضع لا يختلف كثيراً عن ذلك. وعلى هذا فإنه على الرغم من أن أعمال التشكيل والتنقيط التي جرت على هذا المصحف ليست خارج نطاق القراءات الموسومة بالصحيحـة في الأديبـات الدينـية فإن هذه العملية لا تدع لنا الفرصة للقول إنـها أجريـت (في هذا المصحف) اتباعـاً لقراءـة هـذا أو ذـلك من أئمـة القراءـات المشـهورـين.

وهـناك نـتيجة أخرى نـخرج بها من تـدقـيق تلك الأمـثلـة وغـيرـها تـقول: إنـ المعـرـوف هو أنـ أـغلـب أـئـمـة القراءـات المشـهـورـين عـاشـوا فـيـما بـيـن النـصـف الثـانـي من القرـن الهـجـري الأول والنـصـف الأول من القرـن الهـجـري الثـانـي^(٣٧). ولـكـنـ أـباـ بـكـرـ بنـ مـجـاهـدـ (تـ ٩٣٦ـ هــ ٢٤٣ـ مـ) هو أـولـ منـ وضعـ كتابـاً (كتـابـ السـبـعةـ - نـشـرـ: شـوـقـيـ ضـيفـ)، القـاهـرةـ ١٩٧٢ـ مـ) دـوـنـ فـيـهـ القـوـاعـدـ الـمـتـعـلـقـةـ بـقـرـاءـاتـ السـبـعةـ مـنـ هـؤـلـاءـ وـذـكـرـ فـيـهـ كـيـفـ تـُتـلـىـ الـكـلـمـاتـ، وـمـنـذـ ذـلـكـ شـرـعـ الـمـعـنـيـوـنـ بـكـتـابـةـ الـمـصـاحـفـ وـقـرـاءـتـهاـ فـيـ الـبـلـدـاـنـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـخـلـفـةـ فـيـ تـكـثـيفـ جـهـودـهـمـ حـوـلـ قـرـاءـاتـ هـؤـلـاءـ الـأـئـمـةـ السـبـعةـ، وـرـاحـ يـنـتـشـرـ عـمـلـ آخرـ رـافـقـ ذـلـكـ فـيـ تـشـكـيلـ وـتـنـقـيـطـ الـمـصـاحـفـ.

والـواـضـعـ أـنـ مـصـحـفـ طـوـبـيـقـابـيـ قدـ جـرـىـ اـسـتـسـاخـهـ قـبـلـ زـمـنـ طـوـيـلـ يـسـبـقـ تـحـوـيـلـ الـفـروـقـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ الـقـرـاءـاتـ الصـحـيـحـةـ إـلـىـ نـظـامـ مـعـرـوفـ، وـذـيـوـ التـلـاوـاتـ الـخـاصـةـ بـأـئـمـةـ الـقـرـاءـاتـ المشـهـورـينـ؛ كـمـاـ أـنـ عـمـلـيـةـ تـشـكـيلـهـ وـتـنـقـيـطـهـ جـرـتـ أـثـنـاءـ كـتـابـتـهـ. وـهـذـهـ النـقـاطـ وـالـحـرـكـاتـ رـغـمـ أـنـهـ لـاـ تـنـقـقـ بـصـورـةـ تـامـةـ مـعـ قـرـاءـةـ أـحـدـ مـنـ الـأـئـمـةـ المشـهـورـينـ إـلـاـ أـنـهـ تـحـتـلـ مـكـانـهـ بـيـنـ عـمـومـ الـقـرـاءـاتـ الصـحـيـحـةـ كـمـاـ هـوـ وـاضـحـ فـيـ الـأـمـثلـةـ الـقـلـيلـةـ الـتـيـ عـرـضـنـاـهـ. كـمـاـ تـجـدـرـ الإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ أـعـمـالـ التـنـقـيـطـ وـاـنـتـشـكـيلـ هـذـهـ قـدـ أـجـراـهـاـ صـاحـبـ قـلـمـ مـقـنـدـرـ يـسـتـطـعـ تـحـدـيدـ أـفـضـلـيـاتـهـ مـنـ التـلـاوـاتـ الصـحـيـحـةـ، أـوـ أـنـهـ تـحـقـقـتـ بـمـرـاعـةـ تـلـاوـةـ ذـاعـتـ فـيـ بـيـئـةـ مـعـيـنـةـ لـإـمامـ فـيـ الـقـرـاءـاتـ عـدـاـ الـأـئـمـةـ الـعـشـرـ المشـهـورـينـ.

٣ـ إنـ مـصـحـفـ طـوـبـيـقـابـيـ لـيـسـ هوـ الـمـصـحـفـ الـذـيـ كـانـ يـقـرـأـ الـخـلـيـفـةـ عـشـمـانـ بنـ عـفـانـ عـنـدـهـ استـشـهـدـ، وـلـاـ هوـ مـصـحـفـ كـتـبـهـ هوـ بـنـفـسـهـ، وـلـاـ هوـ وـاحـدـ مـنـ الـمـصـاحـفـ الـتـيـ أـرـسـلـتـ إـلـىـ الـأـمـصـارـ. وـيـمـكـنـناـ طـرـحـ بـعـضـ الـأـدـلـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـمـاـ يـلـيـ:

أـ)ـ الـمـعـرـوفـ أـنـ مـصـاحـفـ سـيـدـنـاـ عـشـمـانـ^(٣٨) لمـ تـكـنـ تـضـمـ إـشـارـاتـ لـلـتـنـقـيـطـ وـالـحـرـكـاتـ، كـمـاـ لـمـ تـكـنـ تـضـمـ إـشـارـاتـ التـخـمـسـ وـالـتـعـشـيرـ أـوـ غـيرـهـ مـنـ الـأـشـكـالـ الـمـخـلـفـةـ الـتـيـ تـفـصلـ بـيـنـ السـوـرـ. وـهـذـاـ مـاـ أـجـمـعـتـ عـلـيـهـ كـافـةـ الـمـصـادـرـ. فـقـدـ جـدـتـ هـذـهـ الـأـمـورـ عـنـدـمـاـ ظـهـرـتـ الـحـاجـةـ إـلـيـهـ، وـيـدـأـتـ تـظـهـرـ مـصـاحـفـ جـدـيـدةـ هـنـاـ وـهـنـاـكـ. وـقـدـ بـدـأـتـ هـذـهـ الـعـنـاصـرـ فـيـ الـظـهـورـ مـعـ النـقـاطـ وـالـحـرـكـاتـ الـتـيـ وـضـعـهـاـ أـبـوـ الـأـسـوـدـ الـدـؤـلـيـ (تـ ٦٨ـ هــ ٦٨٨ـ مـ) لـإـثـبـاتـ الـإـعـرابـ. وـمـنـ بـعـدـهـ وـضـعـتـ أـوـلـاـ النـقـاطـ الـتـيـ تـمـيـزـ حـرـفـ الـبـيـاهـ وـالـتـاءـ أـحـدـهـمـاـ عـنـ الـآـخـرـ، ثـمـ جـاءـتـ بـعـدـ ذـلـكـ عـمـلـيـاتـ التـنـقـيـطـ الـآـخـرـ، ثـمـ وـضـعـتـ إـشـارـاتـ التـخـمـسـ وـالـتـعـشـيرـ بـعـدـ كـلـ خـمـسـ آـيـاتـ وـعـشـرـ آـيـاتـ^(٣٩). أـمـاـ فـيـ مـصـحـفـ طـوـبـيـقـابـيـ

٣٧ عبد الله بن عاصم ٢١٠ - ٢١٨ - ٤٥، عبد الله بن كثير ٤٥ - ٤٦، عاصم بن يهودة ٤٦ - ٤٧، أبو جعفر بريدي بن الت匡اع ٤٧ - ٤٨، أبو عيسى بن العلاء ٤٨ - ٤٩، أبو عيسى بن العلاء ٤٩ - ٥٠، نافع بن عبد الرحمن ٧٠ - ٧١، حمزة بن حبيب ٨٠ - ٨١، علي بن حمزة الكسائي ١٢٠ - ١٢١، يعقوب المضمرمي ١١٧ - ١١٨، خلف بن هشام ١١٨ - ١١٩، سعيد بن سيرهم انظر: بالترقيم: الذهبي، معرفة القراء، ١ - ١٨٦، ١٩٧، ١٩٧، ٢٠٣ - ٢٠٤، ٢١٠ - ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧ - ٢٢٨، ٢٢٨، ٢٣٢ - ٢٣٣، ٢٣٥ - ٢٣٦، ٢٤٧ - ٢٤٨، ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٦٥ - ٢٦٧، ٢٩٦، ٣٢٨، ٣٢٩ - ٣٣٠، ٤١٩ - ٤٢٢.

٣٨ انظر: الداني، الحكيم، من ٢ - ٩ وابن الجوزي، الشروق، ١ / ٧.

فقد جرى استخدام خطوط قصيرة مائلة خفيفاً للدلالة على النقاط. وحتى لو لم نتمكن من رؤية هذه الإشارات في كل الحروف فإنها واضحة تماماً في بعض الأحرف في الأوراق المقروءة بوجه خاص، وقد استخدم الحبر الأسود المستخدم في الكتابة لهذه الإشارات أيضاً. أما في النقاط الموضوعة بدلاً من حركات التشكيل فقد استخدم لها الحبر الأحمر حتى وإن لم يشمل كل الحروف. ويلاحظ أن تلك النقاط الحمراء تتفق والطريقة التي جرى عليها أبو الأسود الدؤلي. وكان الدؤلي وهو يشير على الكاتب الذي جعل للعمل تحت إمرته بوضع تلك الحركات أن يستخدم لها أخباراً من ألوان مختلفة، فإذا فتح شفتيه وضع الحركة فوق الحرف، وإذا ضمّها وضع الحركة بجانبه (أمامه)، وعندما يشير إلى الكسر بشفتيه كان يعني ذلك وضع نقطه تحت الحرف، وعند الإشارة إلى الغنة (أي القراءة بالتنوين) توضع نقطتان، وانتهت بهذا الشكل أولى عمليات التشكيل (وضع نقطة بلون مختلف بدلاً من الحركة)^{٣٩}. وبискنا القول إن عملية التقسيط في مصحف طويقابي تتفق وهذا التعريف.

والامر الآخر هو أن هناك إشارات على شكل فواصل دائيرية (إشارات وقف) استخدم فيها الحبر الملون فيما بين الآيات، ثم نشهد في نهاية كل خمس آيات إشارة تكبر تلك الإشارة، ثم إشارة أخرى أكبر في نهاية كل عشر آيات (إشارات التخميص والتعشير)، كما يوجد في نهاية كل مائة آية مستطيل مستعرض في داخله الكلمة (معة)، ثم مستطيل آخر في نهاية كل مائتي آية يحتوي الكلمة (مئتين)^{٤٠}. ورغم العثور هنا وهناك على بعض الإشارات التي يبدو أنها وضعت في أماكنها في مرحلة متأخرة وإن كانت قليلة^{٤١} فقد يصعب الاعتقاد بأن علامات التشكيل والتقسيط وكذلك هذا النوع من الإشارات يمكن أن تكون وضعت في هذا المصحف فيما بعد. لأنه إذا تطلعنا لهذه الإشارات بوجه خاص وكذلك أشكال الزينة التي وضعت بين السور من هذا النوع المختلف سوف ندرك أن الكاتب ترك لها أثناء الكتابة فراغات كافية^{٤٢}، أو بتعبير آخر فإن تلك الإشارات والأشكال قد وضعت في المصحف أثناء استنساخه.

ب) - جاء حرف الجر (على) بهذا الشكل أي بالياء في ٢٤ موضعًا، بينما ورد في المواقع الأخرى بالألف على شكل (علا). وهذه الحالة تدلنا على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي ثابت، وأن شكل الكتابة لا يتتطابق مع أي من مصاحف عثمان، أو بتعبير آخر فإن هذا الخط يكشف لنا أن هذا المصحف ليس من مصاحف عثمان. إذ ذكر أن هذه الكلمة قد كتبت بالياء في مصاحف عثمان وبلا استثناء^{٤٣}.

ج) - ورد لفظ (حتى) بهذا الشكل في سورة النساء فقط (٤ / ٤٣) الورقة ٥٢b، سطر ١٧) أي بحرف الياء، بينما ورد في المواقع الأخرى بالألف على شكل (حتا). أما في مصاحف عثمان فقد ذكرت المصادر أنها وردت بالياء في كل المواقع^{٤٤}.

د) - يلاحظ في مصاحف عثمان أن حرف الياء المتجاورين إذا كان أحدهما علامة للجمع كما هو الحال في: ربئين والأمين والحوارين والتبين - إلا في الكلمة (عليين) الواردہ في سورة المطففين (٨٣/١٨)^{٤٥}، لم

^{٣٩} انظر: أبو بكر الأساري، إيضاح الوقف والايتداء، ١ / ٤٠ - ٤١ والداني، الخجكبة، ص ٤.

^{٤٠} على سبيل المثال انظر: الأوراق ٩ ب، ١٩ ب، ٩١٢٥.

^{٤١} على سبيل المثال انظر: الورقة ٢١٠٨ ، سطر ٦.

^{٤٢} انظر: نفس الورقة ، سطر ١٦ (إشارة التعشير).

^{٤٣} انظر: مهدوي، هجاء مصاحف الأئمّة، ص ٨٩ والداني، المطبع، ص ٦٥ وأبو داود ، مختصر التبيان، ٢ / ٧٥ وابن وثيق، الجامع، ٥٧ - ٥٨.

^{٤٤} الداني، المطبع، ص ٦٥ وأبو داود، مختصر التبيان، ٢ / ٧٧ وابن وثيق، الجامع، ص ٥٨.

^{٤٥} انظر: الداني، المصدر السابق، ص ٤٩.

تكتب إحدى هاتين الآيتين على سبيل الاختصار. أما في مصحف طوبيقابي فقد وردت كلمة (التبين) من تلك الأمثلة على شكل (التبين) بحربى ياء في سورة البقرة (٢ / ٦١ الورقة ٦٨ ، سطر ٥).

هـ) – يمكننا القول إن مصحف طوبيقابي لم يخضع لمراجعة دقيقة عقب الكتابة مثل مصحف طشقند، ولم يستخدمه أحد من أئمة القراءات المشهورين. إذ لا يتصور أحد أن أخطاء الكاتب المشار إليها حتى وإن كانت بقدر قليل قد بقيت على هذه الحال بعد مراجعة من هذا النوع أو بعد استخدام واحد من أئمة القراءات لهذا المصحف. وهذا أيضاً يكشف لنا أنه ليس نسخة عثمان كما قيل، وليس كذلك واحداً من المصاحف التي استنسخها وأرسلها إلى الأمصار.

و) – ويمكننا القول أيضاً إن هذا المصحف لم يخضع هو الآخر لنظام إملائي ثابت. فالأمثلة المذكورة تبرهن على ذلك، بل وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي تؤكد هذه الحقيقة. وعلى سبيل المثال فإن كلمة (أولاً) قد انقسمت تقريباً بين هذا الشكل وبين شكل (أولا) ^(٤٦). وتنطبق هذه الحالة أيضاً على كلمة (صراط – الصراط)، فقد توصلنا إلى أنها وردت بغير الألف في ٢١ موضعًا، ووردت بحرف الألف (صراط – الصراط) في ٢٣ موضعًا. والمعروف أن هذه الكلمة ترد في القرآن الكريم في ٤٥ موضعًا ^(٤٧) على شكل (الصراط، صراطاً، صراطك، صراطي)، ولأن الكلمة غير واضحة الكتابة في سورة الفاتحة (١ / ٧) فلا نعلم ما هو الشكل الذي كتبت به في هذا المصحف. ويمكننا أن نشهد فيه أيضاً أمثلة على ألفاظ كتبت بشكلين مختلفين في آية واحدة، ففي سورة النساء مثلاً نرى (حتى – حتا) في الآية (٤٣) ^(٤٨)، ونرى (أصبك – أصابك) في الآية (٧٩) ^(٤٩)؛ وفي سورة الأنعام أيضاً نرى (أنعام وأنعم) في الآية (١٣٨) ^(٥٠)، وتلك بعض الأمثلة ^(٥١).

ورغم أن هناك كثيراً يمكن ذكره لإثبات أن مصحف طوبيقابي ليس واحداً من مصاحف عثمان إلا أننا نكتفي بهذا القدر.

٤- هناك آراء وأفكار طرحت حول العهد الذي يرجع إليه مصحف طوبيقابي:

أ) – فقد جاء في مقالة التعريف التركية العثمانية التي تصدرت سورة الفاتحة وكتبت بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٢٢٦هـ (١٢ يونيو ١٨١١م) أن الذي كتبه هو عثمان بن عفان نفسه، وهو أمر لا يمكن تصويبه كما سنرى فيما بعد.

^{٤٦} والمواضيع التي كتبت فيها على شكل (أولا) انظر: الأوراق: ٢٨a, ٣١a, ١٥٧b, ١٦٣b, ٢٢٣b, ٢٩٤a, ٢٩٧b, ٢٩٨a, ٣٣٢b.

^{٤٧} محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم للفهارس، ص ٤٠٧.

^{٤٨} الورقة ٥٢b ، سطر ١٦ ، ٤٧.

^{٤٩} الورقة ٥٦b ، سطر ٢١.

^{٥٠} الورقة ٩٠a ، سطر ٦ ، ٨.

^{٥١} لم تكتب في أي موضع بقصد الاختصار ألف ياء النداء في مصاحف سيدنا عثمان (انظر: الداعي، المتنع، ص ١٦)، ومع ذلك إذا كانت قد أثبتت الألف في الآيتين (٣٥، ٣٣) من سورة البقرة في هذا المصحف (يا ادم) فإن هاتين الآيتين موجودتان في الورقة (٣a) التي هي واحدة من الأوراق التي ظهر أنها مفقودة، وكانت فيما بعد على يد كاتب آخر بقصد إكمال للصحف، ولأجل هذا أهلي لا تحصل صحة الدليل على أن هذا المصحف ليس لسيدنا عثمان. كذلك يلاحظ في مصاحف سيدنا عثمان أن حرفى الياء للتحاورين إذا كان أحدهما غلامة للجمع كما هو الحال في: ربى والأمن والوارين والبين – إلا في كلمة (عليين) الواردة في سورة المطففين (١٨/٨٣)، لم تكتب إحدى هاتين الآيتين على سبيل الاختصار (انظر: الداعي، المتنع، ص ٤٩). بينما نرى في مصحف طوبيقابي أن كلمة (البين) من تلك الأمثلة قد وردت على شكل (التبين) بحربى ياء في سورة البقرة (٢ / ٦١ الورقة ٦٨ ، سطر ٥)، غير أن هذا المثال موجود في الورقة (٦a) التي جرت كتابتها فيما بعد بقصد استكمال النص، ولأجل هذا فإنه لا يرقى إلى صفة الدليل على الرأي الذي طرحته سالماً.

ب) - وذهب فهمي أدهم قراطاي إلى أن هذه النسخة ربما تكون كتبت في القرن الهجري الأول أو الثاني^{٥٢}. بينما يذهب صلاح الدين المنجد إلى اختلاف الخطوط بين هذا المصحف ومصحف طشقند، وكذلك خطوط المصحفيين المحفوظين في المشهد الحسيني بالقاهرة ومتحف الآثار التركية والإسلامية بستانبول، كما تختلف أيضاً تلك المصاحف في عصور استنساخها وفي مقاساتها، ومن ثم فهي ليست مصاحف عثمان، وإنما هي مصاحف استنسخت من مصاحف عثمان. ولهذا السبب أيضاً عُرف كل واحد منها باسم «مصحف عثمان»^{٥٣}. وكان الدكتور محي الدين سرین عضو هيئة التدريس في جامعة مرمرة [بستانبول] وخبير الخطوط العربية قد قام بناءً على طلبِ مَنْا بدراسةِ لصور أوراق المصحف، وصرح برأيه لنا شفاهًا فقال «بالنظر إلى نظام الأسطر وأشكال الحروف وطبعتها يبدو أن المصحف كُتب في أوائل القرن الهجري الثاني. أما الأوراق الست (٦-١) والورقة الحادية عشرة التي كتبت في تاريخ متاخر فيمكننا القول إنها تعكس خصائص الكتابة في أواسط القرن المذكور». أما البروفسور أكمل الدين احسان أوغلى فيذهب إلى أن المصحف كُتب في العهد الأموي (٤١-١٣٢). (انظر ملاحظات البروفسور على المصحف).

ج) - الواضح من المعلومات والأفكار التي عرضناها قبل قليل فيما يتعلق بالتشكيل والتقطيط في المصحف أنه قد كتب في تاريخ يقرب من العهد الذي جرت فيه عمليات التشكيل والتقطيط في المصحف. وإذا وضعنا في الاعتبار أن عملية وضع الحركة على شكل نقاط في المصاحف قد بدأها أبو الأسود الدؤلي، وأن عملية التقطيط لفصل الأحرف المتشابهة عن بعضها البعض قد قام بها كل من نصر بن عاصم (ت ٨٩/٥٨٧م) ويحيى بن يعمر (ت ١٠٠هـ/٧١٨م) فلا نجد أمامنا إلا القبول بالرأي القائل إن مصحف طويقابي كتب في النصف الثاني من القرن الهجري الأول أو النصف الأول من القرن الهجري الثاني. كما يمكننا القول إن النتائج التي توصلنا إليها - ونحن بصدده الإجابة فيما سلف (ص ١١٢-١١٣) عن السؤال الخاص بتلك الإشارات وما اعتمدت عليه من تلاوة عُرف بها إمام من أئمة القراءات - تؤكد هذه التوقعات.

٥- هناك فروق بين مصحف طويقابي ومصحف الملك فهد في نحو ٢٢٧٠ موضعًا وإن كان قسم كبير منها في كتابة الكلمة بالألف أو بغير الألف. والسبب في ظهور الرقم بهذا الارتفاع هو أن أغلب الكلمات والألفاظ المكتوبة بإملاء مختلفة هي من النوع الذي يتكرر وروده في نص القرآن الكريم. وهناك بعض الأمثلة على ذلك: - وردت كلمتا (على و حتى) في مصحف طويقابي مكتوبتين بالألف على شكل (علا وحتا) في مواضع تزيد على ٧٨٠ موضعًا.

- وردت كلمات (بaitta, baithe, baitti, bait) المسبوقة بباء الجر بهذا الشكل، أي بحرف ياء واحد في مصحف الملك فهد، بينما جاءت في مصحف طويقابي بياتين وعلى شكل (baitta, baithe, baitti, bait)، والمواضع التي وردت فيها تزيد على ٩٠ موضعًا^{٥٤}.

^{٥٢} Karatay, *Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Kataloğu*, I, no: 1

^{٥٣} المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٥.

^{٥٤} لقد توصل الداني إلى الرأي التالي في الموضوع، إذ يقول: «لقد شهدت في بعض المصاحف كلمات: (baitta, baithe, baitti, bait) وقد كتبت بياتين اعتباراً لاصلها في كل الموضع التي جاءت فيها وخاصة عند وجود حرف الباء في أولها بينما كتبت في بعض المصاحف باء واحدة حسب الشاعط، وطريقة الكتابة هذه أكثر انتشاراً (التفع، ص ٥٠، وانظر: أيضًا: أبو داود، مختصر التبيين، ٢/١٢٢ - ١٢٣).

- وردت كلمات (لمحى، لمحى، أحى، تحيى، فيحيى، نستحيى، فيستحيى، يستحيى) في مصحف الملك فهد بباء واحدة، بينما جاءت في مصحف طويقابي ببائيين على شكل (لمحبي، لمحى، تحيى، فيحيى، نستحيى، فيستحيى، يستحيى) وفي ٣٤ موضعًا^{٥٥}.

وهناك ألفاظ أخرى تتكرر ثلاثة أو خمس مرات وتكون سبباً في زيادة الفروق بين المصحفين، كما توجد أيضاً كلمات وردت مرة واحدة وكتبت بصورة مختلفة في المصاحف المذكورة: (استبدال استبدل، الحافا - الحفا، سنابل - سنبل، أكمامها - أكمامها، كملين - كملين، قطران - قطرن، تدایتم - تديتيم)، وهي كما نرى لا تختلف إلا في إثبات حرف الألف أو عدم إثباته.

٦- وفي اعتقادنا أن الخاصية الأبرز لمصحف طويقابي هي الرسالة التي ينبع منها للبشرية جمعاء حول أصلية النص القرآني الكريم الذي تجري تلاوته اليوم والحفظ على تلك الصفة. فالرأي السائد الذي لا يفتئ يتكرر باستمرار هو أن النص القرآني قد وصلنا بقراءاته المشهورة والصحيحة دون أي تحرير أو تبديل، فإلى جانب العهد المقطوع للمؤمنين في قوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنما له لحظون»^{٥٦}، هناك أيضاً الكتب والممؤلفات التي وضعناً منذ فجر الإسلام في هذا الموضوع، وتزخر بها اليوم مكتباتنا. والحقيقة الواقعية أن القواعد والأسس الخاصة بقراءاته قد أخذت في الانتقال منذ عصور الإسلام الأولى إلى الأجيال المتعاقبة، سواءً أكان بطريق الروايات الشفهية أم بطريق الكتب والمصادر المدونة. والمعروف أيضًا مدى الأهمية التي ينطوي عليها في هذا الموضوع تقليد «التلاوة المنضبطة الموافقة لقواعدها» وحقيقة «الفم المحسن» (أي المعلم الذي يتلو القرآن على أصوله ويعلمه للأخرين).

وكنا نرى عندما شرعنا في دراسة مصحف طويقابي أن نص الكتاب العظيم - الذي راح ينتقل على مدى العصور من فم محسن إلى فم محسن آخر وبلغ صداه والقواعد الخاصة بهذا الصدا عن طريق المصادر المدونة إلى انسان القرن الحادى والعشرين - سوف يصل إلى الباحثين وطلاب العلم بهذا المصحف الذي يمثل وثيقة قادمة من عهد يقرب كثيراً من جيل الصحابة في صورة مكتوبة وينفس الصفاء، ومن ثم عشنا تلك الأيام المشيرة من ناحية وانتابتانا مشاعر الفضول والخوف من ناحية أخرى. لأن المصاحف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان باستنساخها ثم أرسلت إلى الأمصار لم يتم العثور على أي منها، ولم يخضع أحداً للدراسة والتدقير، أو بمعنى آخر، لم يحدث من قبل أن ظهرت نسخة مصحف قديم بهذا القدر ثبت لنا حقيقاً وجود تطابق بين المصاحف التي نقرؤها اليوم والمصاحف التي كتبت في عصور الإسلام الأولى. كما يصعب القول إن نسخة مصحف طشقند - التي نشر الروس أولًا صورة مصورة منه ثم أعقبهم في ذلك محمد حميد الله - تشكل مصحفاً تاماً. لأن هذه النسخة لا تمثل إلا الثالث من الأصل، سواءً أكان في عدد الآيات والسور أم كان في عدد الأوراق. كما أن المصحفين اللذين نُشرَ أحدهما سنة ١٩٩٨م ب تمام أوراقه الموجودة في باريس، والثاني الذي نشر في سنة ٢٠٠١م بنصف أوراقه الموجودة في لندن لا يمثلان أيضاً مصاحف كاملة. وهناك أيضاً المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية في إسطنبول تحت رقم (٤٥٧) والذي قيل إنه بخط سيدنا عثمان نفسه ﷺ، وهو

^{٥٥} انظر: الداني، المصدر السابق، ص ٤٠ - ٥٠ وابن داود، المصدر السابق، ١٦٣، ١٠٨/٢.

^{٥٦} سورة المجر ١٥.

لا يزال رغم نقص بعض أوراقه بعيداً عن متناول الباحثين والدارسين، ولا يوجد حتى اليوم من قام بقراءاته وتدقيقه من أوله لآخره، ولا أحد يعلم حتى كم عدد الأوراق الناقصة منه^{٥٧}.

أما مصحف طويقابي، فقد ظل محفوظاً منذ عصور في المكتبات كمصحف قبل إنه ملك سيدنا عثمان بن عفان^{٥٨}، وكانت آخر محطة توقف فيها هي مكتبة متحف طويقابي، ولم يحدث قبل هذه الدراسة أن قام أحد بقراءاته وتدقيقه من أوله لآخره. فهل هناك حقاً تنازلاً أو توافق بينه وبين المصاحف التي تقرأ اليوم في شتى بلدان العالم؟ لم يكن هناك أحد يعلم شيئاً عن ذلك. أو إلى أي مدى كانت قواعد التلاوة التي تناقلتها الألسنة تتفق في أدائها مع إملائة؟ وهذا الموضوع أيضاً لم يكن هناك من قال شيئاً فيه. وتتجذر الإشارة إلى أننا عندما قررنا تدقيقه ونشره كنا نضع كل تلك الأسئلة في الاعتبار، ولطالما عشنا أوقاتاً مثيرة إزاء هذه الخطة حتى تم الانتهاء من دراسته وكتابته نصه على الكمبيوتر. وقد رأينا عند انتهاء الكتابة أن: هذا المصحف الذي يبدأ بقوله تعالى «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وينتهي بقوله «مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ» وجرى استنساخه قبل نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان إنما هو في تطابق تام مع المصاحف التي يقرؤها الناس اليوم على وجه البساطة. أو بمعنى أصح فإن نسخ المصاحف التي تجري قراءتها اليوم تتطابق مع هذا المصحف الذي كتب قبل نحو ثلاثة عشر قرناً. وبالديهي أن بعض الأمور الموجودة في هذا المصحف أيضاً - مثل ضياع ورقيبي منه واحتواه على فروق إملائية موجودة أيضاً في المصاحف في بلدان مختلفة وفي عهود مختلفة ولا تؤثر في أساسه - لا تنطوي على شيء ينافي هذه النتيجة. ويكون من الطبيعي جداً أن توجد هذه الفروق في أي نص تحركت لكتابته يد الإنسان.

والواضح مما سلف أن القرآن الكريم لا تحفظه صدور الحفاظ وحدهم، وإنما تحفظه أيضاً نصوصه المكتوبة وأملاؤه. وهو اليوم بين أيدينا بالصورة التي نزل بها وكتب قبل أربعة عشر قرناً. وهذه الوثائق المدونة^{٥٩} إنما هي في الوقت نفسه من التجليات الفعلية الملجمة للبيان الإلهي في قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^{٦٠}.

ثالثاً: مصحف الملك فهد^{٦١}

كنا أثناء نقل النص القرآني من مصحف طويقابي على الكمبيوتر قد أشرنا في الهوامش إلى الفروق الإملائية بينه وبين المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة تمثيلاً للمصاحف في بعض الدول الإسلامية المتفق على توافقها مع رسم مصاحف سيدنا عثمان^{٦٢}، وأضعين في الاعتبار - ونحن نفعل ذلك - أنه طبع برعاية فهد بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، ويجري توزيعه مجاناً داخل المملكة وخارجها. وبإمكاننا أن نذكره هنا اختصاراً بمصحف فهد (ف).

^{٥٧} ذكرنا قبل ذلك أننا بذات العمل على هذه المساحة ونتمنى أن تظهر تلك النزرة الثقافية العظيمة للباحثين والقراء في آقرب فرصة (انظر: قسم التمهيد).

^{٥٨} يبدو واضحاً أن هناك ضرورة لقيام بدراسة مفصلة حول سمة الخطوط في مصحف طويقابي ومواضيع الرقق والنظام التشكيلي والنقطي وإشارات التخمين والتعمير والخطوط الهندسية المتباينة الألوان فيما بين السور وعلاقة المصحف بالقراءات المشهورة وغير ذلك. ونحن من جانبنا نحاول الدخول في التفاصيل حتى تدع الفرصة للمتألهين على معرفة ذلك النص المقدس كي ينظروا فيه قبل مضي وقت طويل، ونصلح بالأمل إلى الأكاديميين والخبراء أن يضطلعوا بكل هذه الأمور.

^{٥٩} سورة الحجر ٩/١٥.

^{٦٠} نقصد هنا بعبارة «مصحف الملك فهد» ذلك المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة داخل «جمع حادم الحرمين الشرقيين للملك فهد لطبع المصحف الشريف»، من قبل وزارة الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية تحت اسم «مصحف المدينة المنورة».

وكان مصحف الملك فهد قد جرى تدقيقه لأول مرة على يد هيئة تشكيلت قبل طباعته في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ - ١٩٨٥م) بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز. ومع ما ذكر أنه جرت الاستفادة في تلك الأثناء من بعض المصاحف التي كتبت بالرسم العثماني فالواضح أن إملاء هذا المصحف قد أخذت من المصحف الذي نسخه بالرسم العثماني شيخ القراء المصري محمد علي خلف الحسيني (ت ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م)^{٦١} المشهور بلقب الحداد، وهو المصحف الذي نُشر للمرة الأولى سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م)، ثم تكررت طباعته بعد ذلك. بل ويندو لنا أن مقالة التعريف الملحة به هي نفسها تقريباً مقالة التعريف في مصحف الحداد^{٦٢}. وهذا المصحف تحفظ نسخة منه في مكتبة كلية الإلهيات التابعة لجامعة مرمرة (شيشلي رقم ١٣٢٣)، وجرت طباعته في القاهرة عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) تحت اسم «القرآن الكريم بالرسم العثماني الشهير بمصحف مصطفى الحلبي»، وما يمكن قوله عن إملائه ومقالة التعريف المدرجة في نهايته هو نفسه ما يقال عن الآخر، كما أن نص التعريف في أواخر المصاحف المطبوعة في الدول التي لا زالت تحرض على الرسم العثماني يتتطابق معه إلا في فروق من عدة كلمات لا تؤثر على الأساس في شيء. وما يثير الانتباه هو عدم الإشارة إلى مصحف الحداد المصري بين نسخ المصاحف التي جرت الإستفادة منها قبل نشر مصحف الملك فهد^{٦٣}.

والسبب الذي جعلنا نفضل مصحف الملك فهد على غيره في هذه الدراسة هو الرأي القائل بأن إملاءه توافق الرسم العثماني، ثم انتشاره في العالم الإسلامي بعد طباعة ملابين النسخ منه، ومراعاةً منا لأن يتمكن الذين يريدون المقارنة بين مصحف طويقابي والرسم العثماني من الوصول بسهولة إلى نسخة مصحف طبع بهذه الإملاء.

ولكن على الرغم من صواب مقوله إن الإملاء الموجودة في المصحف المذكور ونظائره الأخرى توافق الرسم العثماني بوجه عام كما ذكرنا من قبل إلا أنه يصعب القول أيضاً بتطابقها تماماً، أو بمعنى آخر، القول إن كل كلمة في هذا المصحف تتتطابق تماماً مع نظيرتها في أي من مصاحف عثمان^{٦٤}.

وعلى الجانب الآخر فإنه على الرغم من الحديث في مقالات التعريف المدرجة سواء في نهاية مصحف الملك فهد أو في نهاية المصاحف المطبوعة في بعض الدول الإسلامية الأخرى عن اتباع روايات عالمين (هما الداني وتلميذه أبو داود) في موضوع الإملاء والقول بأنه قد جرى عند الاختلاف بين روایتي هذين العالمين ترجيح روایة أبي داود فالظاهر في تلك المصاحف المطبوعة أنهم لم يتبعوا أبي داود في بعض الموارد التي اختلف فيها الشیخان. وبما أن هناك كتاب الداني المعروف باسم «المعنى» وكذلك كتاب أبي داود المعروف باسم «محضر التبیین لهجاء التنزيل» وكلاهما مطبوعان فإن الباحثين المشغولين بالموضوع يمكنهم النظر مثلاً في مصحف الملك فهد المطبوع في المدينة المنورة والذي يمثل المصاحف التي تجري اليوم طباعتها في العالم الإسلامي اتباعاً للرسم العثماني، فينظرون هل وافقت النتائج الواردة في تلك المصادر أم لم تتوافقها، أو جرى بالفعل ترجيح

٦١ الحداد هو أحد القراء الذين نشأوا في الأزهر، واحد فقهاء الملاكية. وأسبع شيئاً لقراء والمغاربي في سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٥م)، ويظهر أن له كتابين مطبوعين وضعهما في الرسم العثماني هما «القواعد الدرية فيما يتعلق بالصاغ العثماني» و«إرشاد الحروان في رسم القرآن» (انظر: الروركلي، الأعلام، ١٩٦٧ - ١٩٦٨م).

٦٢ قارن بين نص التعريف المدرج في نهاية مصحف «التنزيل الوحياني بالرسم العثماني» ونص التعريف الملحظ ب نهاية «مصحف المدينة البوسنة».

٦٣ انظر: شدي، جهود خادم الحرمين الشريفيين في طباعة المصحف الشريف ونشره، ص ١٠ - ١٥.

٦٤ للتعرف على رأينا في هذا الموضوع انظر: الفصل الثالث.

رأي أبي داود حقاً في الموضع التي اختلف فيها مع الداني أم لم يحدث. أما نحن فيجدر بنا القول إننا أثناء عملية التدقيق والمقارنة المحدودة التي قمنا بها قد نقينا بعض الأمثلة التي تخلوا فيها عن تلك القاعدة، وذلك على الرغم من التصريح بأنه جرى اعتماد رأي أبي داود في الموضع التي حدث فيها الاختلاف بين المصادرين، وعلى سبيل المثال:

– فإن كلمة (مثوى) الواردة في سورة يوسف (٢٢/١٢) قد ذكر أبو داود أنه لا يجوز كتابتها بالألف بين حرف الواو والياء، ومع ذلك فقد كتبت في ذلك المصحف على شكل (مثواي) الذي أقره الداني، وبذلك خالفوا القاعدة المذكورة في مقالة التعريف الملحة بـنهاية المصحف^(٦٥).

– قال الداني إن كلمة (حياتكم) الواردة في سورة الأحقاف (٤٦/٢٠) كثيراً ما كتبت بهذا الشكل، أما أبو داود فقد تَبَّهَ إلى ضرورة كتابتها بغير الألف (حيتكم)، ومع ذلك فقد كتبت في المصحف المذكور بما يخالف رأي أبي داود، أي جاءت بالألف^(٦٦).

– أشار أبو داود إلى كلمة (جي) في سورة الفجر (٨٩/٢٣) وقال إنها تكتب بغير الألف، ومع ذلك فقد وردت في مصحف المدينة بالألف (جاي)^(٦٧).

ويمكّنا عرض المزيد من الأمثلة على ذلك، كما لا يستبعد أيضاً أن توجد أمثلة أخرى في المصحف المذكور كتبت بشكل يخالف الروايات الواردة في كلا المصادرين المذكورين، وهو أمر قد يكون موضوعاً للدراسة أخرى. وهذه الحالة تدفع – في اعتقادنا – إلى طرح الاقتراح التالي: وهو أن تشرع هيئة من الهيئات في تناول موضوع «الإملاء في المصاحف» من جديد، وتكون مشكلة من الخبراء بقصد تحويل الإملاء – المستخدمة في المصاحف التي تجري اليوم طباعتها في بعض الدول، مثل مصر والمملكة السعودية وسوريا والكويت ويقال منذ سنين إنها توافق الرسم العثماني – إلى وضع أكثر اتفاقاً مع ذلك الرسم. وعلى المسؤولين الذين يحرضون بحساسية فائقة على الرسم العثماني في كتابة المصحف وطبعه ويحظرن دخول المصاحف المخالفة لتلك الإملاء إلى بلادهم أن يراجعوا على الأقل ما هو الأمر الذي يصررون عليه حتى وإن كان نتيجة لدراسة خيرة أجريت قبل سنوات. ونحن على ثقة أن قضية اتباع الرسم العثماني في طباعة المصاحف سوف تكتسب عندئذ قوة على قوتها.

المنهج الذي اتبعناه أثناء العمل على النص

كنا قد ذكرنا قبل ذلك أن العديد من صفحات مصحف طويقابي قد عطبت وتدورت حالتها بسبب الرطوبة والعوامل الأخرى المشابهة. كما ظهر لنا عامل آخر زاد من صعوبة القراءة وتشخيص الأحرف، ألا وهو حبر بعض الصفحات الذي انطبع في الصفحات المقابلة لها بسبب نفس المؤثرات السلبية. ولهذا لم يكن من السهل علينا أن ننقل النص إلى الكمبيوتر بنفس الإملاء. وسعينا إلى تشخيص وإثبات الأحرف في بعض الموضع باللجوء إلى عمليات تكبير الألفاظ وإضاءتها على شاشة الكمبيوتر.

^{٦٥} انظر: الداني، *القفتح*، ص ٦٤ وأبو داود، *محضر الشبين*، ٧١٢/٣.

^{٦٦} انظر: الداني، *القفتح*، ص ٥٤ وأبو داود، *محضر الشبين*، ٤/١١٢٠.

^{٦٧} انظر: أبو داود، *محضر الشبين*، ٢/٩٣ و ٥/١٢٩٥.

ويمكننا إيجاز الأعمال التي قمنا بها والشروط التي راعيناه خلال هذه الدراسة على النحو التالي:

- ١- حاولنا كتابة نص المصحف كما هو متancock بالإملاء المستخدمة فيه، فإذا تعسر الوصول حتى إلى قرينة تساعدنا على قراءة كلمة أو حرف رغم الاستعانة بالإمكانيات التقنية فإننا في مثل هذه الحالة قد وضعنا عدداً من الكرات الصغيرة بدلاً للأحرف والكلمات تتساوى في العدد معها (٠٠٠).
- ٢- وبسبب عدم وجود الحركات والنقط على كل الأحرف في المصحف، وتعرض ما هو موجود منها للتلف في مواقع كثيرة، ومن ثم حدوث حالة من الغموض لم نر من الجدوى إبراز كل ذلك على النص أثناء الكتابة، ورجعنا في ذلك إلى النقاط والحركات الموجودة في مصحف الملك فهد (ف). وهذه الإمكانية متاحة في الأساس لكل من يريد تدقيق الحركات والنقط الموجودة في النص الأصلي.
- ٣- ليس هناك مكان للهمزات في أي موضع من المصحف، وعلى سبيل المثال فإن الكلمات : (الرعايا، نساءنا، يستبعونك، مستهزوون) وردت على شكل (الريا، نسانا، يستبونك، مستهزوون). وقد اتبعنا النسخة الأصلية بعينها في الأحوال التي يمكن فيها الاستغناء عن كتابة الهمزات كما هو واضح في هذه الأمثلة، أما في الموضع التي وجدت فيها الهمزة في وسط الكلمة وقيل بضرورة كتابتها على شكل ياء^{٩٦} فقد أثثنا كتابة مثل هذه الكلمات بالهمزة على شكل (جئت، لملكت، انبئهم) كما جرت قراءتها عند عاصم بن بهدلة على رواية حفص، وليس على شكل (جيت، لمليت، انبئهم) مثلاً، وذلك لعدم إمكانية كتابة ياء دون نقاط أو همزة دون السُّنَّة التي تكتب فوقها بالكمبيوتر. وعلى الرغم من وجود أمثلة في النص الأصلي في مثل هذه المواقع كُتب فيها حرف الياء بوضع خطين صغيرين مائلين خفيفاً بدلاً من النقاط إلا أن ذلك ليس معمماً في كل موضع، أو أنه تحول مع مرور الزمن إلى هذا الغموض، ومن ثم فقد رأينا من الأنسب كتابة الهمزة بدلاً من الياء حتى نتفق في ذلك مع مصحف الملك فهد وتحقق التوافق في قراءتها على السواء.
- ٤- حافظنا على السطور كما هي، وراعينا أدق التفاصيل التي قد ترد على الخاطر، مثل الحروف التي توضع على رأس أحد السطور من كلمة وردت في نهاية السطر السابق عليه، أو الحروف التي تكتب من كلمة في أوائل سطر على نهاية سطر سابق، ومن ثم اجتهدنا في نقل كل ما هو موجود في النسخة الأصلية إلى الكمبيوتر كما هو.
- ٥- وكنا أثناء نقل مصحف طويقابي إلى الكمبيوتر نعقد المقارنة بينه وبين المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة باعتباره يوافق الرسم العثماني في «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» واحتصرنا اسمه بمصحف الملك فهد، ونشر في هوامش الدراسة إلى الفروق الإملائية الموجودة بينهما (ولا ننسى عند تقويم الإملاء الموجودة في مصحف الملك فهد أن الهمزات الواردة فيه والإشارات الأخرى كالتقط وحركات التشكيل قد أضيفت لهذا المصحف من بعد).
- ٦- على الرغم من وجود توازٍ مع مصحف الملك فهد المطبوع في نهايات الآيات بشكل عام إلا أن هناك بعض المواقع التي يختلفان فيها حتى وإن كانت قليلة. ويسيرأ على الباحثين فقد جعلنا مصحف الملك فهد هو الأساس في ترتيب الآيات باعتبار أنه يتافق أيضاً مع الترميم الموجود في المصادر الأخرى بوجه عام، وجعلنا تلك الأرقام بين قوسين معقدين. ووضعنا في الاعتبار أيضاً ونحن نفعل ذلك عدم إمكانية التحقق بشكل تام

وصحيغ من كل نهايات الآيات بسبب مواضع العطب الموجودة في بعض الأوراق؛ ولعل هذه العلة نفسها هي التي منعتنا من وضع إشارات التخميص والتعشير.

٧- جاءت كلمتا (حتى - على) في مصحف طويقابي على شكل (حتا - علا) بالألف في الغالب، بينما وردتا في مصحف الملك فهد بالياء؛ ولاجل هذا عندما يتكرر ورودهما في الصفحة نكتفي بالإشارة إلى إحداهما في الهاشم، ووجهنا الانظار إلى أن الألفاظ المشابهة في نفس الصفحة قد كتبت بنفس الشكل.

٨- رأينا ونحن نشير إلى الفروق بين المصحفيين أن نستخدم حرف (ط) اختصاراً لمصحف طويقابي، وحرف (ف) اختصاراً لمصحف الملك فهد.

٩- وجدنا أثناء العمل على النص أتنا كتبنا ٢٣٠٧ هامشاً، وجاء نحو ٢٢٧٠ هامشاً منها في الفروق الإملائية بين المصحفيين. والسبب في ارتفاع العدد على هذا النحو هو أنأغلب الألفاظ المختلفة إملائياً بين المصحفيين هي - كما شرحنا بالأمثلة قبل ذلك - من الألفاظ التي يتكرر ورودها في القرآن كثيراً. وقد رجعنا إلى المصادر المعنية بالألفاظ الواردة بإملاء مختلفة في المصحفيين المذكورين؛ وخاصة كتاب «المقتنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار» لأبي عمرو الداني وكتاب «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود سليمان بن نحاج، فطالعناهما من أولهما لآخرهما، وأشارنا إلى الأمثلة الواردة فيها مع ذكر أرقام المجلدات والصفحات، واجتهدنا على هذا النحو في مساعدة الباحثين فيما سيقومون به من دراسات على الموضع التي اختلف فيها كل من مصحف طويقابي ومصحف الملك فهد. غير أتنا لم نرصد آلية إشارة في المصادر المذكورة حول ماهية الإملاء في ٢٣٨ موضعاً مرت فيها الألفاظ مكررة، كما لم نتمكن من العثور لأجل هذه الألفاظ على أي مصدر نذكره في الهاشم. وهذه الألفاظ التي كتبت بالألف في الغالب في مصحف الملك فهد وكتبت بغيرها في مصحف طويقابي ولا يزيد الفرق بينهما عن ذلك لم يرد شيء عنهما لدى كلا الكاتبين اعتقاداً مسبقاً أنها سوف تكتب بالألف مثلما هي منطقية بالألف، ولهذا السبب كان الراجح في مصحف الملك فهد أن تكتب تلك الألفاظ في عمومها بالألف. وعلى سبيل المثال فإن كلمة (كاذبة) التي ترد في موضعين كتبت بالألف في سورة الواقعة (٦/٥٦) في هذا المصحف، أما في سورة العلق (٩٦/١٦) فقد جاءت على شكل (كذبة) لأنه ذكر أنها تكتب بغير الألف^(٦٩).

١٠- لا ترد في مصحف طويقابي أسماء للسور في أوائلها ولا عدد آياتها أو القول بأنها مكية أم مدنية باستثناء سورتي الفاتحة والبقرة الواقعتين في الورقتين المكتوبتين لاحقاً، ومن هنا فقد وضعنا في أول كل سورة اسمها ورقمها وعدد آياتها، ولكن بين قوسين معقوفين.

١١- وضعت أوراق فارغة بدلاً من الورقتين اللتين تبيّن ضياعهما من المصحف (المائدة ٥/٣ - ٨ والإسراء ١٧/١٧ - ٣٣) ولللازم ورودهما بعد الورقة ٦٦ والورقة ١٧٧، لكن هذه الأوراق الفارغة لم تحمل أرقاماً. هذا، وندعوا المولى عز وجل أن يقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

د. طيار آلتي قواچ

^{٦٩} انظر: أبي داود، مختصر التبيين، ٥/١٣٠.

الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحف طوبقابي وطشقند

أسماء السور	مصحف المدينة	مصحف مكة	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف الشام	مصحف طوبقابي	مصحف طشقند
البقرة 2/116	وقالوا اتخد	وقالوا اتخد	وقالوا اتخد	وقالوا اتخد	قالوا اتخد	وقالوا اتخد	وقالوا اتخد
البقرة 2/132	ووصى	ووصى	ووصى	ووصى	سارعوا	ووصى	ووصى
آل عمران 3/133	وسارعوا	وسارعوا	وسارعوا	وسارعوا	والزير والكتاب	والزير والكتاب	والزير والكتاب
آل عمران 3/184	والزير والكتاب	والزير والكتاب	والزير والكتاب	والزير والكتاب	والزير والكتاب	الا قليل	الا قليل
النساء 4/66	يقول الذين	يقول الذين	يقول الذين	يقول الذين	يقول الذين	ويقول الذين	ويقول الذين
المائدة 5/53	من يرتد	من يرتد	من يرتد	من يرتد	وللدار	ويقول الذين	ويقول الذين
المائدة 5/54	وللدار	وللدار	وللدار	وللدار	وللدار	وللدار	وللدار
الأنعام 6/32	لعن أنجينا	لعن أنجينا	لعن أنجينا	لعن أنجينا	لعن أنجينا	لعن أنجينا	لعن أنجينا
الأنعام 6/63	شركاؤهم	شركاؤهم	شركاؤهم	شركاؤهم	شركاؤهم	شركاؤهم	شركاؤهم
الأنعام 6/137	يتذكرون	يتذكرون	يتذكرون	يتذكرون	يتذكرون	تذكرون	تذكرون
الأعراف 7/3	وما كنا لنهندي	وما كنا لنهندي	وما كنا لنهندي	وما كنا لنهندي	ما كنا لنهندي	واد انجيتكم	قال الملا
الأعراف 7/43	قال الملا	قال الملا	قال الملا	قال الملا	قال الملا	واد انجيتكم	قال الملا
الأعراف 7/75	تجوى تحتها	تجوى تحتها	تجوى تحتها	تجوى تحتها	تجوى تحتها	تجوى تحتها	تجوى تحتها
التوبية 9/100							

الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحف طوبقابي وطشقند

الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحف طوبقابي وطشقند

مصحف طشقند		مصحف طوبقابي	مصحف الشام	مصحف البصرة	مصحف الكوفة	مصحف مكة	مصحف المدينة	أسماء السور
و ما عملته	و ما عملته	و ما عملته	و ما عملته	و ما عملت	و ما عملت	و ما عملته	و ما عملته	يس 36/35
——	تامروني	تامرونى	تامرونى	تامرونى	تامرونى	تامرونى	تامرونى	الزمر 39/64
——	اشد منهم	اشد منكم	اشد منهم	اشد منهم	اشد منهم	اشد منهم	اشد منهم	غافر 40/21
——	وان يظهر	وان يظهر	وان يظهر	او ان يظهر	وان يظهر	وان يظهر	وان يظهر	غافر 40/26
فيما كسبت	بها كسبت	بما كسبت	فيما كسبت	فيما كسبت	فيما كسبت	فيما كسبت	بما كسبت	الشورى 42/30
——	يعبادى	يعبادى	يعباد	يعباد	يعباد	يعباد	يعبادى	الزخرف 43/68
——	ما تشهى	ما تشهيه	ما تشهى	ما تشهى	ما تشهى	ما تشهى	ما تشهى	الزخرف 43/71
——	حسنا	حسنا	حسنا	حسنا	حسنا	حسنا	حسنا	الأحقاف 46/15
——	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتهم	محمد 47/18
——	ذو العصف	ذا العصف	ذو العصف	ذو العصف	ذو العصف	ذو العصف	ذو العصف	الرحمن 55/12
——	ذى الخلل	دو الخلل	ذى الخلل	ذى الخلل	ذى الخلل	ذى الخلل	ذى الخلل	الرحمن 55/78
——	وكلا وعد الله	وكل وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	الحديد 57/10
——	الغنى	الغنى	هو الغنى	هو الغنى	هو الغنى	هو الغنى	الغنى	الحديد 57/24
——	ولا يخاف	فلا يخاف	ولا يخاف	ولا يخاف	ولا يخاف	ولا يخاف	فلا يخاف	الشمس 91/15

فهرس سور

الورقة	السورة ورقمها	الورقة	السورة ورقمها
١/٢٤٠-ب-٢٢٣	الشعراء (٢٦)	١/ب	الفاتحة (١)
١/٢٤٦-١-٢٤٠	النمل (٢٧)	١/ب-٣٠	البقرة (٢)
١/٢٥٣-١-٢٤٦	القصص (٢٨)	١/٤٧-٣٠	آل عمران (٣)
١/٢٥٩-١-٢٥٣	العنكبوت (٢٩)	١/٦٦-٤٧	النساء (٤)
١/٢٨٣-١-٢٥٩	الروم (٣٠)	١/٧٨-٦٦	المائدة (٥)
١/٢٦٦-١-٢٨٣	لقمان (٣١)	١/٩٣-٧٨	الأئماع (٦)
١/٢٦٨-١-٢٦٦	السجدة (٣٢)	١/١٠٩-١٩٣	الأعراف (٧)
١/٢٧٥-١-٢٦٨	الأحزاب (٣٣)	١/١١٥-١٠٩	الأنفال (٨)
١/٢٧٩-١-٢٧٥	سبأ (٣٤)	١/١٢٨-١١٥	التوبية (٩)
١/٢٧٩-١-٢٨٣	فاطر (٣٥)	١/١٣٧-١٢٨	يونس (١٠)
١/٢٨٢-١-٢٨٣	يس (٣٦)	١/١٤٦-١٣٧	هود (١١)
١/٢٩٢-١-٢٨٧	الصفات (٣٧)	١/١٤٦-١٥٥	يوسف (١٢)
١/٢٩٢-١-٢٩٢	ص (٣٨)	١/١٥٥-١٥٥	الرعد (١٣)
١/٢٩٦-١-٢٩٦	الزمر (٣٩)	١/١٦٣-١٥٩	إبراهيم (١٤)
١/٣١٠-١-٣١٠	غافر (المؤمن) (٤٠)	١/١٦٣-١٦٣	الحجر (١٥)
١/٣١٤-١-٣١٠	فصلت (٤١)	١/١٦٧-١٧٦	التحل (١٦)
١/٣١٩-١-٣١٤	الشورى (٤٢)	١/١٧٦-١٨٣	الإسراء (١٧)
١/٣٢٤-١-٣١٩	الزخرف (٤٣)	١/١٨٣-١٩١	الكهف (١٨)
١/٣٢٦-١-٣٢٤	الدخان (٤٤)	١/١٩١-١٩٦	مریم (١٩)
١/٣٢٩-١-٣٢٦	الجاثية (٤٥)	١/١٩٦-١٩٦	طه (٢٠)
١/٣٢٩-١-٣٢٩	الأحقاف (٤٦)	١/٢٠٣-٢٠٣	الأنبياء (٢١)
١/٣٢٦-١-٣٢٢	محمد (٤٧)	١/٢١٦-٢٠٩	الحج (٢٢)
١/٣٢٩-١-٣٢٦	الفتح (٤٨)	١/٢٢١-٢١٦	المؤمنون (٢٢)
١/٣٢١-١-٣٢٩	الحجرات (٤٩)	١/٢٢٨-٢٢١	النور (٢٤)
١/٣٤٣-١-٣٤١	ق (٥٠)	١/٢٢٨-٢٢٣	الفرقان (٢٥)

الورقة	الصورة ورقمها	الورقة	الصورة ورقمها
١/٣٩٦-٣٩٧/ب	المطففين (٨٣)	٢/٣٤٣-٣٤٥/ب	(٥١) الداريات
١/٣٩٧/ب	الإنشقاق (٨٤)	٢/٣٤٥-٣٤٧/ب	(٥٢) الطور
١/٣٩٨-١/٣٩٩	المروج (٨٥)	٢/٣٤٧-٣٤٩/ب	(٥٣) النجم
١/٣٩٩	الطارق (٨٦)	٢/٣٤٩-٢/٣٥١/ب	(٥٤) القمر
١/٣٩٩-١/٤٠٠	الأعلى (٨٧)	١/٣٥٤-٢/٣٥١/ب	(٥٥) الرحمن
١/٤٠٠/ب	الغاشية (٨٨)	١/٣٥٤-٢/٣٥٦/ب	(٥٦) الواقعة
١/٤٠١/ب	الفجر (٨٩)	١/٣٥٦-٢/٣٥٩/ب	(٥٧) الحديد
١/٤٠١-١/٤٠٢	البلد (٩٠)	٢/٣٥٩-٢/٣٦٢/ب	(٥٨) المجادلة
١/٤٠٢/ب	الشمس (٩١)	١/٣٦٢-١/٣٦٥/ب	(٥٩) الحشر
١/٤٠٢-١/٤٠٣	الليل (٩٢)	١/٣٦٥-١/٣٦٧/ب	(٦٠) الممتحنة
١/٤٠٣/ب	الضحى (٩٣)	١/٣٦٧-١/٣٦٨/ب	(٦١) الصاف
١/٤٠٣-١/٤٠٣	الشرح (٩٤)	١/٣٦٨-١/٣٦٩/ب	(٦٢) الجمعة
١/٤٠٣-١/٤٠٤	التzin (٩٥)	١/٣٦٩-١/٣٧٠/ب	(٦٣) المنافقون
١/٤٠٤/ب	العلق (٩٦)	١/٣٧٠-١/٣٧٢/ب	(٦٤) التغابن
١/٤٠٤-١/٤٠٤	القدر (٩٧)	١/٣٧٢-١/٣٧٣/ب	(٦٥) الطلاق
١/٤٠٤/ب	البيبة (٩٨)	١/٣٧٣-١/٣٧٤/ب	(٦٦) التحرير
١/٤٠٤-١/٤٠٥	الزلزال (٩٩)	١/٣٧٤-١/٣٧٥/ب	(٦٧) الملك
١/٤٠٥	العاديات (١٠٠)	١/٣٧٥-١/٣٧٧/ب	(٦٨) القلم
١/٤٠٥/ب	القارعة (١٠١)	١/٣٧٧-١/٣٧٩/ب	(٦٩) الحاقة
١/٤٠٥/ب	التكاثر (١٠٢)	١/٣٧٩-١/٣٨٠/ب	(٧٠) المعارج
١/٤٠٦	العصر (١٠٣)	١/٣٨٠-١/٣٨٢/ب	(٧١) نوح
١/٤٠٦	الهمزة (١٠٤)	١/٣٨٢-١/٣٨٤/ب	(٧٢) الجن
١/٤٠٦-١/٤٠٧	الفيل (١٠٥)	١/٣٨٤-١/٣٨٥/ب	(٧٣) المزمل
١/٤٠٦	قرיש (١٠٦)	١/٣٨٥-١/٣٨٦/ب	(٧٤) المدثر
١/٤٠٦/ب	المعون (١٠٧)	١/٣٨٦-١/٣٨٧/ب	(٧٥) القيامة
١/٤٠٧	الكوثر (١٠٨)	١/٣٨٧-١/٣٨٩/ب	(٧٦) الإنسان
١/٤٠٧	الكافرون (١٠٩)	١/٣٨٩-١/٣٩٠/ب	(٧٧) المرسلات
١/٤٠٧	النصر (١١٠)	١/٣٩٠-١/٣٩١/ب	(٧٨) النبأ
١/٤٠٧/ب	المسد (١١١)	١/٣٩١-١/٣٩٣/ب	(٧٩) النازعات
١/٤٠٧/ب	الإخلاص (١١٢)	١/٣٩٣-١/٣٩٤/ب	(٨٠) عبس
١/٤٠٨	الفلق (١١٣)	١/٣٩٤-١/٣٩٥/ب	(٨١) التكوير
١/٤٠٨	الناس (١١٤)	١/٣٩٥-١/٣٩٦/ب	(٨٢) الإنفطار

لوحات حول بعض المصاحف

سَلَامٌ فَالْمُؤْمِنُونَ
لَا يَرْجُونَ حِلَالًا
وَمَحْلًا مُهْلَكًا
فَمَنْ حَلَّ لَهُ سَيِّئَاتٌ
لَهُمْ كُلُّهُمْ حَذَرُوكُمْ
وَمَا كَانُوا سَيِّئَاتٍ
وَرِسَالَةُ اللَّهِ لَمْ يَرُدْ
لَهُمْ بَعْدَ حِلَالٍ حِلَالٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَبِّ الْعَالَمِينَ
إِنَّا فِي أَعْلَمِ مَا نَعْمَلُ
لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي مَا يَمْسَكُ بِهِ
وَمَا فِي مَا لَمْ يَمْسِكُ بِهِ
وَمَا فِي مَا لَمْ يَرَهُ
وَمَا فِي مَا لَمْ يَشْعُرُ بِهِ

الصورة ١

^{٢٤٢} صحيحتان من مصحف طشقند (القرآن المجيد، ص ٢٤٢)

٦٦٦

655

سْمَوَاتِهِ وَسَمَاءَتِهِ
لَهُ سَمَاءُ وَسَمَاءَتِهِ
سَمَاءَتِهِ سَمَاءُ
لَهُ سَمَاءُ وَسَمَاءَتِهِ
لَهُ سَمَاءُ وَسَمَاءَتِهِ
لَهُ سَمَاءُ وَسَمَاءَتِهِ

658

وَرَقَائِكَةِ مَوْلَاهُ وَلَاهُ
سَوْحَانَهَا
مَكَانَهَا فَيَهُ وَلَاهُ
لَهُ سَوْحَانَهَا
لَاهُ سَهْلَهَا وَلَاهُ
رَبَّهَا سَهْلَهَا
وَلَاهُ سَهْلَهَا وَلَاهُ

الصورة ٢

صحيفتان من مصحف طشقند (القرآن المجيد، ص ٦٦٦)



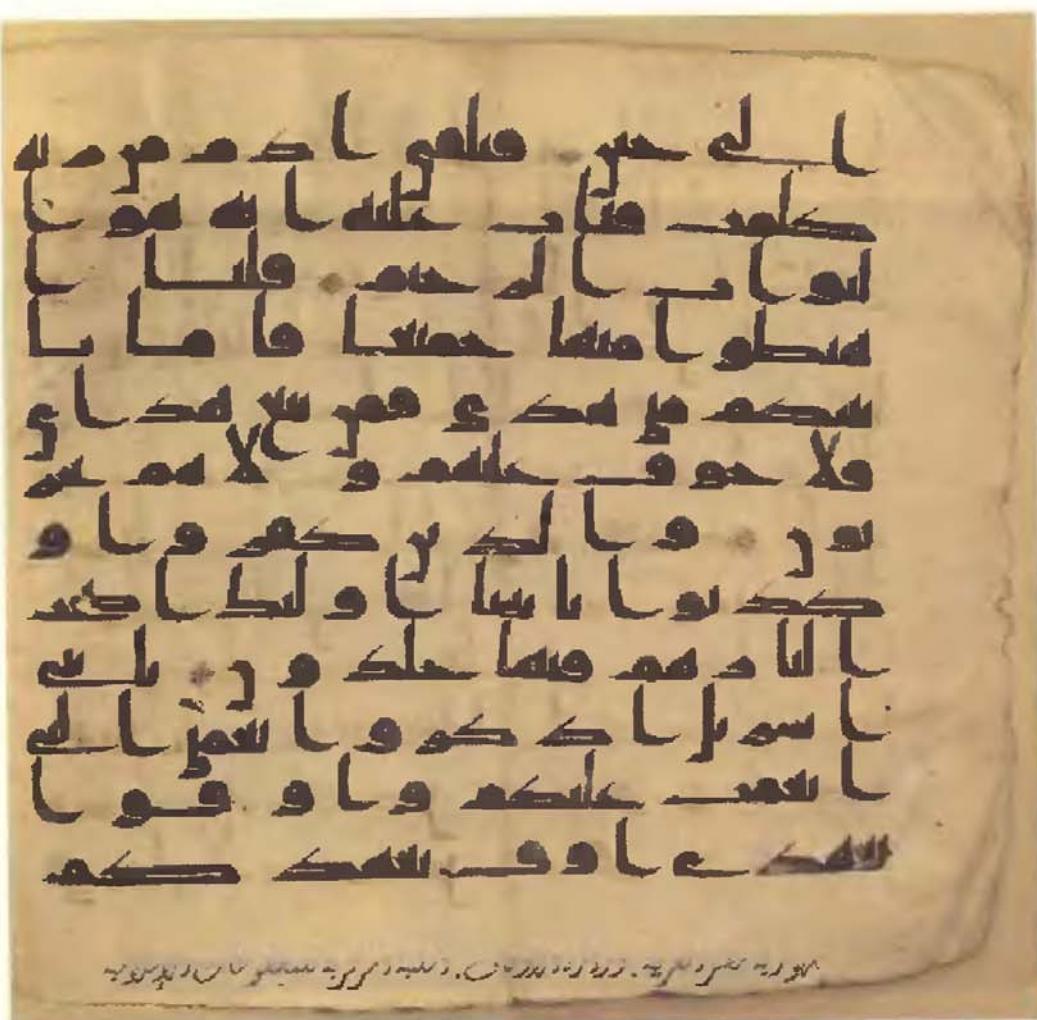
الصورة ٣

صحيفة من مصحف متحف الآثار التركية والإسلامية بإسطنبول (ورق ١/٢١)

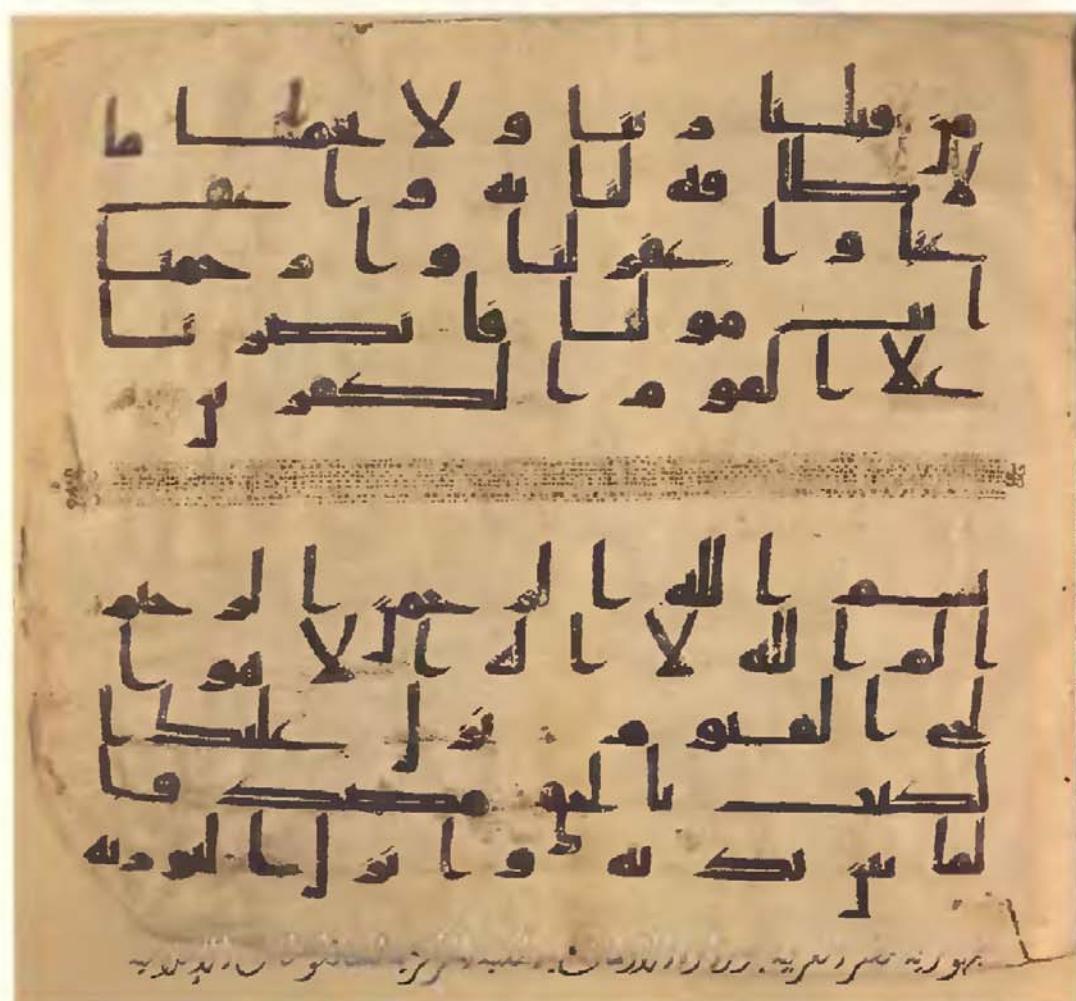


الصورة ٤

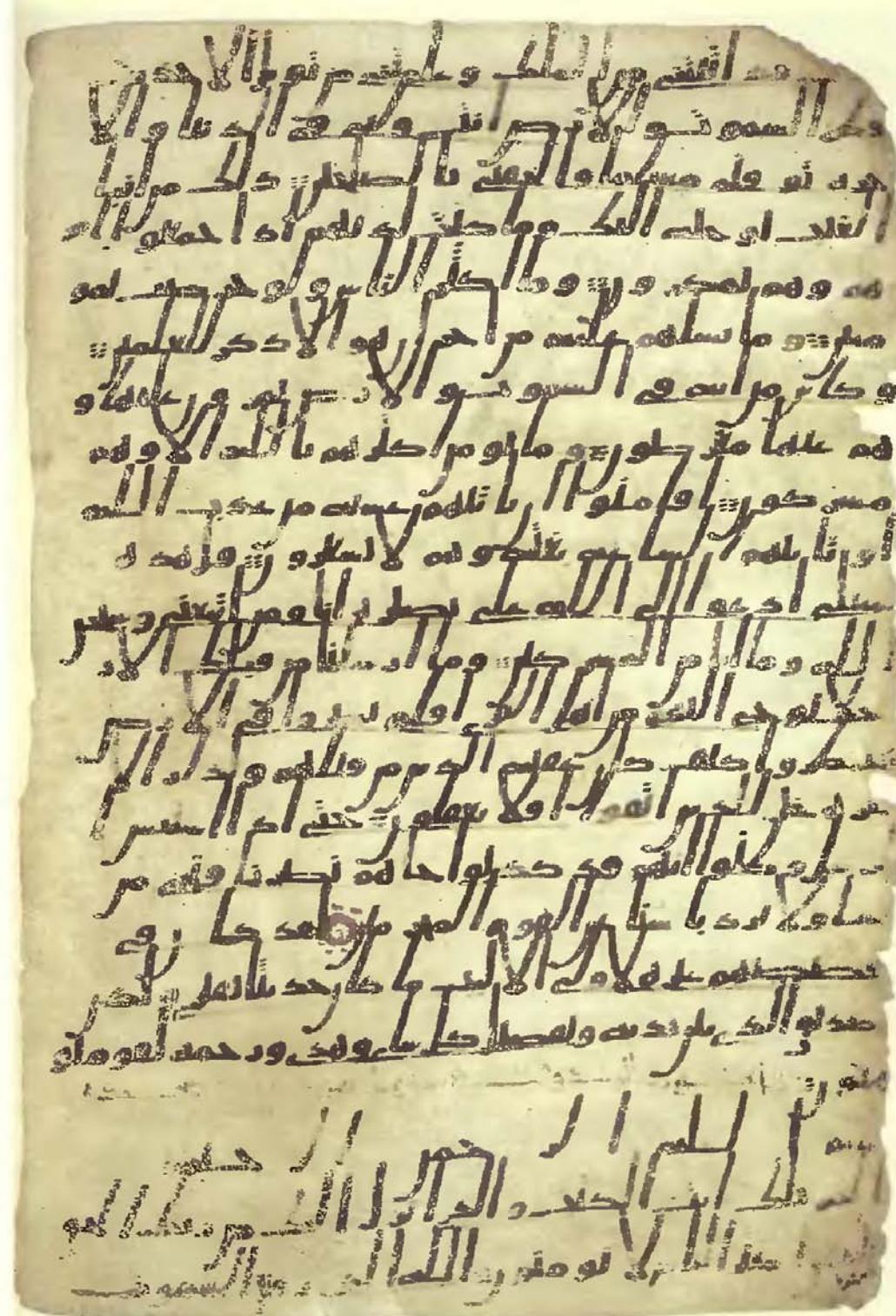
صحيفة من متحف الآثار التركية والإسلامية بإسطنبول (ورق ٤٢٩ / ١)



الصورة ٥
صحيفة من مصحف القاهرة (ورق ٦/ب)



الصورة ٦
صفحة من مصحف القاهرة (ورق ٥٩١)

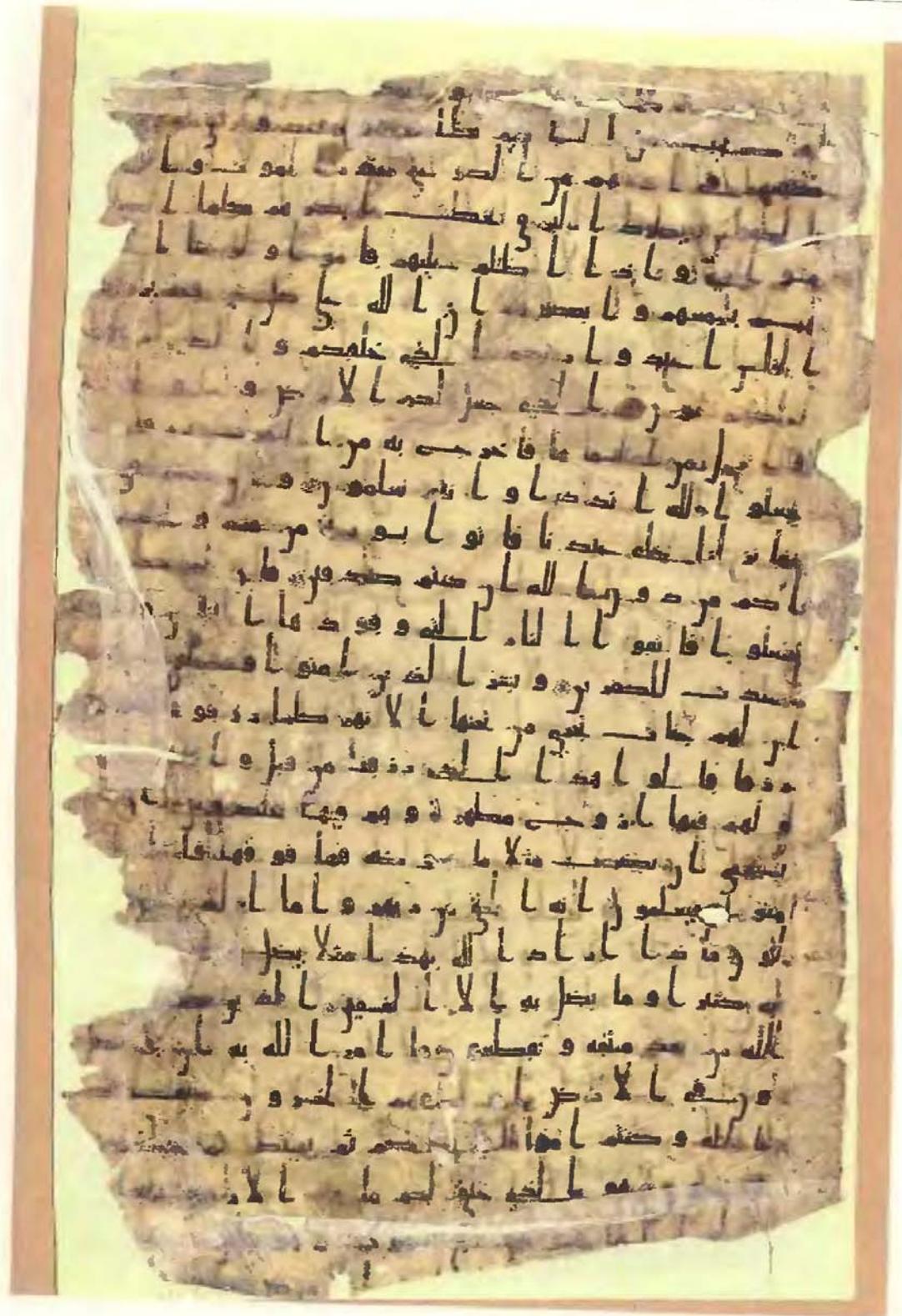


الصورة ٨

صحيفة من مصحف لندن (ورق ٢٧/ب)

الصورة ١٠

صحيفة من مصحف باريس (ورق ١٥٠)



الصورة ١١

صحيفة من مصحف سانت بطرسبرغ (سورة البقرة الآيات ٢٩-١٧)



الصورة ١٤

صحيفة من مصحف سانت برسورغ (سورة المجدلة الآيات ٢٧-٢٩؛ سورة المجادلة الآيات ١-٤)

قائمة المصادر

١- العربية والتركية العثمانية:

- * ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني: كتاب المصاحف (الناشر آرثر جفرى)، القاهرة ١٩٣٦ / ١٣٥٥.
- * ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجرجي: أسد الغابة في معرفة الصنایع، القاهرة ١٩٧٣ / ١٣٩٣.
- * ابن البناء، أحمد بن محمد البغدادي: اتحاف خلقه البشر (الناشر شعبان محمد اسمايل)، بيروت ١٩٨٧ / ١٤٠٧.
- * ابن الجوزي، أبو الحسن محمد بن محمد: المشرفي القراءات العشر (الناشر على محمد الدايم)، القاهرة بدون تاريخ. (مطبعة مصطفى محمد).
- * ابن الخطيب، محمد محمد عبد الطيف: القرآن، القاهرة ١٩٤٨ / ١٣٦٧.
- * ابن المبارك، أحمد: الإلبيريز من كلام ميدى عبد العزيز، بدون تاريخ وبدون مكان (المكتبة الشعبية).
- * ابن النديم: الفهرست، القاهرة [بدون تاريخ]، مطبعة الاستقامة.
- * ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني: لسان الميزان (الناشر محمد عبد الرحمن المرعشلي)، بيروت ١٩٩٦ / ١٤١٦.
- * ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون (الناشر دروش الجوبي)، بيروت ١٩٩٦ / ١٤١٦.
- * ابن سعد، محمد بن سعد الرازي: النطقيات الكنكري (الناشر على محمد عمر)، المدينة المنورة ٢٠٠١ / ١٤٢١.
- * ابن عبد البر، عمر بن يوسف الشمرى: الامتناع فى معرفة الاصحات (ضمن كتاب الاصلية لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٨.
- * ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني: الصاحي في فقه اللغة وحسن العرب في كلامها (الناشر مصطفى الشويمي)، بيروت ١٣٨٢ / ١٩٦٣.
- * ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: تأویل مختلف الحديث (الناشر محمد زهري التحار)، القاهرة ١٩٦٦ / ١٣٨٦.
— تأویل مشكل القرآن (الناشر أحمد صقر)، القاهرة ١٩٥٤ / ١٣٧٣.
— أدب المكاتب (الناشر علي فلؤر)، بيروت ١٩٨٨ / ١٤٠٨.
- * ابن كثير، أبو القداء اسمايل: فضائل القرآن، بيروت ١٩٦٦ / ١٣٨٥.
- * ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة (الناشر محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة ١٩٥٢ / ١٣٧٢.
- * ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت بدون تاريخ.
- * ابن هشام، أبو محمد عبد العلّى: المسيرة النبوية (الناشر مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحافظ شلبي)، بيروت ١٩٧١ / ١٣٩١.
- * ابن وثيق، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الاندلسي: الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف (الناشر غانم قدوري حمد)، بغداد ١٩٨٨ / ١٤٠٨.
- * أبو الفتوح محمد حسين: ابن خلدون ورسم المصحف المشتملي، بيروت ١٩٩٢.
- * أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود (الناشر محمد محى الدين عبد الحميد) بدون تاريخ (دار إحياء السنّة النبوية).
- * أبو داود سليمان بن سجاح: مختصر الأربعين لهجاء التنزيل (الناشر أحمد بن أحمد بن معمر شيرشال)، المدينة المنورة ٢٠٠٢ / ١٤٢٣.

- * أبو شامة، محمد بن إسماعيل السجدي: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (الناشر طيار آنلي قولاج)، أنقرة ١٩٨٦ / ١٤٠٦.
- * أبو عبد قاسم بن سلام: كتاب الأموال (الناشر محمد خليل هراس)، القاهرة ١٩٨١ / ١٤٠١.
- فضائل القرآن (الناشر وهبي سليمان)، بيروت ١٩٩١ / ١٤١١.
- * أحمد بن حنبل، أبو عبد الله: المحدث، بيروت ١٩٧٩ / ١٣٨٩.
- * ابرهيل إسماعيل حفي: تاريخ القرآن، استانبول ١٩٥٦ [بالتركية العثمانية].
- * الأعظمي، محمد مصطفى: كتاب النبي، الرياض ١٩٨١ / ١٤٠١.
- * الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: الإيضاح في الوقت والابتداء (الناشر محي الدين عبد الرحمن رمضان)، دمشق ١٩٧١ / ١٣٩١.
- * الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: الاتصال للقرآن (الناشر فؤاد سكين)، فرانكفورت ١٩٨٦ / ١٤٠٧ (مكتبة بايزيد العامة [قرا مصطفى باشا]، صورة طبق الأصل من نسخة مختلطة مسجلة تحت رقم ٦).
- * البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الصحيح (صحيح البخاري)، استانبول ١٤١٥.
- * بوكلمان: تاريخ الأدب العربي (ترجمة محمود فهمي حجازي)، القاهرة ١٩٩٣.
- * البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى: خاتمة البطidan (الناشر رضوان محمد وضو)، بيروت ١٩٧٨ / ١٣٩٨.
- * البهيفي، أبو بكر أحمد بن حسين: شعب الإمام (الناشر أبو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول)، بيروت ١٩٩٠ / ١٤١٠.
- * الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (الناشر إبراهيم عطوة عوض)، القاهرة ١٩٦٢ / ١٣٨٢.
- * التنزيل الريانى بالرسم العثماني (المصحف، الناشر عبد الرحمن محمد)، القاهرة ١٣٥٧ (طبقة الأصل من طبعة ١٣٣٧).
- * حمدة، غلام قدوري: رسم المصحف، بيروت ١٩٨٢ / ١٤٠٢.
- * داماد زاده، سليمان: الكلمات المعرسية المستخرجة من مصحف علي القرارى، مكتبة السليمانية (إبراهيم أفندي)، رقم ٢٦، ورق ٦٢ - ٥٤.
- * الدانى، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في فنون المصاحف (الناشر عزة حسن)، دمشق ١٩٦٠ / ١٣٧٩.
- المفتح في معرفة موسوعة مصاحف الامصار (الناشر محمد أحمد دهمان)، دمشق ١٩٤٠ / ١٣٥٩.
- التيسير في القراءات السبع (الناشر Otto Pretzl)، استانبول ١٩٣٠.
- * الدبلىمى، أبو شحاح شيروى بن شهردار: الفودوس بتأثير الخطاب، بيروت ١٩٨٦ / ١٤٠٦.
- * الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: معرفة القراء الكار على الطبقات والامصار (الناشر طيار آنلي قولاج)، استانبول ١٩٩٥ / ١٤١٦.
- ميزان الاعتدال (الناشر على محمد البجاوى)، القاهرة ١٩٦٣ / ١٣٨٢.
- * الزرقانى، محمد عبد العظيم: متأمل القرآن في علوم القرآن الكريم، القاهرة ١٣٧٢.
- * الزركشى، يدر الدين محمد بن عبد الله: البيهان في علوم القرآن (الناشر محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة ١٩٥٧ / ١٣٧٦.
- * الزركلى، خير الدين: الأعلام، بيروت ١٩٦٩ / ١٣٨٩.
- * الرمخشى، حار الله محمد بن عمر: الكشاف عن حقائق غواصي التنزيل وعيون المقاويم في وجوه التأويل، بيروت ١٩٤٧ / ١٣٦٦.
- * السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال: الإنفاق في علوم القرآن (الناشر محمد أبو الفضل إبراهيم)، القاهرة ١٩٦٧ / ١٣٨٧.
- الدر المختار في التيسير بالماثور، بيروت ١٩٨٣ / ١٤٠٣.
- * شَدَّى، عادل بن علي بن أحمد: جهود حادم الحرمين الشريفين في طباعة المصحف الشريف ونشره. (www.ksu.edu.sa/kfs-website/source/58.htm-572k)
- * صبحي صالح: مباحث في علوم القرآن، بيروت ١٩٦٨.
- * الصيرفى، أبو عبد الله: نكت الاتصال لنقل القرآن، الأسكندرية ١٩٧١.
- * الصولى، أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكتاب (الناشر محمد بهجة الأنزي)، القاهرة ١٣٤١.
- * الطبرانى: المعجم الكبير (الناشر حمدى عبد المحيد السلفي)، بيروت بدون تاريخ.
- * طه الوالى: «القرآن الكريم في بلاد الروسيا»، المورد ٤ / ٩، بغداد ١٩٨١ / ١٤٠١.
- * عبد الباقى، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لآلفاظ القرآن الكريم، استانبول ١٩٨٢.
- * عبد السلام، محمد عادل: كتاب في الفرق بين وسم المصحف الشريف وبين رسه القواعد الإسلامية، عمان ١٩٨٦ / ١٤٠٦.
- * الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معانى القرآن، بيروت ١٩٨٠.
- * القرآن الكريم بالرسم العثماني ، دمشق ١٤٢٠ (دار المعرفة).

- * القرآن الكريم بالرسم العثماني الشهير بمصحف مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٣٥ / ١٢٥٤.
- * القرآن السجید مصحف سیدنا عثمان رضی اللہ عنہ عکوس نسخہ سیونت (الناشر محمد حمید اللہ)، فیلادلفیا ١٩٨١ / ١٤٠١.
- * القرموطي: الجامع لأحكام القرآن، بيروت ١٩٨٥ / ١٤٠٥.
- * القسطلاني، أبو العباس أحمد: دلائل الإشارات لفتون القراءات (الناشر عامر سيد عثمان - عبد الصبور شاهين)، القاهرة ١٩٧٢.
- * الكتاني، عبد الحفي: الترتيب الإداري، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- * الكردي، محمد ظاهر بن عبد القادر: تاريخ القرآن وغواصات رسمه وحكمه، القاهرة ١٩٥٣ / ١٣٧٢.
- * لبيب السعيد: الجامع الصوتي الأول للقرآن الكوفي أو المصحف المرتل، القاهرة ١٩٦٧ / ١٣٨٧.
- * مجلة الأزهر، ١ / ١٩٣٦، القاهرة ١٩٥٥ / ١٣٥٥.
- * مخدوم، اسماعيل: تاريخ المصحف العثماني في صنعته، دمشق ١٩٧١ / ١٣٩١.
- * المراكشي، أبو العباس ابن البناء أحمد بن محمد بن عثمان: عتوان الدليل من موسوم خط التزيين (الناشر هند شلبي)، بيروت ١٩٩٠.
- * المرحاني، شهاب الدين: الفوائد المهمة، قازان ١٢٩٧.
- * مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري التسّبوري: الصحيح (صحیح مسلم) (الناشر محمد فؤاد عبد الباقی) القاهرة ١٩٥٥ / ١٣٧٤.
- * مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات (الناشر عبد الفتاح اسماعيل شلبي)، القاهرة ١٩٦٠ / ١٣٧٩.
- * المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت ١٩٧٢.
- * المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار: هباء مصايف الأنصار (الناشر محى الدين عبد الرحمن رمضان)، مجلة معهد المخطوطات العربية، ربیع الآخر ١٣٩٣ / ماي ١٩٧٣، ١٩، ص ٤٥ - ٥٤.
- * وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، القاهرة ١٩٧٣ / ١٣٩٣.

٢- التركية والافرنخية:

- Altıkulaç, Tayyar, "Ebû Amr b. Alâ", *DIA*, İstanbul 1994, X, 94-96.
- Altundağ, Mustafa, *Hata İddiaları Çerçevesinde Kur'an'in Dil ve Yazım Özellikleri*, Bakı 2004.
- "İstanbul Topkapı Mushafi Hz. Osman'a mı aittir?", *Marife*, yıl:2, sy. 1, Konya 2002.
- Çetin, Abdurrahman, "Ebû Dâvud Süleyman b. Necâh", *DIA*, İstanbul 1994, X, 119;
- "Dâm", *DIA*, İstanbul 1993, VIII, 459-460.
- Çetin, Nihad M., "Arap(Yazi)", *DIA*, İstanbul 1991, III, 276-282.
- Derman, Uğur, "Hâfiż Osman", *DIA*, İstanbul 1997, XV, 98-99.
- Deroche, F. - Noseda, S. N. (nşr.), *Sources de la transmission manuscrite du texte Coranique: Les manuscrits de style Hîgâzi* (Volume 1), Lesa 1998.
- Dutton, Yasin, "Some Notes on the British Library's 'Oldest Qur'an Manuscript' (Or. 2165)", *Journal of Qur'anic Studies*, vol. 6, issue 1, (Centre for Islamic Studies, SOAS, London 2004) p. 43-72.
- E. Honigmann, "Nabatiler", *IA*, İstanbul 1964, IX, I.
- Fazlıoğlu, İhsan, "İbnü'l-Bennâ el-Merrâküş", *DIA*, İstanbul 1999, XX, 530- 534.
- Hamidullah, Muhammed, *Kur'ân-ı Kerim Tarihi* (trc. Salih Tuğ), İstanbul 1993.
- *Islam'a Giriş* (trc. Cemal Aydin), Ankara 1999.
- Jeffery, A. - Mendelsohn, I., "The Orthography of The Samarqand Codex", *Journal of American Oriental Society*, LXIII (1943), p. 175-195.
- Karatay, Fehmi Edhem, *Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Katologu*, İstanbul 1962.
- Özaydın, Abdülkerim, "İbn Mukde", *DIA*, İstanbul 1999, XX, 211-212.
- Serin, Muhittin, "ibnü'l-Bevvab", *DIA*, İstanbul 1999, XX, 534-535.
- Uğur, Mücteba, "Deylemî, Şîrûye b. Şehredâr", *DIA*, İstanbul 1994, IX, 266. Vâfi, Ali Abdülvâhid, *Fikhü'l-lügâ*, Kahire 1393/1973.
- Yıldırım, Suat, "el-Ahrufü's-seb'a", *DIA*, İstanbul 1989, II, 175-177.